



لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى
ت ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م

الجزء العاشر

القسم الأول

المغنون

تحقيق

أ. د. محمد عبد القادر خريسات

د. عصام مصطفى عقلة   د. يوسف أحمد بني ياسين



مركز زايد للتراث والتاريخ




مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

رقم التصنيف	: ديوي 927,78، المغنون، تراجم، الشعر الغنائي، الموسيقى العربية
المؤلف ومن هو في حكمه	: ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ ـــ ١٣٤٩م
تحقيق	: أ د. محمد عبد القادر خريسات ـ د. عصام مصطفى عقله ـ د. يوسف أحمد بني ياسين
عنوان الكتاب	: الجزء العاشر القسم الأول (المغنون)
الموضوع الرئيس	: كتاب مستقل عن المغنين في العصور الإسلامية منذ النشأة وحتى عصر المؤلف، وفيه رصد لحياة ٦٧ مغنياً، وأعمالهم
قيد الكتاب	: م قيد الكتاب بوزارة الاقتصاد مكتب المصنفات الفكرية رقم (٢٦٨ ـ ٢٠٠٧م)
الناشر	: مركز زايد للتراث والتاريخ ـ العين ـ دولة الإمارات العربية المتحدة ـ ص.ب: ٢٣٨٨٨
ملتزم الطبع	: دار البارودي ـــ أبو ظبي ص.ب ٤٢٨٦٠
توصيف الكتاب	: مقاس ١٧ × ٢٤، عدد الصفحات ٢٤٨ صفحة
الرقم الدولي	: ISBN 9948-06-150-0

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـــ ٢٠٠٧ م



مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ هاتف : ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ـ ٣ ـ ٩٧١

P.O. BOX: 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, - FAX: 971 - 3 - 7615177

E-mail: zc4HH@zayedcenter.org.AE





كلمة المركز

يسر مركز زايد للتراث والتاريخ أن يقدم للقراء العرب، وبخاصة المهتمين بالتراث العربي الإسلامي، واحداً من أضخم الأعمال الموسوعية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها، ألا وهو كتاب «**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**» لأحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ ـ ١٣٤٩م).

وقد تبنى المركز نشر هذه الموسوعة بتوجيهات كريمة من **سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، حيث حرص سموه على الإعتناء بالتراث العربي المخطوط ونشره ليكون في متناول أيدي الباحثين والمختصين لذلك تأتي هذه الموسوعة التاريخية الهامة ضمن خطة المركز الطموحة لنشر التراث العربي الأصيل وتقريبه للقارىء العربي وخدمته.**

وقد اعتمد المركز نشر الكتاب من خلال خطة تقوم على الحفاظ بداية على تجزئة الكتاب كما أراده المؤلف وسيكون بعون الله في ٢٨ مجلداً تتبعها الفهارس العامة للكتاب ولما كانت الموسوعة بهذه الضخامة والأهمية فقد قام المركز بتكليف أساتذة أكاديميين من ذوي الخبرة بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات لتحقيق الكتاب وجمع مخطوطاته لمقارنتها مع بعضها بعضاً للوصول إلى أكمل نسخة من الكتاب، وكذلك فلا بد من تقديمها مع دراسة تجلي الجوانب المختلفة من حياة مؤلفها، وتبين أهمية الكتاب ومنهج المؤلف وأسلوبه مع دراسة كاملة لمخطوطات الموسوعة المستخدمة في التحقيق التي ستكون بعون الله في المجلد الأول حيث لا يمكن إنجاز هذه الدراسة إلا بعد استكمال تحقيق أجزاء الكتاب كاملة.

والمركز إذ يقدم هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية الأدبية فإنه يأمل بذلك أن يكون قد خدم المكتبة العربية بهذا المرجع الضخم، وأن يقع من نفوس القراء والباحثين الموقع الحسن، نسأل الله أن يوفقنا إلى خدمة تراثنا وتاريخنا رمز حضارتنا العربية والإسلامية، ومبعث افتخارنا واعتزازنا.

والله ولي التوفيق

د. حسن محمد النابودة

مدير المركز



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

اعتمدنا في تحقيق هذا السفر من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري وهو القسم الأول من الجزء العاشر على مخطوطة وحيدة لم نتمكن من الحصول على غيرها، وهي مخطوطة آيا صوفيا، تركيا، والتي نشرها بالتصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت، سنة ١٩٨٨م تحت إشراف فؤاد سزكين، وهي النسخة التي اعتدنا أن نرمز لها بالحرف (ت) وهذه المخطوطة هي جزء من وقف السلطان المؤيد شيخ، وهي منسوخة بخط مشرقي مشكول، مليئة بالتحريفات والأخطاء والسقط.

وقد امتاز هذا القسم مثل غيره من أقسام موسوعة مسالك الأبصار بعدة ميزات لعل أهمها:

١ ـ لاعتماد على مصادر مفقودة من مثل كتاب ابن ناقيا «كتاب المحدث».

٢ ـ الاعتماد على الرواية الشفوية لتوضيح تطور الألحان والموسيقى في عصره من مثل اعتماده على ابن زاده، وسراج الدين الخراساني.

٣ ـ الاعتماد على كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وإيراده بعض المعلومات المفقودة الآن من المطبوع من كتاب الأغاني.

٤ ـ قدم في هذا القسم معلومات مهمة على تطور الموسيقى في العصر المملوكي.

٥ ـ يعد هذا القسم والذي يليه كتاباً مستقلاً عن المغنيين في العصور الإسلامية منذ النشأة وحتى عصر المؤلف. إذا رصد فيه حياة المغنين وأعمالهم طيلة تلك الفترة.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربّـــنا أفرغ علينا صبراً وأعِنْ

وممّـــن يُعد من الحكماء: أهل الموسيقى إذ هو من الطبيعي، وقد أتيت منهم على مشاهير أهل الغناء ممن ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع، وفي كتاب الإماء، وممن ذكره ابـــن ناقيا[1] النحوي البغدادي في كتاب المحدث[2]، ثم ذيلت ذلك بما نظرته في الكتب، والتقطته منها التقاط الفرائد من السحب، وواخيت[3] أهل الجانب الشرقي بأمثالِ[4] في الجانب الغربي ومصر، وإن لم يطاول الماء السماء، وسقت في الجانبين إلى زماننا سياقة لم آلُ فيها الجهد، وأتيتُ به على ترتيب ما وقع الاختيار منه، وجئت على حكمه بالدليل عليه. ومن تأمل ما أتيته علم مقدار جهدي المبذول في تحصيل ما حصلته، وكبر لديه ما جمعته، وشهد لي بأني لم أقصر، وبالفضل لمن أتبعته.

ورأيت بين القدماء والمحدثين اختلافاً في ألقاب الأنغام التي صنعوا فيها الأصوات، اختلافاً في الأسماء لا في المسميات، وكنت وقفت على كتاب ابن ناقيا في الأغاني، وهو على طريقة القدماء، ولم أجد على طريقة المحدثين ما أرجـــع إليه ولا أتفهّم منه، وسألت جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر، عرف بابن زاده الدشتي المشرقي[5] عن هذا ليُبَيّنهُ لي،

---

(١) الأصل: باقيا والصواب ما اثبت، وقمنا بتصحيحه أينما ورد، وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا الأديب الشاعر اللغوي، له كتب عديدة منها: كتاب أغاني المحدثين، توفي سنة ٤٨٥هـ. انظر عنه: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٩٨/٣، ياقوت، معجم الأدباء: ١٥٦٠/٤.

(٢) المقصود به كتاب أغاني المحدثين وهو في عداد المفقود من تراث الأمة الآن. أنظر عنه: ياقوت، معجم الأدباء:١٥٦١/٤.

(٣) واخيت: اتخذته أخاً.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: بأمثالهم.

(٥) جمال الدين ابو سعيد الكردي المغني الدشتي، ولد سنة ٦٦١هـ، وهو مصنف كتاب الكنز المطلوب في الدوائر والضروب. أنظر عنه: ابن حجر، الدرر الكامنة: ٩٧/٣.

وهو عَلم هذا الشأن بالشام، فلجلج ولم يُبَيّنْ، غُيّر أنه قال: إنما غيرت التسميات إذ نشأ التوثي[١] صاحب الأرمال الأربعة والأربعين ضرباً، ثم سراج الدين الخراساني[٢] صاحب شيوه، وكلاهما من أهل ما وراء النهر، وكان ذلك بحضور الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن شكر الديري[٣]، فجعل يدله على الطريق وهو تارةً وتارةً، فآخر ما انتهى معه إليه أن قال: جُسَّ لي هذه الأبيات، ثم جعل ينشده بيتاً بيتاً من الأبيات التي فيها أصوات الأول المسماة بمصطلحهم، إلى أن ظهر لـــه إتفاق القدماء والمحدثين في المعنى واختلافهم في اللفظ، فَنَزَّل أسماءَ المحدثين على أسماء القدماء، ورتبَ في هذا المقال، وفعل ما يُعجز القرائح، ويَدُق عنها الإفهام، ثم لخص فيه ما مضمونه:

اعلم أن الأوائل رحمهم الله، رتبوا ألحانهم على نوعين:

ضـــربٍ ولحـــنٍ، مُسَمّيـــات بأسماءٍ اصطلحوا عليها، وجعلـــوا أنواع الضروب ستة: ثقيـــل أول، وثقيل ثـــانٍ، وخفيف الثقيل [٣]، ورمـــل، وخفيف الرمل، وأهزج[٤]، وهـــذا كـــمـــا يقـــال إن الضـــــرب فيه نقرات[٥] ثقالٌ وخفاف، وخِفافٌ الخِفافِ.

وأما الأصابع فهي الألحان عندهم، وهي ست كذلك: المطلق، والمعلق، والمحمول، والمنسرح، والمزموم، والمجنب، وإذا ضربت ثلاثة في ستة كانت ثمانية عشر رجوعا إلى أن الضرب مع اللحن يختلف مع الثقال والخفاف، وخفاف الخفاف، فيختلف الصوت مع الضرب بالقوة، والضرب فيسمى كل واحد باسم، ولهذا يقولون: مطلق السبابة، والوسطى، والخنصر، والشهادة أو مقبوضها، كل ذلك إشارة منهم إلى الألحان المختلفة، فسموا كل لحن باسم علم عليه، يعرف به لئلا يضل العلم عند التعليم، كذلك فعل المتأخرون من الفرس حين سَمّوا هذه الأسماء الأعجمية المصطلح عليها في زماننا وهي: الراست، والعراق، والزيلفكند، والاصبهان، والزنكلا، والبزرك، والراهوي، والحسيني، والما آه، وأبوسليك، والنوى، والعشاق، وأوازها وهي:

---

(١) لم نهتدِ إلى ترجمة له.

(٢) لم نهتدِ إلى ترجمة له.

(٣) الأمام الفاضل الشافعي الناسخ المقرئ، توفي سنة ٧٥٣هـ وقد قارب التسعين. انظر عنه: الصفدي، أعيان العصر: ٤٧٢/٤، ابن حجر، الدرر الكامنة: ٢٧٧/٣.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الهزج

(٥) الأصل: نقرقات، وهو تحريف.

النيروز، والشهناز، والسلمك، والحجاز، والكوشت على اختلاف في هذه التسمية، فهذه تلك الست تضاعفت بثلاثة، بحسب التركيب، فبلغت ثمانية عشر، فالمطلق هو الراست، والمعلق هو العراق، والمحمول هو الزيلفكند، والمنسرح هو اصفهان، والمزموم زنكلا، والمجنب بزرك.

ثم تركبت الستة الباقية من الستة الأولى، فالرهوي من المطلق والمعلق، والحسيني من المحمول والمنسرح، والمآه وأبو سليك من المزموم، والنوى والعشاق من المجنب، ثم أخذ بالتركيب. النيروز من المطلق والمعلق لاختلاف الضرب، ثم الشهناز من المحمول والمنسرح، ثم السلمك من المزموم والمجنب، ثم الزركشي من المحمول والمنسرح، والحجاز من المزمور، والكواشت من المجنب.

أما الماخوري، والمحصور، والمشكول، فتأخر تسميته مع متأخري أوائلهم، وكذلك غيرُها وتركيبها كتركيب الشاذ عند المتأخرين، والله أعلم.

فأما ما نحن بصدده ممن نذكره في المفاضلة بين الجانبين من أهل هذه الصناعة، فسنبدأ بالمختار من كتاب أبي الفرج الأصفهاني الجامع، ثم من كتاب الإماء، ثم ما ذكره ابن ناقيا، ثم ندخل حتى يرفل هذه الكتاب في فاضل برده.

فمنهم:

١ ـ ابن مُحْرِز[١]

محرز لغاية، ومُبْترز في غواية، تردد بين الحرمين، مكة والمدينة، للقاء المحسنين والإلقاء من المغنين، ثم لم يقنع حتى أتى بلاد فارس، وجنى من تلك المغارس، وأصبح لا يدع طرفاً به إلا أنسجم، ولا مختاراً إلّا مجموعا فيه عرباً على عجم، فلم تبق في الغناء نادّة حتى حازها ولا شاذة أعجزت[٤] من قبله من أهل الطرب حتى بازها كأنه لهذا خلق، وبه استحق التقدم، وإن سبق إلّا أن داءه أدواه، حتى كان بلقاء العيون وما رُمق.

قال أبو الفرج[٢]: قال إسحاق: كان يسكن المدينة مَرّةً، ومكة مرةً، فإذا أتى المدينة أقام

---

(١) أبو الخطاب مسلم بن محرز مولى بني عبد الدار، فارسي الأصل، نشأ بمكة، وهو أول من خلط بين ألحان الفرس والروم، توفي في أوائل أيام الدولة العباسية. أنظر عنه الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٤/١.

(٢) الأغاني: ٢٩٤/١

بها ثلاثة أشهر، يتعلم الضرب من عَزّةَ الميلاء ثم يرجع مكة، فيقيم بها ثلاثة أشهر، ثم صار بعد ذلك إلى فارس، فتعلم ألحان الفرس فأخذ غناءهم، ثم صار إلى الشام، فتعلم ألحان الروم، فأخذ غناءهم، فأسقط من ذلك ما لا يُسْتَحْسَنُ من نغم الفريقين، وأخذ محاسنهما، ومزج بعضها ببعض، وألف منهما الأغاني التي صنعها من أشعار العرب، فأتى بما لم يُسْمَعْ بمثله، وكان يقال له: صَنَّاجَ العرب.

قال إسحاق: وكان ابن محرز قليل المخالطة للناس، فأخمل ذلك ذكره، فما يُذْكَرُ الآن غِنَاؤُهُ، وأخذت كل غِنَائه[1] جارية لصديق لـه من أهل مكة كانت تألفهُ، فأخذ الناس عنها، ومات بالجذام[2].

قال إسحاق: خرج ابن محرز يريد العراق فلقيه حُنَيْنُ[3]، فقال: كم مَنَّتْكَ نفسُك من العراق؟ قال: ألف دينار، قال: فهذه خمسمائة دينار، فخذهـا وانصرف، واحلف أن لا تعود[4].

قال إسحاق: ولم يعاشر الخلفاء، ولم يخالط الناس لأجل الداء الذي كان به، ولما شاع ما فعله حنين لامَهُ أصحابه، فقال: لو دخل العراق لما كان لي معه خبز آكله، ولأُطْرِحْتُ، وسقطت إلى آخر الدهر[5].

ومنهم:

٢ ـ ابن عَائِشَة[6]

طوى زمان الغناء بموت قرنائه، وأنسى إحسان المحسنين بغنائه، وأسس مالم يشيد على بنائه، حتى كان مجمع أولئك العشاق، وطراز حواشي تلك الأيام الرقاق، وألف من صغره مغازلة النساء، فجاء على غنائه تلك الرقة، وبان في أصواته الشّجية البكاءُ لتلك الفرقة، واتصل بالخلفاء اتصال أمثاله، وأتصف بما فات مراد الظرفاء مُنَى آماله.

---

(١) الأصل: عناية والتصحيح من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٥/١
(٣) انظر الترجمة رقم (٣) تالياً.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٥/١
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٥/١ ـ ٢٩٦.
(٦) أبو جعفر محمد بن عائشة، توفي نحو سنة ١٠٠هـ. انظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٤٦٣/٢.

قال أبو الفرج[1]: قال الوليد بن يزيد لابن عائشة: يا محمد أَلِبَغِيّة أنت؟ قال: لا، ولكن كانت أمي يا أمير المؤمنين ماشطة، وكنت غلاما، وكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة، فغلبت على نسبي.

قال إسحاق: أخذ الغناء عن معبد ومالك، ولم يموتا حتى ساواهما، وكان حسن الصوت يَفْتِنُ كل من سمعه، وابتداؤه الغناء كان يُضْرَبُ به المثل، فيقال: كأنه ابتداء ابن عائشة في الحسن[2].

قال يحيى المكي: ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حُلُوقاً: ابن عائشة[٥]، وابن بيرق، وابن أبي الكنات، قال: رأى[3] ابن أبي عتيق يوماً حلق ابن عائشة مخدّشاً، فقال: من فعل بك هذا؟ فقال: فلان، فمضى ونزع ثيابه، وجلس للرجل على بابه، فلما خرج، أخذ بتلابيبه، وجعل يضربه ضرباً شديداً، والرجل يقول: مالك تضربني؟ أي شئ صنعت؟ وهو لا يجيبه حتى فرغ منه، ثم خلاهُ، وأقبل على من حضر فقال: أراد أن يكسر مزامير داود، شدّ على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه[4].

قال صالح بن حيان[5]، وذكر يوماً المغنّينَ بالمدينة، فقال: لم يكن بها أحدٌ بعد طُويس أعلم من ابن عائشة، ولا أظرف مجلساً، ولا أكثر طيباً، وكان يصلح أن يكون نديم خليفه وسمير ملك[6].

قال إسحاق: كان ابن عائشة تائهاً سيئ الخلق، فإن قال لـــه إنسان: تغنَّ، قال: أَلِمِثِلي يقال هذا؟ فإن قال لـــه قائل وقد ابتدأ وهو يغني: أحسنت، قال: أَلِمِثِلي يقال أحسنت؟ وسكتَ، وكان قليلاً ما يُنْتَفَعُ به، فسال العقيق مرة، فدخل الماء عرصة سعيد بن العاص حتى ملأها، فخرج الناس إليها، وخرج ابن عائشة فيمن خرج، فجلس على قرن الثنية، فبينا هم

---

(١) الأغاني: ٤٦٣/٢

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤٦٣/٢

(٣) الأصل: لرأى، والمثبت من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٦٤/٢.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٤٦٤/٢.

(٦) في الأغاني: صالح بن حسان.

كذلك إذ طلع الحسن بن علي عليه السلام[1]، على بغلة وخلفه غلامان أسودان كأنهما الشياطين، فقال: أمضيا رويداً حتى تقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك، ثم ناداه الحسن: كيف أصبحت يا ابن عائشة؟ فقال: بخير فداك أبي وأمي، قال: أنظر من تحتك، فنظر فإذا العبدان، فقال لـه: أتعرفهما؟ قال: نعم،، قال: هما حرّان لئن لم تُغَنّ مئة صوت، لأمرتهما بطرحك، وهما حُرّان لئن لم يفعلا، لأُنكِلَنّ بهما ولآمرنَّ بقطع أيديهما، فاندفع ابن عائشة يغني، وكان أول ما ابتدأ به صوتٌ، وهو:[2] [مجزوء الوافر]

ألا لِـــلّـــهِ درُّك مِـــن   فَـــتَـــى قَـــوْمٍ إذَا هـــربـــوا[3]

ثم لم يسكت حتى غَنّى مئة صوت، فقال: إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوه ذلك اليوم، وكان آخر ما غنى به[4]: [البسيط]

قُلْ لـلـمـنـازِلِ بـالظّـهـرانِ قَـدْ حَـانـا   أَنْ تَـنْـطِـقِـي فَـتُـبـيـنـي الـيـومَ تِـبْـيَـانـا

قال جرير: ما رئي يوماً أحسن منه، وما بلغني أن أحدا تشاغل عن غنائه بشئ، ولا انصرف أحدٌ، لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ، ولقد تبادر الناس من المدينة[٦] وما حولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه، فما يقال إنه رُئي جمع في ذلك الموضع مثل ذلك اليوم، ولقد رفع الناس أصواتهم: أحسنت والله، أحسنت والله، ثم انصرفوا حوله يزفونه إلى المدينة[5].

قال علي بن الجهم: حدثني رجل أن ابن عائشة كان واقفاً بالموسم متحيراً، فمر رجلٌ من بعض أصحابه، فقال لـه: ما يقيمك ها هنا؟ قال: إني أعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس، فقال له الرجل: ومن ذاك؟ قال: أنا، ثم اندفع يغني:[6][الوافر]

جـــرَتْ سُنُحاً فقُلتُ لها أَجِيــزِي   نـوى مـشـمـولـةٌ فَـمـتـــى الّـلـقَـاءُ

---

(١) في الأغاني: الحسن بن الحسن وهو الصواب.

(٢) الشعر لأبي العيال الهذلي. أنظر الأصفهاني، الأغاني: ٢/٤٦٥

(٣) كذا في الأصل "هربوا" وفي الأغاني: رهبوا.

(٤) الشعر لعمر بن ابي ربيعه، الديوان: ٣٠٧

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢/٤١٤ ـ ٤١٥.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى: ٥٩.

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل، ومدت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة أن تقع، فأُتِيَ به هشامٌ، فقال: يا عدو الله أردت أن تفتن الناس، فأمسك عنه وكان تياهاً، فقال له هشام: ارفق بتيهك يا ابن عائشة، فقال: حَقّ لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أَنْ يَتِيْهَ، فضحك منه وخلى سبيله[١].

قال عمر[٢] بن شبة، قال شيخ من تنوخ: كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد، فرأيت عنده ابن عائشة، وقد غنّاه:[٣][الكامل].

إنــــي رأيــتُ عــشــيـــة الــنّــــفْــرْ ... حُـوراً نَـفَـيْـنَ عـزائـــمَ الـصّـبْـر[٤]

مـثـــل الـكـواكـبِ فـي مـطـالـعـهَـا ... بـعـدَ الـعـشَـاء أَطَـفْـنَ بـــالـبَـــدْرِ

وَخَـرَجْـتُ أبـغـي الأجـرَ مُـحْـتَـسِـبـاً ... فـــرَجَـعْـتُ مَـوْفُـوراً مـن الـــوِزْرِ

قال: فطرب حتى كفَرَ وألحدَ، فقال: يا غلام أسقينا بالسماء الرابعة، وكان الغناء يعمل فيه عملا يضلُّ عنه رشده من بعده، ثم قال: أحسنت والله يا أمير المؤمنين[٥]، أَعِدْ بِحَقِّ فلان، حتى بلغ من الملوك نفسه، فقال: أعِدْ بحياتي، فأعاد، فقام إليه فلم يبقَ عضو من أعضائه إلا قبّله، وأهوى إلى هَنِهِ فضم فخذيه، فقال: والعظيم لا تريم حتى أقبله، فأبداه له فقبله، ثم نزع ثيابه فألقاها على ابن عائشة، وبقي مُجَرّداً إلى أن أَتَوْهُ بغيرها، ووهبَ له ألفَ دينار وحمله على بغله، فقال: أركبها بأبي أنت وانصرف، فقد تركتني على مثل المِقْلَى من حرارة غنائك، فركبها على بساطه وانصرف[٦].

قال: وخرج ابن عائشة يوماً من عند الوليد بن يزيـــد وقد غنّاه[٧]:[الوافر]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٦٦/٢ ـ ٤٦٧، وجاءت في الأصل: مقدرة أن القلوب والتصويب من ترجمة عمرو بن أبي الكنات (ترجمة رقم ٦٣ تالياً) أذ وردت الحكاية هناك مرة أُخرى.

(٢) الأصل: عمرو والصواب ما أثبت ويكررها دائماً بصيغة عمرو لذلك صوبناها أينما وردت تالياً دون الإشارة.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٧٨/٢.

(٤) الأغاني: رأيت صبيحة

(٥) في الأغاني: يا أميري.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٤٧٨/٢ ـ ٤٧٩.

(٧) الأصفهاني: الأغاني: ٤٧٩/٢.

أَبَعْدَكَ مَعْقِلاً أرجو وَحِصْناً قد أعْيَتْنِي المعاقِلُ والحصُون

[٧] قال: فأطرق وأمر لـه بثلاثين ألف درهم، وبمثل كارة القصار ثياباً[١].

فَبَيْنَا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجلُ من أهل وادي القرى، كان يشتهي الغناء وَشُرْب النبيذ فدنا من غلامه وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المغني، فدنا منه، فقال: جعلت فداك، أنت ابن عائشة، أم أمير المؤمنين؟ قال: لا، بل أنا مولى لقريش، وعائشة أمي، وحسبك هذا، ولا عليك أن تكثر. قال: وما هذا [الذي][٢] أراه بين يديك؟ قال: المال والكسوة، قال: غنيت أمير المؤمنين صوتاً فأطربه، فكفر وترك الصلاة، وأمر لي بهذا المال والكسوة، فقال: جعلت فداك، فهل تَمُنُّ عليَّ أن تسمعني ما أسمَعتَهُ إياه، فقال لـه: ويلك أمثلي يكلم بهذا في الطريق؟ قال: فما أصنع؟ قال: اِلحَقْنِي بالباب، وحرك ابن عائشة بغلة شقراء كانت تحته لينقطع عنه، فغدا معه حتى أوفيا الباب كفرسي رهان، فدخل ابن عائشة فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف، فلم يفعل، حتى قال لغلامه: أدخله، فلما أدخله قال لـه: من أين صبك الله علي؟ قال: أنا رجل من أهل وادي القرى اشتهي هذا الغناء، قال لـه هل لك فيما هو أنفع لك منه؟ قال: وما ذلك؟ قال: مائة دينار وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلك، قال لـه: جعلت فداك إن لي لبُنيةً ما في أذنها ـ علم الله ـ حلقة من الورق فضلاً عن الذهب، وإن لي زوجة ما عليها ـ شهد الله ـ قميص، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلة[٣] والفقر الذي عَرَّفْتُكَهُما وأضعفت لي ذلك، لكان الصوت أحبَّ إليّ، وكان ابن عائشة تائها لا يغنى إلَّا لخليفة، أو لذي قدرٍ جليل من إخوانه، فعجب منه وغناه الصوت، فطرب طرباً شديداً وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عُنُقه ستنقصف، ثم خرج من عنده ولم يزده شيئاً، وبلغ الخبر الوليد بن يزيد، فسأل ابن عائشة عنه فجعل يغيب عن الحديث، فعزم عليه الوليد فعرفه، فأمر بطلب الرجل فأحضره ووصله بصلة سَنِيّةٍ وجعله من جملة ندمائه ووكّله بالسقي، فلم يزل معه حتى مات[٤].

قال يونس الكاتب: كنا يوما متنزهين بالعقيق أنا وجماعة من قريش، فبينا نحن [على][٥]

---

(١) الأصفهاني: الأغاني: ٤٧٩/٢.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الأصل: الخلعة، والمثبت من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٧٩/٢.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

حالنا، إذ أقبل ابن عائشة ومعه غلام من بني ليث وهو مُتَوكّئ على يده [٨] فلما رأى اجتماعنا وسمعني أغني، جاءنا فَسَلّمَ وجلس إلينا وتحدث معنا، وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه إذا سئل أن يغني، فأقبل بعضهم على بعض يتحدثون بأحاديث كُثَيِّر وجميل وغيرهما، يستخرجون بذلك أن يطرب فيغني، فلم يجدوا عنده ما أرادوا، فقلت لهم أنا: حدثني بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث، فإن شئتم حدثتكم إياه، قالوا: هات، قلت: حدثني هذا الرجل أنه مَرّ بناحية الرّبَذة، فإذا صبيان يتغاطسون في غدير، فإذا شاب جميل منهوك الجسم، وعليه آثار العلة، والنحول في جسمه بيّنٌ، وهو جالس ينظر إليهم فسلمت فرد السلام وقال: من أين وضح الراكب؟ فقلت: من الحمى، قال: ومتى عهدك به؟ قلت: رائحاً، قال: وأين كان مبيتك؟ قلت: ببني فلان، قال: أوَّه، وألقى نفسه على ظهره وتنفس الصعداء تنفساً، قلت: قد خرق حجاب قلبه، ثم أنشأ يقول:[١] [الطويل].

سَقى بلداً أَمْسَتْ سُليمى تَحُلـهُ ... مـن المـزن مـا يـروي بـه ويُسيـمُ

وإنْ لـم أكـن مـن قاطنيه فإنـه ... يـحـلُّ بـه شـخـصُ عـلـيَّ كـريـمُ

ألا حبـذا مـن [ليس] يَـعْـدِلُ قُـرْبَـه ... لـديّ وإن شـطّ المـزارُ نـعيـمُ[٢]

ومـن لامـنـي فيـه حـميمٌ وصاحـبٌ ... فَـرُدّ بـغـيـظٍ صاحـبٌ وحـمـيـمُ

ثم سكت كالمغشي[٣] عليه، فصحت بالصبيان، فأتوا بماء فصببته على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:[٤] [الوافر].

إذا الـصـبُّ الـغـريـبُ رأى خُـشـوعـي ... وأنـفـاسـي تَـزَيَّـنَ بـالـخـضـوع[٥]

ولـي عـيـنٌ أضَـرّ بـهـا الـتّـفَـاتـي ... إلـى الأجـراع مـطـلـقـةُ الـدمـوعِ

إلى الـخـلـوات يـأنـسُ فيـكَ قلـبـي ... كَـمَـا أَنِـسَ الـغـريـبُ إلـى الـجـمـيـعِ

فقلت لـه: أَنْزِلُ فأساعدك، وأكثر عَوْدي علي بذي الحمى، في حاجة إن كانت لك،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٢/٢

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٣) الأصل: بالمغشي، والمثبت من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٣/٢

(٥) في الأغاني: بالخشوع بدلاً من بالخضوع.

أو رسالة؟ قال: جُزِيْتَ الخيرَ وَصَحبتْكَ السّلامةُ أمْضِ لِطَلِبَتِكَ، فلو علمتك أنك تغني عني شيئاً لكنت موضعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة، ولكنك ادركتني في صُبابةٍ من الحياة يسيرة، فانصرفْتُ وأنا لا أراه يمسي ليلته إلّا ميتاً، فقال القوم: ما أعجب هذا الحديث [٩] فاندفع ابن عائشة فَغَنّى في الشعرين جميعاً فطرب وشرب بقية يومه، ولم يزل يغنينا إلى أن انصرفنا(١).

قال: وتوفي ابن عائشة في أيام الوليد بن يزيد، وقيل: في أيام هشام. قال المدائني، [حدثني](٢) بعض أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد، وقد أجازه وأحسن إليه، فجاء بما لم يأت أحد بمثله من عنده، فلما قرب من المدينة نزل بذي خُشُب على أربعة فراسخ من المدينة، وكان واليها إبراهيم بن هشام المخزومي ولاه هشام وهو خاله، وكان في قصره هناك، فقيل لــه: أصلح الله الأمير، هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد، فلو سألته أن يقيم عندنا اليوم فيطربنا وينصرف من غد، فدعاه فسأله المقام عنده، فأجابه إلى ذلك، فلما أخذوا في شرابهم، أخرج المخزومي جواريه، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمز جارية منهن، فقال لخادمه: إذا خرج ابن عائشة يريد حاجة فارم به، وكانوا يشربون فوق سطح يشرف على بستان، فلما قام ليبول، رمى به الخادم من فوق السطح فمات، فقبره هناك، قال: وقال قوم: بل قدم المدينة فمات بها. قال: فلما مات، قال ابن عائشة(٣): قد قلت لكم، ولكن لا يغني حذر من قدر، زوجوا ابن عائشة من ربيحة الساسانية يخرج من بينهما مزامير داود، فلم تفعلوا، وجعل يبكي، والناس يضحكون منه(٤).

٣ ـ حنين الحيري(٥)

مطرب لا يرتفع لديه رأس مطرق، ولا ينتفع مع أمل متشوق، من سَرَاةِ أهل الغناء، وَسُرَاةِ الطرب للغناء، يكاد سامعه يخرج من إهابه ويحرق بالتهابه، ما حرَّكَ عُوْدَه إلا فغم، ولا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٢/٢ ـ ٤٨٣.

(٢) زيادة يقتضها السياق.

(٣) كذا في الأصل، وفي الأغاني: قال أشعب

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٤/٢ ـ ٤٨٥

(٥) حنين بن بلوع الحيري المغني، أُشهر مغني في العراق في العصر الأموي، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٥٦٠/٢.

نبتِ شفة إلَّا في نغم، لو سمعه جبل لتحرك، أو دخل في أذن سوقةٍ لظن أنه قد تملك، وهو القائل:[1] [المسرح]

أنا حُنينٌ ومنزلي النَّجَفُ	وما نديمي إلَّا الفتى القَصِفُ
اقرع بالكأسِ بطنَ باطيةٍ	مترعةٍ تارةً وأَغْتَرِفُ
من قهوةٍ باكرَ التِّجارُ بها	باب يهود قرارُها الخزفُ
فالعيشُ غضٌ ومنزلي خَصِبٌ	لم تعدُ لي شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

قال إسحاق: قيل لحنين: أنت تغني من نحو خمسين سنة، ما تركت لكريم مالاً ولا عقاراً إلا أتيت عليه، فقال: بأبي أنتم، إنما هي أنفاسي أقسمها بين الناس، أفتلومونني أن أغلي بها الثمن؟ وكان حنين قد رحل إلى عمر الوادي وحكم الوادي وأخذ منهما، وغنى لنفسه في أشعار الناس[١٠] فأحكم الصنعة، ولم يكن بالعراق غيره، فاستولى عليه من عصره، وقدم ابن محرز حينئذ إلى الكوفة، فبلغ حنينا خبره، فخاف أن يعرفه الناس فيستحلونه ويسقط هو، فلقيه فقال: كم مَنَّتْكَ نفسك من العراق، قال: ألف دينار، قال: فهذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف[2].

قال: وكان بعض ولاة الكوفة في أيام بني أمية يذم الحيرة، فقال له رجل من أهلها: أتعيب بلدة يضرب بها المثل في الجاهلية والإسلام، قال: وبماذا تمدح؟ قلت: بصحة هوائها، وطيب مائها، ونزهة ظاهرها، تصلح للخف والظلف، سهل وجبل، بادية وبستان، بر وبحر، محل الملوك ومرادهم، ومسكنهم ومأواهم، وَقَدِمْتَهَا ـ أصلحك الله ـ مُخِفَّاً فأصبحت مُثْقَلاً، ووردتها مُقِلاً فَأصارتْكَ مُكْثِراً، قال: وكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل؟ قال: تصير إليها، ثم أدع بما شئت من لذات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه، قال: فاصنع لي صنيعا، وَاخْرُجْ من قولك، قال: أفعل، فصنع لهم طعاماً فأطعمهم من خبزها وسمكها، وما صِيْدَ من وحشها من ظباء، ونعام، وأرنب، وحباري، وسقاهم ماءها في قلالها، وَخَمْرَها في آنيتها، وأجلسهم على رَقْمَتِها، ولم يستخدم لهم عبداً ولا حراً إلا من مولداتها، ووصائف كأنهم اللؤلؤ، لغتهم لغة أهلها، ثم غناهم حنين وأصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم، وأعشى

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥٦٠/٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥٦٠/٢ ـ ٥٦٢

همدان، لم يتجاوزهما، وحياهم برياحينها، ونقلهم بفواكهها، ثم قال: رأيتني استعنت على شئ مما رأيت، وأكلت وشربت، وشممت وسمعت، بغير ما في الحيرة؟ قال: لا، ولقد أحسنت في صِفَةِ بلدك، وأحسنت نصرته، والخروج مما ضمنته، فبارك الله لكم في بلدكم[١].

قال عبيد بن حنين الحيري: كان المغنون في عصر جدي أربعة نفر، ثلاثة بالحجاز، وهو وحده بالعراق، فالذين بالحجاز[٢] ابن سريج والغريض ومعبد، وكان بلغهم أن حُنيناً قد غنى في هــذا الشعر:[٣] [الكامل].

هَلا بكيتَ على الزَّمَان الذاهبِ ... وكَفَفْتَ عَنْ ذَمِّ المشِيْبِ الآيبِ[٤]

هَلا وُربَّ مُسوّفينَ سَقَيْتُهُمْ ... مِنْ خَمْرِ بَبِلَ لَذَّةً للشَّارب

بكروا عليَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ ... بإناءِ ذي كرمٍ كَقَعْبِ الحالبِ[٥]

[١١] بزجاجة ملء اليدينِ كَأنَّها ... قنديلُ فِصْحٍ في كنيسةِ رَاهِبِ

قال: فاجتمعوا فتذاكروا جَدِّي، وقالوا: ما في الدنيا أهل صناعة شَرٌ مِنّا، لنا أخ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نستزيره، اكتبوا إليه، فكتبوا إليه، ووجهوا إليه نفقة، وقالوا: نحن ثلاثة وأنت واحد، فأنت أولى بزيارتنا، فشخص إليهم، فلما كان على مرحلة من المدينة، بلغهم خبره، فخرجوا يتلقونه، فلم ير يوم كان أكثر حشداً ولا جمعاً يومئذ، ودخلوا المدينة، فلما صاروا ببعض الطريق، قال لهم معبد: صيروا [إليّ][٦]، قال ابن سريج: إن كان لك في اليسر والمروءة ما لمولاتي سكينة بنت الحسين عطفنا إليك، فقال: مالي من ذلك شئ، فعطفوا على منزل سكينة، فأذنت لهم إذناً عاماً، فَغَصَّتِ الدَّارُ بهم، فصعدوا في السطح، وأمرت لهم بالأطعمة، فأكلوا، ثم سألوا جدي أن يغنيهم صوته:

هــلا بــكــيــت عــلــى الــشــبــاب الــذاهــب

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢/٥٦٧.

(٢) الأصل: بالحجاج والتصحيح في الأغاني.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢/٥٦٩.

(٤) في الأغاني: الشباب بدلاً من الزمان.

(٥) في الأغاني: من ذات كوب مثل قصب الحالب

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

فعناهم بعد أن قال[1]: ابدأوا أنتم [قالوا][2] ما كنا لنتقدمك حتى نسمع هذا الصوت، فغناهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتاً، فازدحم الناس على السطح وكثروا يسمعونه، فسقط الرِّوَاقُ على من تحته، فسلموا جميعاً وأخرجوا أصحابه سوى حنين، فإنه مات وحده تحت الهدم، فقالت سكينة: لقد كَدَّرَ حُنَيْنُ سرورنا، انتظرناه مدة طويلة، كأننا كُنَّا نَسُوقُهُ إلى مَنِيَّتِهِ[3].

٤ ـ الغَرِيْضُ[4]

لا يناضل على غرض، ولا يفاضل في عرض، كان أشجى من النوائح، وأهزَّ للكريم من المديح، لو أصغت إليه الحمائم لخلعت عليه أطواقها أو الحوائم لما بلت بغيره أشواقها، لا يدع عَبْرَةً لم تُسْكَب، ولا حشاشة لم تُسْلَبْ، ولا زمان صبا لم يُذكر، ولا ذيول صبابةٍ لم تُسْحَبْ. أخذ الغناء في أول أمره عن ابن سريج، لأنه كان يخدمه، فلما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقة خشي أن يأخذ غناءه فيغلبه بصوته وحسن وجهه، فحسده وَاعْتَلَّ عليه، وجعل يَتَجَنَّى عليه فيطرده، فشكا ذلك إلى مولياته وَأَعْلَمَهُنَّ غرض ابن سريج في تنحيته إياه عنه، وأنه حسده على تقدُّمِهِ [١٢] فَقُلن لــه: هل لك أن تسمع نوحنا على قتلانا، فتأخذه وَتُغَنّى عليه؟ قال: نعم، فأسمعنه المراثي فاحتذاه، فخرج غناؤه عليها، وكان ينوح مع ذلك، ويدخل المآتم، وتضرب دونه الحجب، ثم ينوح فيفتن كل من سمعه. ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما فيه من الشجا، وكان ابن سريج لا يغني صوتاً إلَّا عارضه، فغنى فيه لحناً آخر، فلما رأى ابن سريج موضع الغريض، اشتد عليه وحسده، فغنى الأرمال والأهزاج، فاشتهاها الناس، وقال الغريض: يا أبا يحيى، قصرت الغناء وحذفته، قال: نعم يا مُخَنَّث، جعلت تنوح على أبيك وأمك[5].

قال إسحاق: سمعت جماعة من البصراء بالغناء قد أجمعوا على الغريض أشجى غناءً وابنَ سريج أحكمُ صنعةً[6].

---

(١) الأصل: قالوا، والمثبت من الأغاني.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥٦٩/٢ ـ ٥٧٠.

(٤) أبو يزيد وابو مروان عبد الملك مولى العبلات، توفى سنة ٩٥ هـ. انظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٣/٢.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٣/٢ ـ ٥٧٤

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٥/٢

قال بعض أهل العلم بالغناء: لو حكمت بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فرقت بينهما، وإنما تفضيلي أبا يحيى بالسبق، فأما غير ذلك فلا، لأن أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف، وكذلك قالت سُكَيْنَةُ لما غَنَّى الغريض وابن سريج: [السريع]

عوجي علينا رَبَّةَ الهودج

والله ما أفرِّقُ بينكما، وما أنتما عندي إلا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان، لا يُدْرَى أي ذلك أحسن(١).

قال يونس الكاتب: أمر بعض أمراء مكة بإخراج المغنين من الحرم، فلما كانت الليلة التي عزم على النفي فيها، اجتمعوا في غَدِها إلى أبي قُبَيْس، وكان مَعْبَدُ قد زارهم، فبدأ فَغَنّى:(٢) [الطويل]

أتِربَيَّ من عُليا مَعَدٌّ هديتما ... أجِدًّا البُكا إنَّ التفرُّقَ باكرُ
فَمَا مكْثُنَا دامَ الجميلُ عَلَيكُما ... بثَهْلانَ إلا أنْ تَزَمَّ الأباعرُ(٣)

قال: فتأوه أهل مكة وأنوا وتمحصوا، واندفع الغريض يغنى ويقول:(٤) [المديد]

أيها الرائحُ المجِدُّ ابتكارا

واندفع ابن سريج يغني ويقول:(٥) [الخفيف]

جَدِّدي الوَصْلَ يا قُرَيبُ وُجودي ... لِمحبٍّ خيالُهُ قد ألما(٦)

فاندفع الصراخ في الدور بالويل والحَرَبِ، واجتمع الناس إلى الأمير يستغفرونه[١٣] من نفيهم فأعفاهم(٧).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٤/٢.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٦/٢.
(٣) الأصل: ثبهار إلا أن تزم والتصحيح من الأغاني.
(٤) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٤٩٣
(٥) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٥٠١
(٦) في الديوان: ياسكين بدلاً من يا قريب.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٥/٢ ـ ٥٧٦.

قال أبو الفرج[1]: أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعدي قال: حضرت شبطاء المغنية جارية علي بن جعفر ذات يوم وهي[2] تغني[3]: [الخفيف]

لَيسَ بينَ الرَحِيلِ وَالْبَيْنِ إلا أن تَرُدُّوا جِمَالَهُم فَتُزَمَّا

فطرب علي بن جعفر وصاح: سبحان الله لا يكون قربه ولا يشدون ألا يعقلون بشعره، لا تسلمون على جار، هذه والله العجلة.

قال إسحاق: بلغني أن سكينة حَجَّتْ، فدخل إليها ابن سريج والغريض، فقال لها ابن سريج: يا سيدتي إن كنت صنعتُ صوتاً وَحَسَّنْتُه وَتَنَوّقْتُ فيه، وخَبّأتُهُ لك في درجٍ مملوس مسكاً، فَنَازَعَنيهِ هذا الفاسق ـ يعني الغريض ـ وأردنا أن نتحاكم إليك فيه، فأينا قدمتيه تَقَدَّم، قالت: هاته، فغناها:[4] [السريع]

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الهودجِ إنكِ إنْ لَم تَفْعَلِي تَحْرَجِي

فقالت: هاته أنت يا غريض فغناها إياها، فقالت لابن سريج: أَعِدْهُ، فأعاده، فقالت: أَعَدْهُ يا غريض فأعاده، فقالت: ما أشبهكما إلا بالجديين الحار والبارد، لا أدري أيهما أطيب[5].

قال إسحاق: ولي قضاء مكة الأوقصُ المخزوميُّ، فما رأى الناس مثلة في عفافه ونبله، فإنه لنائم في جناح، إذ مَرَّ به سكران يغني:

عُّوجَي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ

فلم يُجده، فقال له: يا هذا شَرِبْتَ حَراماً، وأيقظت نياماً، وغنيتَ خطاءً، خذه عَني، فاصلحه له وانصرف[6].

قال: خرج ابن أبي عتيق على نجيب له من المدينة، قد أَوْقَرَهُ من طُرَفِها المآرب وغير

---

(١) الأغاني: ٥٧٦/٢
(٢) الأصل: وهو، والمثبت يقتضيه السياق.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٦/٢
(٤) العرجي، الديوان: ١٨٩.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٧/٢
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٨/٢ ـ ٥٧٩.

ذلك، فلقي فتى من بني مخزوم مقبلاً من بعض ضياعة، فقال: يا ابن أخي أتصحبني؟ قال: نعم، قال المخزومي: فمضينا حتى إذا قربنا من مكة جزناها، فصرنا إلى قصر، فاستأذن ابن أبي عتيق، فأذن لــه، فدخلنا فإذا رجل جالس كأنه عجوز ويداه مختضبة لا شك في ذلك، فإذا هو الغريض قد كبر، فقال لــه ابن أبي عتيق: تشوقنا إليك، وأهدى له ما كان معه، ثم قال: نحب أن نسمع:

عُـــوجِـــي عـلـيـنـا رَبَّـــةَ الـهَـــوْدّجِ

فقال: أدعو فلانه، جاريةُ لــه، فجاءت فغنت، فقال لها: مَا صَنَعْتِ شيئاً، ثم حل خضبه[١٤] وغنى:

عُـــوجِـــي عـلـيـنـا رَبَّـــةَ الـهَـــوْدّجِ

فما سمعتُ أحسنَ منه، فأقمنا عنده أياماً كثيراً، وَخَبَّازُهُ قائم، وطعامه كثير، ثم قال ابن أبي عتيق: إني أريدُ الشخوصَ، فلم يبق بمكة تحفة عدني ولا يماني ولا عود إلَّا أوقر به راحلته، فلما رحلنا وزمرنا(١)، صاح به الغريض: هي هي، فرجعت إليه، فقال: ألم ترووا عن النبي ﷺ: يُحشرُ من بقيعنا هذا سبعون الفاً على صورة القمر ليلة البدر؟ فقال له ابن [أبي](٢) عتيق: بلى، فقال: هذا سِنٌّ انتزعت فأحب أن تدفنها لي بالبقيع، فخرجنا والله ولم ندخل المدينة حتى دفناها بالبقيع(٣).

قال: خرج الغريض مع قوم فغناهم هذا الصوت(٤): [الطويل]

جرى نـاصحٌ بـالـودِّ بَـيـنْـي وبَـيْـنـهَـا　　　فَـقَـرَّبـنَـي يـوم الـخـضـاب إلـى قَـتْـلـي

فاشتد سرور القوم، وكان معه(٥) غلام فأعجبه، فطلب إليهم أن يُكَلّموا الغلام في الخلوة معه، ففعلوا، وانطلق مع الغلام حتى توارى بصخرة، فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى القوم، وأقبل الغريض يتناول حجراً حجراً ويقرع به الصخرة، ففعل ذلك مراراً، فقالوا: ما هذا يا أبا

---

(١) في الأغاني: وبرزنا.

(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٩/٢.

(٤) عمر بن ابي ربيعة، الديوان: ٣٣٤.

(٥) في الأغاني: معهم.

زيد؟ فقال: كأني بها وقد جاءت يوم القيامة رافعة ذيلها تشهد علينا بما كان منا إلى جانبها، فأردت أن أجرح شهادتها على ذلك اليوم.

والشعر الذي غناه لعمر ابن أبي ربيعة:

جــرَى نـاصحٌ بـالـوُدِّ بَيْنِـي وبَيْنَـهـا ... فـقَـرَّبَـنِـي يـومَ الـخِـضَـابِ إلـى قَـتْـلِـي
فـقـالَـتْ وَأَرخَـتْ جَـانِـبَ الـسِّـتْـرِ إنَّـمـا ... معي فَـتَـحَـدَّثْ غَـيْـرِ ذِي رِقْـبَـةٍ أَهْـلِـي
فـقُـلْـت لَـهَـا مـا بـي لَـهُـم مَـنْ تَـرَقُّـبٍ ... وَلَـكِـــنَّ سِـرِّي ليسَ يَـحْـمِـلُـهُ مِثْلي[1]

قال الزبير: رأيت علماءنا جميعاً لا يشكون في أن أحسن ما يروون في حفظ السِّرّ قول ابن أبي ربيعة:

وَلــكِــنْ سِــرِّي لَــيْــسَ يَــحْــمِــلُــهُ مِــثْــلِــي[2].

قال المدائني: بلغني أن الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة ينشد هذه القصيدة، فلما بلغ إلى قوله:

فـقُـمْـنَ وقـــد أفْـهَـمـنَ ذا الُـلـبِّ إنَّـمـا ... فَعَلْنَ الذي يَفْعَلْنَ مِنْ ذاك من أجلي

فصاح الفرزدق وقال: [هذا][3] والله الشعر [الذي][4] أرادته الشعراء فاخطأته وبكت الديار[5].

[١٥] قال مصعب الزبيري: اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه، فقالت سكينة: أنا لَكُنَّ به، فبعثت رسولاً إليه، ووعد الصَّورين ليلة سمتها لــه، فوافاها على راحلته ومعه الغريض، فَحَدَّثَهُنَّ حتى رأى الفجر وحان انصرافهن، فقال لها: والله إني لمشتاق إلى قبر رسول الله ﷺ، والصلاة في مسجده، ولكن والله لا أخلط زيارتكن بشى، ثم انصرف إلى مكة، فقال:[6] [البسيط]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٩/٢ ـ ٥٨٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥٨١/٢.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥٨١/٢ والإضافة منه.
(٦) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٣٩١.

أَلْـمِـم بِـزَيْـنَـبَ إنَّ قَـدْ [أَفِـدا] أقلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كانَ الرَّحِيْلُ غَداَ[1]
قد حَلَفَتْ ليلَة الصَّورين جَاهِدةً وما على الُحر إلا الَّصبْرُ مُجْتَهِدا
لأُخْتِهـا ولأُخرى من مناصِفِهـا لـقـد وجدتُ به فوقَ الـذي وَجَداَ
لَعَمْرهـا مَا أراني إنْ نَوىً نَزَحَتْ وهكـذا الحـبُّ إلا مَيِّتـاً كَمَداَ

قال: يا غريض، أني أريد أن أخبرك بشئ يتعجل لك نفعه، ويبقى ذكره، فهل لك فيه؟ قلت: من ذاك ما أنت أهله، قال: أني قد قلت في الليلة التي كنا فيها شعراً، فأمض به إلى النسوة فأنشدهن ذلك، وأخبرهن أني قد وجهت بك عامداً، قال: نعم، فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد لسكينة، وقال لها: جُعِلتُ فداك سيدتي ومولاتي، إن أبا الخطاب ـ أبقاه الله ـ وجهني إليك قاصداً، قالت: أوليس في خير وسرور وبركةٍ؟ قال: نعم، قالت: وفيم وجَّهك أبو الخطاب حفظه الله؟ قال: جُعلتُ فداك، إن ابن أبي ربيعة حمَّلني شعراً، وأمرني أن أنشدك إياه، فقالت: هاته، فأنشدها:

أَلـمِـم بِـزَيْـنَـبَ إنَّ الـبـيـنَ قَـدْ أَفِـدا قلَّ الثَّواءُ لئن كانَ الرَّحِيـلُ غَدا

الشعر كله، فقالت: يا ويحه ما كان عليه ألا يرحل في غد، فوجهت إلى النسوة، فجمعتهن وأنشدتهن الشعر، وقالت للغريض: هل عملت فيه شيئاً؟ قال: قد غنيت ابن أبي ربيعة، قالت: فهاته، فغناه الغريض، فقالت سكينة: أحسنت والله، وأحسن أبن أبي ربيعة ولولا أنك سبقت وغنيته أبن أبي ربيعة لأحسنَّا جائزتك، يا بُنَانَةُ أعطه لكل [بيت][2] الف درهم، فأخرجت بأبياته أربعة آلاف درهم، فدفعتها إليَّ، وقالت سكينة: لو [١٦] زادنا عمر لزدناك[3].

قال محمد بن سلام: حجت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، فجاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن، وكان الغريض ممن جاء، ودخل النسوة عليها، فأمرت لهُن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن جاءتها، فجعلت كل واحدة تخرج ومعها جاريتها تحمل ما أمرت لها به عائشة، والغريض بالباب، حتى خرج مولياته مع جواريهن الخلع، فقال الغريض:

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الديوان.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥٨٤/٢ ـ ٥٨٥

أين نصيبي من عائشة؟ فقلن لـه: أغفلناك وذهبت عن قلوبنا، فقال: ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظى منها، فإنها كريمة، واندفع يغني بشعرجميل[1]: [الطويل]

تَـذكـرتُ لـيـلـى والـفــؤادُ عـمـيـدُ وشـطَّـت نَـوَاهـا والـمـزارُ بَـعِـيْـدُ

فقالت: ويلكم، هذا مولى العبلات بالباب قد ذكر بنفسه، هاتوه، فدخل، فلما رأته ضحكت، ثم قالت: لم أعلم بمكانك، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها، ثم قالت له: إن رأيت غَنَّيْتني صوتاً في نفسي، فلك حُكْمُكَ، فَغَنَّاها في شعر كُثير[2]: [الطويل]

ومـا زِلْـتُ فـي لـيـلـى لَـدُنْ طرَّ شـاربـي إلـى الـيـوم أُخْـفِـي حُـبَّـهـا وأداجــنُ
وأَحـمِـلُ فـي لـيـلـى لـقـلـبي ضَـغِـيْـنَـةً وتُـحْـمَـلُ فـي لـيـلـى علـيَّ الضَّغَـائِـنُ[3]

فقالت: ما عدوت والله ما في نفسي، ووصلته وأجزلت، قال إسحاق: فقلت لأبي عبد الله: فهل علمت هذين البيتين؟ ولم سألت الغريض ذلك؟ قال: نعم، حدثني أبي قال: قال الشعبي: دخلت المسجد فإذا بمصعب بن الزبير على سرير جالس، والناس حوله، فسلمت، ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي: إدن، فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، ثم قال لي: إذا قمت فاتبعني، فجلس قليلاً ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة، فتبعته، فلما طعن في الدار، التفت إليَّ فقال: أدخل فإذا حجلة، وإنها لأول حجلة رأيتها لأمير، فقمت ودخلت الحجلة، فسمعت حركة، كرهت الجلوس، ولم يأمرني بالانصراف، فإذا جاريته قد خرجت، فقالت: يا شعبي، إن الأمير يأمرك أن تجلس، فجلست على وسادة، ورفع سجف الحجلة، فإذا أنا بمصعب بن الزبير، ورفع السجف الآخر، فإذا أنا بعائشة بنت طلحة، لم أر زوجاً قط كان أحسن منهما: مصعب وعائشة، فقال مصعب: يا عائشي[4] هل تعرف هذه؟ قلت: نعم [١٧] أصلح الله الأمير، قال: ومن هي؟ قلت: سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة، قال: ولكن هذه ليلى يقول فيها الشاعر:

ومـا زالــتُ فــي لــيـلــى لــدنُ طَـرَّ شــاربــي

(١) جميل، الديوان: ٦٣.
(٢) كثير، الديوان: ٣٥٨.
(٣) في الديوان: لقوم بدلاً من لقلبي.
(٤) كذا في الأصل، وفي الأغاني: يا شعبي

ثم قال: قم إذا شئت، فقمت، فلما كان العشيُ رحتُ، فإذا هو جالس في المسجد على سرير، فسلمت عليه، فلما رآني قال: أدن مني، فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، فأصغى إلي وقال: رأيت مثل ذلك الإنسان قط؟ قلت: لا والله، قال: افتدري لم أدخلناك؟ قلت: لا، قال: لتُحَدَّثْ بما رأيت، ثم التفت إلى عبد الله بن فروة، فقال: أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً، وانصرف، وما انصرف أحد بمثل ما انصرفت بعشرة آلاف درهم، وبمثل كارة القصار ثياباً، وبنظرة من عائشة بنت طلحة[1].

قال: وكانت عائشة بنت طلحة عند عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان أبا عذرتها، ثم هلك، وتزوجها مصعب بن الزبير فقتل، ثم تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر، فبنى بها بالحيرة، ثم انصرف عن سبع مرات تلك الليلة، فلقيته مولاة لـه حين أصبح، فقالت: يا أبا حفص، كَمُلتَ في كل شئ حتى في هذا، فلما مات ناحت عليه قائمة، ولم تنح على أحد منهم، وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمة على زوجها، علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده، فقيل لها: يا عائشة ما صنعت هذا بأحد من أزواجك، قالت: إنه كان أقرب مني قرابة، وأردت أن لا أتزوج بعده[2].

وقال: وفد يزيد بن عبد الملك مكة، فبعث إلى الغريض سراً، فأتاه فغناه بهذا اللحن في شعر كُثير[3]: [الطويل]

وإنّـي لأرعـى قـوَمَـهـا مـن جَـلالِـهـا ... وإن أظهـروا غشـاً نَصَحـتُهـمُ جَهـدي
ولـو حَـارَبُـوا قـومـي لَكُـنـتُ لـقـومِـهَـا ... صديقاً ولـم أَحمِلْ على قومِهاَ حِقدِي

فأشير إلى الغريض أن أسكت، وفطن يزيد، فقال: دعوا أبا يزيد يغنيني بما يريد، فأعاد عليه الصوت مراراً، ثم قال: زدني مما عندك، فغناه في شعر عمرو بن شأس الأسدي:[4] [الطويل]

فَـواً نَـدَمـي عـلـى الـشَّـبَـاب وَوَا نَـدَم ... نَـدِمـتُ وبـانُ الـيـومَ منِّـــي بغيـــر ذَم

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢/٥٨٦ ـ ٥٨٧
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢/٥٨٧.
(٣) كثير، الديوان:١٣٥.
(٤) الديوان: ٨٠.

أردت عِـرَاراً بـالـهـوانِ وَمَـن يُـرد عِراراً لَعَمري بالهوَانِ فَقَد ظَلَمْ [١٨]

وقال: فطرب يزيد وأمر له بجائزة[١] سنيةٍ[٢].

قال إسحاق: فحدثت أبا عبد الله بهذا الحديث، وكان قد أخذنا في أحاديث الخلفاء، ومن كان يسمع الغناء، فقال أبو عبد الله: كان قدم يزيد مكة وبعثهُ إلى الغريض سراً قبل أن يُستخلف، قلت له: فلم أشير إلى الغريض: اسكت حيثُ غناه:

وإني لأرعـــىَ قومَهـــا مِـــن جـــلالِـــهَـــا

وما السبب في ذلك؟ قال: أنا أحدثك، حديث أبي قال: كان عبد الملك بن مروان أشدَّ الناس حباً لعاتكة بنت يزيد بن معاوية إمرأته، وهي أم يزيد بن عبد الملك، فغضبت مرة على عبد الملك، وكان بينهما باب فأغلقته فشق غضبها على عبد الملك، وشكاه إلى خاصته، فقال له عمرو بن بلال الأسدي: مالي عندك إن رضيت؟ قال: حكمك، فأتى بابها، فجعل يتباكى، وأرسل إليها بالسلام، فخرجت إليه حاضنتها وجواريها، فقلن: مالك؟ قال: فزعت إلى عاتكة في أمر رجوتها لـــه، فقد علمت مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعده، قلن: ومالك؟ قال: ابناي لم يكن لي غيرهما، فقتل أحدُهُمَا صاحبهُ، وقال أمير المؤمنين: أنا قاتل الآخر به، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا الولي وقد عفوت، قال: لا أعودُ الناس هذه العادة، وقد رجوت أن يحيي الله ابني هذا على يدها، فدخلن عليها فذكرن لها ذلك، فقالت: فكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرت له؟ قلن: إذاً والله يُقتَلُ، فلم نزل بها حتى دعت ثيابها فأحضرتها، ثم خرجت نحو الباب، وأقبل جريج الحصيني فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عاتكة قد أقبلت، قال: ويلك ما تقول، قد والله طلعت فأقبلت فسلمت، فلم يرد عليها السلام، فقالت: والله لولا عمرو ما جئت، تَعَدَّى أحدُ ولديه على الآخر، وأردت قتل الآخر، وهو الولي، وقد عفا، قال: إني أكره أن أعود الناس هذه العادة، قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، قد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية، ومن أمير المؤمنين يزيد، وهو ببابي، فلم تزل به حتى أخذت رجله فقبلتها، فقال: هو لك، فلم يبرحا حتى اصطلحا، ثم راح عمرو بن بلال على عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيت؟ قال: رأينا أثرك، فهات حاجتك، قال: مزرعة بعبيدها وما فيها وألف دينار، وفرائض لولدي وعيالي،

---

(١) في الأصل: بجارية، والمثبت من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥٨٨/٢ ـ ٥٨٩

قال: ذلك لك، ثم اندفع عبد الملك [١٩] فتمثل بقول كثير: [الطويل]

وإنـي لأرعَـى قـومَـهـا مِـنَ جَـلالِـهَـا

ثم فعلت عاتكة ما أراد، فلما غَنى يزيد هذا الشعر، كره مواليه، إذ كان عبد الملك تمثل به في أمه(١).

قال عبد الملك(٢): وأما خبره لما غنى بشعر عمرو بن شأس، فإن ابن الأشعث لما قتل، بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس، فلما ورد به، وأوصل كتاب الحجاج إليه، جعل عبد الملك يقرأه، وكلما شك في شئ سأل عراراً عنه فأخبره، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال عبد الملك متمثلاً(٣): [الطويل]

وإن عَـرَاراً إنَ يـكُـنْ غـيـرَ واضـحٍ　　　فإني أحِبُّ الجَونَ ذا المنكبِ العَمَمْ

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك، فقال لـه: مم ضحكت ويلك؟ قال: ألا تعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال: لا، قال: فأنا والله هو، فضحك عبد الملك وقال: حقٌ وافق حكمة، وأحسن جائزته وسرحهُ، قال أبو عبد الله: وإنما أراد الغريض يُغني يزيد بتمثيلات عبد الملك وسائر أموره(٤).

يونس الكاتب قال: حدثني معبد قال: خرجت إلىمكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غنائه في لحنه:(٥) [الطويل]

ومـا أنـسَ مِ الأشـيـاءِ لا أنـسَ شـادنـا　　　بَمَـكّـةَ مكـحـولاً أسيـلاً مَدامعُهْ

وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه، وأنَّ الجن نهته أن يغنيه، لأنه فتن طائفة منهم من مكة لأجل ذلك وحسنه، فلما قدمت مكة سألت عنه فدللت على منزله، فأتيته فقرعت الباب، فما كلمني أحد، فسألت بعض الجيران، فقلت: هـل فـي الـدار أحد؟ قالوا: نعم، الغريض، فقلت: إني قد أكثرت دق الباب فما أجابني أحد، قالوا: إن الغريض هناك، فرجعت فدققت

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥٨٩/٢.
(٢) في الأغاني: أبو عبد الله.
(٣) عمرو بن شأس، الديوان: ٥٧.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥٩٠/٢.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥٩٠/٢

الباب فلم يجبني، قلت: إن نفعني غنائي يوماً من الدهر نفعني اليوم، فاندفعت فغنيت لحني في شعر جميل:[1] [الطويل]

عَلِقتُ الهوى [منها] وليداً فلم يزل إلى اليوم يَنمِي حُبُّها ويزيدُ[2]

فوالله ما سمعت حركة الباب، فقلت: بطل سحري وضاع تعبي، وجئت أطلب ما هو [٢٠] عسير عليَّ، واحتقرت نفسي، وقلت: لم يتوهمني لضعف غنائي عنده، فما شعرت إلَّا بصائح يصيح بي: يا معبد، أبلغني أفهم، وبلغ عَنِّي شعر جميل الذي تغني يا شقي البخت، وغنى:[3] [الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولها	وقد قربت نضوي أمصرَ تريدُ
ولا قولها لولا العيون التي ترى	أتيتك فاعذرني فَدَتكَ جدودُ
خَلِيلَيَّ ما أُخفي من الوجد باطنٌ	ودمعي بما قلت الغداة شهيدُ
يقولون جاهد يا جميل بغزوةٍ	وأيَّ جهادٍ غيرَهُنَّ أريدُ
لكل حديث بينهن بشاشة	وكل قتيل بينهن شهيدُ

قال: فلقد سمعت شيئاً لم أسمع قط أحسن منه، وقصر إلي نفسي، وعلمت فضلهُ عليَّ، وقلت: إنه لحريٌّ بالاستتار من الناس ترفيها لنفسه، وتعظيماً لقدره، وإن مثله لا يستحق الابتذال، ولا أن يتداوله الرجال، فأردت الانصراف إلى المدينة راجعاً، فلما كنت غير بعيد، إذا بصائح يصيح: يا معبد، انظر أكلمك، فرجعت فقال لي: إن الغريض يدعوك، فأسرعت فرحاً، فدنوت من الباب، فقال: أتحب الدخول، فقلت: وهل إلى ذلك سبيل؟ فقرعت الباب، فقال لي: أدخل، فدخلت فإذا الشمس طالعة في بيت، فسلمت، فرد عليَّ السلام، ثم قال: أجلس فجلست، فإذا أنبل الناس وأحسنهم وجهاً وخلقاً وخُلُقاَ، فقال: يا معبد كيف تطريت إلى مكة؟ فقلت: جعلت فداك، وكيف عرفتني؟ قال: بصوتك، فقلت: وكيف ولم تسمعه قط؟ فقال: لما غنيت عرفتك، وقلت: إن كان معبد في الدنيا فهذا، فقلت: جُعلت فداك كيف أحسنت بقولك:

---

(١) جميل، الديوان: ٦٠.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الديوان.

(٣) جميل، الديوان: ٥٨.

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها وقد قربت نضوي أَمِصرَ تريدُ

فقال: علمت أنك تريد تسمع صوتي: [الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ شادناً بمكة مكحولاً أسيلاً مدامِعُهْ

فلم يكن إلى ذلك سبيل، لأنه صوتٌ قد نهيت أن أغنيه، فغنيتك هذا الصوت، جواباً لما سألت، فقلت: والله ما عدوت ما أردت، فهل لك من حاجة؟ فقال: يا أبا عبّاد، لولا ملالة الحديث وثقل إطالة الجلوس، لاستكثرت منك، فاعذر، فخرجت من عنده [٢١] وإنه لأجل الناس عندي، ورجعت فما رأيت إنساناً وهو أعظم منه في عيني، وذكر جميلاً وبثينة، فقلت: لئن أصبت إنساناً يحدثني بقصة جميل وقوله هذا الشعر، فسألت عن ذلك، فإذا الحديث مشهور، وقيل: إن أردت أن تخبر بما شاهدته فَأتِ بني حنظلة فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان فيخبرك الخبر، فأتيت الشيخ فسألته فقال: نعم بَيْنَا أنا في إبلي في الربيع إذ أنا برجل منطوٍ على راحلته كأنه جان، فسلم عليَّ ثم قال لي: ممن أنت يا أبا عبد الله [فقلت][1]، أحد بني حنظلة، قال: فنسبني حتى بلغت فخذي الذي أنا منه، ثم سألني عن بني عذره، فقلت: هل ترى ذلك السفح[2] فإنهم نزلوا من ورائه، قال: يا أخا بني حنظلة، هل لك في معروف تصنعه إلي؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحت تسوق إليه من الأبل ما كنت أشكر مني لك عليه، فقلت: ومن أنت أولاً؟ فقال: لا تسألني من أنا ولا أخبرك، أني رجل بيني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم، فإن رأيت أن تأتيهم فإنك تجد القوم في مجلسهم فتنشدهم بَكرةً ادام تجرُ خفيها عبلاء واسمة، فإن ذكروا لك شيئا فذاك، وإلّا استأذنتهم في البيوت وقلت: إن الصبي والمرأة يريان مالا يرى الرجال، فتنشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك، ولا بيتاً من بيوتهم، إلا وأنشدتها فيه، فأتيت القوم، فإذا بهم على جزرهم يقسمونها، فسلمت وانتسبت، وذكرت لهم ضالتي فلم يذكروا لي شيئاً، فاستأذنتهم في البيوت، وقلت: إن الصبي والمرأة يريان ما لم ير الرجل، فأذنوا ليَّ، فأتيت أقصى بيت ثم استقريتها بيتاً، فلا يذكرون لي شئياً حتى انتصف النهار وآذاني حَرُّ الشمس وعطشت، وفرغت من البيوت، وذهبت لأنصرف فحانت مني التفاتة فرأيت ثلاثة أبيات، فقلت: ما عند هؤلاء، إلّا ما عند غيرهم، ثم قلت لنفسي سَوءةُ ونوىً زعم أن حاجته تعدل مالي، ثم آتيه فأقول: عجزت عن ثلاثة أبيات،

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصل: الشيخ، والمثبت من الأغاني.

فانصرفت عائداً إلى أعظمها بيتاً، فإذا هو قد أرخى مقدمه ومؤخره، فسلمت فرد عليَّ السلام، وذكرت لهم ضالتي، فقالت[1]: يا عبد الله، قد أصبت ضالتك، وما أظنك إلا وقد اشتد عليك الحر واشتهيت الشراب، فقلت: أجل فدخلت فأتتني بصفحة فيها تمر من [٢٢] تمر هجر، وقدح فيه لبن، والصفحة مضرية والقدح مفضض، لم أر إناءً قط أحسن منه، فقالت: دونك، فأكلت وشربت من اللبن حتى رويت، ثم قلت: يا أمة الله، ما أنست اليوم أكرم منك، ولا أحق بالفضل، فهل ذكرت من ضالتي ذكراً؟ فقالت: أجل، ترى هذه الشجرة فوق الشرف، قلت: نعم، قالت: فإن الشمس غربت أمس وهي تطيف حولها، ثم حال الليل بيني وبينها، فقمت وجزيتها الخير، وقلت: والله لقد تغديتُ وترويتُ، فخرجت حتى أتيت الشجرة، فأطفت بها، فوالله ما رأيت من أثر، فانصرفت إلى صاحبي، فإذا هو مُتشحٌ في الإبل بكسائه، ورافعٌ عقيرتهُ يغني، فقلت: السلام عليك، قال: وعليكم السلام، قال: ما وراءك؟ قلت: ما ورائي من شئ، قال: لا عليك، فأخبرني بما فعلت، قال: فقصصت عليه القصة، حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذي صنعت، قال: قد أصبت ضالتك، فعجبت من قوله ولم أجد شيئاً، ثم سألني عن صفة القدح والصفحة، فوصفتها له، فتنفس الصعداء، ثم قال: أصبت طلبتك، ثم ذكرت له الشجرة وأنها رأتها تطيف بها، فقال: حسبك، فمكث حتى إذا آوت إبلي إلى مباركها، دعوته إلى العشاء، فلم يدن، وجلس عنى بمزجر الكلب، فلما ظن أني قد نمت رمقته، فقام إلى عيبةٍ لـــه، فاستخرج منها بُردينِ، فأتزرَ بأحدهما، وارتدى بالآخر، ثم أنطلق عامداً نحو الشجرة، واستبطنت الوادي، فجعلت أحضر، حتى إذا خفت أن يراني أشحطت فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجرات قريبة من تلك الشجرة حيث أسمع كلامهما، فاستترت بهن، وأقبل حتى إذا كان غير بعيد، قالت: أجلس، فوالله لكأنه لصق بالأرض، فسلم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال ما سمعته قط، وأبعده عن كل ريبة، وسألته عن مثل مسألته، ثم أمرت الجارية فقربت إليه طعاماً، فلما أكل، قالت: أنشدني ما قلت فأنشدها[2]: [الطويل]

عَلِقْتُ الهوى مِنْهَا وليداً فلم يَزَلْ　　إلى اليوم ينمي حبُّها ويزيدُ

ولم يزالا يتحدثان، ما يقولان فُحْشاً ولا هُجْراً، حتى التفتت التفاته فرأت الصبح قد طلع، فودع كل منهما صاحبه أحسن وداع سمعته، ثم انصرفا فمضيت إلى إبلي فاضطجعت، وكل واحد منهما يمشي خطوة ويتلفت إلى صاحبه، فجاء بعد ما أصبحنا، فرفع برديه ثم

---

(١) الأصل فقال والمثبت من الأغاني.

(٢) جميل، الديوان: ٦٠.

[٢٣] قال: يا أخا بني حنظلة، حتى متى تنام، فقمت وتوضأت وصليت، وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً، ثم دعوته إلى الغداء، فتغدينا ثم قام إلى عيبته ففتحها، فإذا فيها السلاح وبردان مما كسته الملوك، فأعطاني أحدهما، وقال: والله لو كان معي شئ ما ذخرته عنه، وحدثني حديثه وانتسب إليَّ، فإذا جميل بن معمر، والمرأة بثينة، وقال لي: إني قد قلت أبياتاً في منصرفي من عندها، فهل لك في أن أنشدها لك؟ قال نعم:

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنس قولَها وقد قربت نضوي أَمِصْرَ تريدُ؟

الأبيات، ثم ودعني وانصرفت، فمكث حتى أَخَذَتْ إبلي مراتعَهَا، ثم عمدت إلى دهن كان معي فدهنت به رأسي، ثم ارتديت بالبردة وأتيت المرأة، فقلت: السلام عليكم، إني جئت أمس طالبا، وجئت اليوم زائراً، فتأذنون؟ فقالت: نعم، فجعلت جارية تقول: يا بثينة، عليه بُرْدُ جميل، فجعلت أثنى على ضيفي وأشكره، فقلت: إنه ذكرك فأحسن الذكر، فهل أنت بارزة حتى أنظر إليك، قالت: نعم، فلبست ثيابها ثم برزت، ودعت لي بطرف، وقالت: يا أخا بني تميم، والله ما ثوباك هذا بِمُشْتَبِهَيْنِ، ودعت بعيبتها وأخرجت لي ملحفة مروية مشبعة من العصفر، ثم قالت: أقسمتُ عليك لتقومنَّ إلى كسر البيت لتخلعنَّ مدرعتك ثم لتأتزرنَّ بهذه الملحفة، فهي أشبه ببردك، فقمت ففعلت وأخذت مدرعتي بيدي فوضعتها إلى جانبي، وأنشدتها الأبيات فدمعت عيناها، وتحدثنا طويلاً من النهار، ثم انصرفت إلى إبلي بملحفة بثينة وبردة جميل، ونظرة من بثينة. قال: فجزيت الشيخ خيراً وانصرفت من عنده، وانا أحسن الناس حالاً بنظرة إلى الغريض واستماع غنائه، وعلم بحديث جميل وبثينة، فيما غنيَّتُ أنا به، وفيما غَنَّى به الغريض، على حق ذلك وصدقه، فما رأيت قط ولا سمعت بزوجين أحسن من جميل وبثينة، ومن الغريض ومِنِّي[1]

قال: قدم الوليد بن عبد الملك مكة فأراد أن يأتي الطائف، فقال: هل من رجل عالم يخبرني عنها؟ فقالوا: عمر بن أبي ربيعة، قال: لا حاجة لي به، ثم دعا فسأل فذكره إياه ثم دعا فذكروه إياه، فقال: هاتوه، فأتوا به، فركب [٢٤] معه، ثم جعل يحدثه، ثم حول عمر رداءه ليصلحه على نفسه، فإذا على ظهره أثر، فقال الوليد: ما هـذا الأثر؟ فقال: كنت عند جارية لي، إذ جاءتني جارية برسالة جارية أخرى، وجعلت تسارُّني، فَعَضَّتْ التي كنت عندها منكبي،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥٩٠/٢ ـ ٥٩٤

فما وجدت ألم عضتها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني حتى بلغت ما ترى، فضحك الوليد، فلما رجع عمر، قيل له: ما الذي كنت تُضْحِكُ به أمير المؤمنين؟ قال: ما زلنا في حديث الزنائي حتى رجع، وكان حمل الغريض معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عندي أجمل الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً، فهل لك أن تسمعه؟ فقال: هاته، فدعا به، فقال لـه: أسمع أميرَ المؤمنين أحسنَ شئ قلته، فاندفع يغني بشعر جميل:[1] [الكامل]

إنـي لأحـفـظُ سِرَّكم وَيَسُرُّكم ... لو تعلمين بصالح أن تُذْكَري[2]

ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسَلاً ... أو نلتقي فيه عليَّ كأشهُرِ

ياليتني ألقى المنيَّةَ بغتةً ... أن كان يومُ لقائِكم لم يُقدَرِ

ما كنتُ والوعْدُ الذي تَعِدِيْنَهُ ... إلا كبرق سحابة لم تُمْطرِ

تُقضَى الديون وليس يُنجِزُ عاجِلاً ... هذا الغريب لنا وليس بمُعسِرِ[3]

قال: فاشتد سرور الوليد بذلك وقال: يا عمر، هذه رُقيتُكَ، ووصله وكساه [وقضى][4] حوائجه[5].

قال: وكانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك، أو عمر بن عبد العزيز ولم يتجاوزها، وكان موته باليمن، لأن الوليد كان ولى نافع بن علقمة مكة، فهرب منه الغريض، فأقام باليمن واستوطنها مدة، ثم مات بها[6].

قال عمر بن شبَّه: زَعَمَ المكيّون أنَّ الغريض أتى بلاداً من بلاد الجنِّ، فغنَّى ليلاً:[7] [مجزوء الوافر]

هُمُ ركبٌ لقي رَكْبَا ... كَمَا قَدْ يَجْمَعُ السَّيلُ

---

(١) جميل، الديوان: ١٠١.

(٢) البيت في الديوان:

إني لأحفظُ غَيبَكم وَيَسُرني ... إذْ تذكرينَ بصالحِ أنْ تُذْكَرِي

(٣) في الديوان: الغريم بدلاً من الغريب.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والمثبت من الأغاني.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢/٥٩٧.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢/٥٥٩.

(٧) البيت للحكم بن عبدل، الأغاني: ٢/٦٠٠.

فصاح به صائح: اكفف يا أبا مروان فقد سفهت حلماءنا، وأصبيت سفهاءنا، قال: فأصبح ميتاً[1].

قال أسحاق، قال أبو قبيل: رأيت الغريض في عرس أو ختان لبعض مواليه، فقيل لـه: تَغَنَّ، فقال: هو ابن زانية إن فعل، فقال له بعض مواليه: فأنت هو والله كذلك، قال: أفكذلك أنا؟ قال: نعم، قال: أنت أعلم، ثم أخذ الدُّف فرمى به ثم مشى مشية موالية[٢٥] لم أرَ أحسنَ منها، ثم غَنَّى:[2] [الطويل]

تَـشَـــرَّبَ لَـون الـرأزقــي بـيـاضُـهُ أو الزعـفـران خـالـطَ الـمِـسكَ زارعـه[3]

فجعل يغنيه مقبلاً ومدبراً حتى التوت عنقة، فخرَّ صريعاً، وما رفعناه إلَّا ميتا فظنناه فالجاً عاجله[4].

قال إسحاق: وحدثني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال: إنما نهتهُ الجنُّ أن يغني هذا الصوت: [الطويل]

ومـا أنـس م الأشـيـاء لا أنـس شـــادنـاً بـمـكـة مـكـحـولاً أسـيـلاً مـدامـعـه[5]

ومنهم:

٥ ـ طويس[6]

كان مشئوم الطلعة، مذموم السمعة، ما بُشّر به، ولا بُشِّر بحظٍّ جليل، ورزء ليس بقليل، وُصاب أبات الناس بليل طويل، جرب فصح أنه مشؤوم، وأن والداً ولده ملوم، وأنه ممن لو وَضعَ الملحُ في الطعام لفسدَ منهُ، ولو أبصره إبليس لحياه، وقال: فديتُ من لا يفلح، ولو مَرَّ بسوق النفاق لكسد، أو جاز الخمر الرحيق لفسد، أو دخل بين أخوين متحابين لداخل كل

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٦٠٠/٢.
(٢) البيت في الأغاني: ٦٠١/٢.
(٣) في الأغاني: رادعه.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٦٠٠/٢ ـ ٦٠١.
(٥) الأصفهاني، الإغاني: ٦٠١/٢.
(٦) عيسى بن عبد الله المخزومي مولاهم، توفى سنة ٩٢هـ. انظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٢١/٣، أبن خلكان، وفيات الأعيان: ٤٠٠/١.

منهما لأخيه الحسد، أو نظر نظرة في الطب لما قنع حتى يفرق بين الروح والجسد، فعجبا أن عد من أهل الإيمان، ووا أسفاً إذ لم يبق في حِرٍّ أمه إلى آخر الزمان.

قال ابن الكلبي: أول من غنى بالعربي بالمدينة طويس، وهو أول من ألقى الخنث بها، وكان طويلاً أحول، وكان لا يضرب بالعود، وإنما ينقر بالدف، وكان ظريفاً عالماً بالمدينة وأنساب أهلها، وكان يتقى لسانه، قال: وسئل عن مولده فذكر أنه ولد يوم قبض رسول الله ﷺ، وفطم يوم مات أبو بكر، وختن يوم قتل عمر، وتزوج يوم قتل عثمان، وولد له يوم قتل علي$ج[١].

قال: وكانت أمه تمشي بين نساء الأنصار بالنميمة، قال: وأول غنائه وهزج هزجه:[٢]

[مجزوء الرمل]

كيفَ يأتي من بعيدٍ	وهو يُخفِيْهِ القريبُ
لاحَ بالشام عِشاءً	وهو مِشْكاكٌ هُبوب[٣]
قد براني الحبُّ حتَّى	كَدتُ مَن وَجدٍ أذوب

وهذا البيت يسمى: الذائب[٤].

قال يونس: وكان أول من تَغَنَّى بالمدينة [٢٦] غناءً يدخل في إيقاع، طويس[٥].

قال ابن الكلبي: كان بالمدينة مُخَنثُ يقال لـه النُّغاشيُّ، فقيل لمروان: إنه لا يقرأ من القرآن شيئاً، فبعث إليه وهو بالمدينة يومئذ، فاستقرأه أم الكتاب، فقال: والله ما أقرأ البنات فكيف أمَّهُنَّ؟ فقال: أتهزل لأم القرآن لا أم لك، فأمر به فقتل، وقال: من جاءني بمخنث فله عشرة دنانير، فأخبر طويس فهرب من وقته حتى نزل السويداء على ميلين من المدينة، فلم يزل بها عمر، وعاش إلى ولاية الوليد بن عبد الملك[٦].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣/٢١

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣/٢١.

(٣) رواية البيت في الأغاني:

نازحٌ بالشام عنا	وهو مكساكٌ هيوب

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣/٢١ ـ ٢٢.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٣/٢٢.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٣/٢٢ ـ ٢٣.

قال المدائني: كان عبد الله بن جعفر معه رفقه لــه في عشية من عشيات الربيع، فراحت عليهم السماء بمطر جود، فسال كل شئ، فقال لهم عبد الله: في العقيق، وهو منزه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر، فركبوا دوابهم، ثم انتهوا إليه، فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل الفرات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبد الله لأصحابه: ليس معنا جَنَّةٌ نَستَجِنُّ بها، وهذه سماء خليقة ببل ثيابنا، فهل لكم في منزل طويس، فإنه قريب منا، فنستكن فيه فيحدثنا ويضحكنا، وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر، فقال لــه عبد الرحمن بن حسان: جعلت فداك، وما تريد من طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه، فقال لــه عبد الله بن جعفر: لا تقل ذلك، فإنه خفيف مليح لنا فيه أنس، فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى منزله، فقال لامرأته: ويلك، قد جاء سيدنا عبد الله بن جعفر فما عندك؟ قالت: نذبح هذه العناق، وكانت عندها عليفة قد ربتها باللبن، واختبز رقاقا، فبادر ذبحها وعجنت هي، ثم خرج فتلقاه مقبلاً إليه، فقال لــه طويس: بأبي أنت وأمي، هذا المطر، فهل لك في المنزل لتسكن فيه إلى أن تكف السماء؟ قال: إياك أريد، قال: فامض يا سيدي على بركة الله، وجاء يمشي حتى جلسوا حتى أدرك الطعام، فقال: بأبي أنت وأمي، تكرمني إذ دخلت منزلي أن تتعشى عندي، قال: هات ما عندك، فجاء بعناق سمينة ورقاق، فأكل كل القوم حتى تملؤوا، وأعجبه طيب طعامه، فلما غسلوا أيديهم قال: بأبي أنت وأمي، أَتَمشَّى لك وأغنيك، قال: بلى يا طويس، فأخذ ملحفة فأتزر بها، وأرخى لها ذنبين، ثم أخذ المربع فتمشى وغنى[1] [المديد]

[٢٧] يا خليلي نابني سَهَدي	لم تَنَم عيني ولم أكد[2]
كيف تلحوني على رَجُلٍ	ابنه تَلتَذُهُ كبدي[3]

قال: فطرب القوم، وقال: أحسنت والله يا طويس، ثم قال: يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا أدري لمن هو، إلَّا أني سمعت شعراً حسنا، قال: هو لفارعة بنت ثابت وهي تتعشق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنكس القوم رؤوسهم، وضرب عبد الرحمن برأسه فلو شُقَّت له الأرض لَدَخَلَ فيها[4].

---

(١) البيت لفارعة بنت ثابت عمة عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: انظر الأصفهاني، الأغاني:٢٥/٣.

(٢) في الأغاني: نكد بدلاً من أكد.

(٣) في الأغاني: آنسٍ بدلا من أبنه.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٤/٣ ـ ٢٥.

قال المدائني: حُدِّثتُ أن طويساً تبع جارية فردعته، فلم ينقطع عنها، فلما جاوزت مجلس قوم وقفت وقالت: يا هؤلاء، لي صديق ولي زوج ولي مولى، فاسألوا هذا ما يريد منى؟ قال: أضَيِّقُ ما وَسَّعُوه[١].

قال المدائني: وكان طويس مولعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم، فقل مجلس اجتمع هذا الحيان فغنى طويس إلَّا وقع فيه شر[٢].

قال المدائني: قدم ابن سُريج المدينة، فجلس يوماً في جماعة وهم يقولون: أنت والله أحسن الناس غناء، إذ مر بهم طويس فسمع قولهم، فاستلَّ دُفَّهُ ونقره وَغنَّى:[٣] [مجزوء الكامل]

إن الْـمُخَنَّثَةَ التي ... مَرَّتْ بنا قَبْلَ الصَّبَاح

في حُلَّة مَوشِيَّةٍ ... يمنيةٍ غَرثَى الوِشّاح[٤]

زَينٌ لمشهَدِ فِطرِهم ... وتزينهم يوم الأضاحي

فقال ابن سريج: هذا والله أحسن الناس غناء لا أنا[٥].

٦ ـ يَزِيد حَوْرَاء[٦]

كان مطرباً لو مزج بغنائه الماء لأسكر، أو قرع به المساء لما تنكر به، أو قُرن به القدماء وأنصف لم يكن معه أحد يذكر، ولهذا حُسد حتى تُحُيلَ عليه وتوصلَ إلى ما لديه، فأخذ ما كان به يمتاز، وترك ما عنده شئ أحد يعتاز وعلى هذا كان مُقدماً، وكان سامعه كأنما يفتح منه إناء معدما.

قال أبو الفرج[٧]: قدم على المهدي في خلافته فغناه، وكان حسن الصوت، مليح

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧/٣.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٨/٣.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٦/٣.
(٤) في الأغاني: مكية بدلا من يمنية.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٦/٣.
(٦) يزيد حوراء مغنٍ من الموالي من مواليد المدينة، عاش في العصر العباسي، توفي سنة ١٨٥هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٧٥/٣ ـ ١٧٨.
(٧) الأغاني: ١٧٥/٣

الشمائل، فذكر ابن خُرداذبة: أن إبراهيم الموصلي حسده على شمائله وإشاراته في الغناء، واشترى عِدَّةَ جـوارٍ وشاركـه[٢٨] فيهن، وقال لـه: علمهن الغناء فما رزق الله من ربح فهو بيننا، وَأمُرْهُنَّ يجعلن وكدّهُنَّ أخذ إشاراته، ففعلن ذلك، وكان إبراهيم يأخذ عنهن هو وأبنه ويأمرهن بتعليم كل من يعرفنه ذلك حتى شهرها في الناس، فأبطل عليه ما كان منفرداً به في ذلك.

قال إسحاق، قال يزيد حوراء: كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش، وكانت تَمُرُّ بي جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الغناء، فقلت لها يوماً: افهمي قولي وَرُدِّي جوابي، وكوني عند ظني، فقالت: هات ما عندك، فقلت: بالله ما اسمك؟ قالت: مُمَنَّعَة، فأطرقتُ طِيرَةً من اسمها مع طمعي فيها، ثم قلت: باذله أو مبذولة إن شاء الله، فاسمعي مني، وهي تبتسم، فقالت: إن كان عندك شئ فقل، فقلت[1]: [الطويل]

لِيَهْنَكَ منّي أنَّني لستُ مُفشِياً　　　هواكِ إلى غيري ولو مُتُّ مِن حُبّي[2]
لا مانحاً خلقاً سواك مودّةً　　　ولا قائلا ما عِشتُ من حُبّكُم حَسبِي

قال: فنظرت إليَّ طويلاً، ثم قالت: أنشدكَ اللهَ أعن فرطِ محبةٍ أو اهتياج غلمةٍ؟ فقلت: لا والله إلّا عن فرط محبة، فقالت:[3] [الطويل]

فوالله رَبُّ النَّاس لا خُنتَكَ الهَوَى　　　ولا زِلتَ مَخصُوصَ المحبَّة مِن قَلبي
فثِق بي فإني قد وَثقتُ ولا تكُن　　　على غير ما أظهرت لي يا أخا الحبِّ

قال: فوالله لكأنما أضرمت في قلبي ناراً، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدثني أتفرج بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، وكانت تكاتبني وتلاطفني دهراً.[4]

قال عبد الله بن العباس الربيعي: كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسن شكلاً، لم يقدم علينا من الحجاز أظرف ولا أشكل منه، وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع،

---

(١) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ١٧٨/٣ وهو ليزيد حوراء.
(٢) في الأغاني كرب بدلا من حبي
(٣) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ١٧٨/٣.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٧٧/٣ ــ ١٧٨.

وكان إبراهيم يرفع منه ويشيع ذكره بالجميل وَيُنَبِّهُ على تَقَدُّمِهِ وإحسانه، وكان يبعث ابنه إسحاق يأخذ عنه، وكان يزيد صديقاً لأبي مالك التميمي الأعرج، ولا يكاد يفارقه، فمرض يزيد مرضاً شديداً، فاغتمَّ عليه الرشيد وبعث مسروراً مرات يسأل عنه، ثم مات، فقال أبو مالك:[1] [الخفيف]

لَمْ يُمَتَّعِ مِنَ الشَّبابِ يزيدُ ... صَارَ في التُّرْبِ وَهُوَ غَضٌّ جديدُ
فَكَأنْ لم يَكن يزيدُ ولم يَشجُ ... نَديماً يِهُزُّهُ التَّغريدُ[2]

٧ ـ عَبدُ الرحمن الدف[3]

كان مُغَنِّيا مُغْنِياً، ومقربا للسُّرور مُدنياً، كان يحيي أطايب الطرب، ويدني غرائبَ الرَّغبِ، لظرفه إلى القول خلوصٌ، وبطربه مثل رقص القلوص ما طرب، وأبقى من أرب إلَّا أن الجِدَّ لم يُقل من عِثَارِه، ولم يُقِدْ ظباء الجلميين لأخذ ثاره.

قال أبو الفرج[4]: كان منقطعاً إلى علي بن المهدي المعروف بريطة[5]. قال عبد الصمد المعذب: غَنَّت جارية يوماً بحضرة الرشيد:[6] [المنسرح]

قُلْ لِعَلي أيا فَتَى العَرَبِ ... وَخَيرَ نام وَخَيرَ مُنتَسِبِ[7]
أعلاكَ جدَّاك يا عليُّ إذا ... قَصَّرَ جَدٌّ عن ذروة النَّسَبِ

فأمر بضرب عنقها، فقالت: يا سيدي وما ذنبي؟ هذا الصوت عُلَمتُه والله وما أدرِي من قاله، ولا فيمن قِيلَ، فَعَلِمَ صدِقَهَا، فقال لها : عمَّن أخذته، قالت: عن عبد الرحمن الدفاف،

---

(١) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ١٧٦/٣
(٢) الخبر في الأصفهاني، الأغاني: ١٧٦/٣.
(٣) هو عبد الرحيم بن الفضل الكوفي يكنى ابا القاسم وقيل هو عبد الرحيم بن سعد، وقيل عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد، مولى الأشعث بن قيس، وقيل هو مولى خزاعة، كان أيام هارون الرشيد، وكان منقطعاً إلى علي بن المهدي المعروف بابن ريطة بنت أبي العباس انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٨٦/٣ ـ ١٨٨.
(٤) الأغاني: ١٨٦/٣.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: بابن ريطة.
(٦) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ١٨٦/٣.
(٧) في الأغاني: مكتسب بدلا من منتسب.

فأمر بإحضاره وقال: يا عاضّ بظر أمه، أتغني في شعر تفاخر بيني وبين أخي؟ جَردُوه، فجرَّدُوه عن ثيابه، ودعا له بالسياط فضرب بين يديه مئة سوط.

قال عبد الرحمن: دخلت يوماً على علي ريطة، وستارتُهُ منصوبة، فغنت جاريته:[1]

أنـــاس أمنَّاهـم فنمُّوا حديثنـا ... فلما كَتَمنَا السِّرَّ عِنهم تقولوا

فقلتُ لـه: أرأيت إن غنيتك هذا الصوت وفيه تمامه زيادة بيت آخر، أي شئ لي عليك؟ قال: خلعتي هذه، فغنيتُه:

فـلم يحفظوا الوُد الذي كان بيننا ... ولا حين هَمُّوا بالقطيعة أجمَلوا

قال: فنزع خلعته فجعلها عليَّ، وأقمتُ عنده بقيةَ يومي على عربدة كانت فيها[2].

٨ ـ ابن مِسْجَح[3]

سابقٌ أغرُ، وسارقٌ ما غر، أول من تفطن لغناء فارس، وكان له في بلاد العرب الفارس أتى بزمر العجم، وألقى سمعه إلى أصواتها، وابتزَّ أرواح طربها من لهواتها، ونقل ما تصور في خاطره من تلك الصور الأعجمية والتماثيل التي لا ترى للعيون العمية، إلى أن أبرزها عُرباً أبكاراً، وأسكنها أسماعاً وأفكاراً، وأدارها شمولاً لا يسمع عليها إنكاراً، ثم منه أدهقت آنيتها، وسمعت قاصيتها[٣٠] ودانيتها.

قال أبو الفرج:[4] قال هاشم بن المُرية: إن أول من غنى هذا الغناء العربي بمكة ابن مِسْجَح، وذلك أنه مَرَّ بالفرس وهم يَبْنُون المسجد الحرام، فسمع غناءهم بالفارسية، فنقله في شعر عربي، وهو الذي عَلَّم الغريض وابن سريج.

قال: وهو أول من غنى الغناء الثقيل، وعاش ابن مسجح حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

---

(١) الشعر للعباس بن الأحنف، الديوان: ٢٣٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٧/٣
(٣) سعيد بن مسجح، أبو عثمان الجمحي مولاهم، من كبار المغنيين في العصر الأموي، توفي سنة ٨٥هـ. أنظر: الأصفهاني الأغاني: ١٩٢/٣ ـ ١٩٨
(٤) الأغاني: ١٩٢/٣.

قال دَحْمان: كتب عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة، فقيل إن رجلا أسود يقال لــه ابن مسجح قد أفتن فتيان قريش فأنفقوا عليه أمواله، فكتب إليه: أن أقبض مَاله وسَيِّرهُ، ففعل، وتوجه ابن مسجح إلى الشام، فصحبه رجل لــه جوارٍ مغنيات في طريقه، فقال لــه: أين تريد؟[1]، فأخبرهُ خبره، وقال: أريد الشام، قال له: فكن معي، فصحبه حتى بلغا دمشق، فدخلا مسجدها، فسألا عن أخص الناس بالأمير، قالوا: هؤلاء النفر من قريش من بني عمه، فوقف ابن مسجح عليهم، وسلم ثم قال: يا فتيان، هل فيكم من يضيف رجلاً غريباً من أهل الحجاز؟ فنظر بعضهم إلى بعض، وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قَيْنَة يقال لها بَرقُ الأفق فتثاقلوا به إلا فتى منهم تذممَّ، فقال: أنَا أضِيفُك، وقال لأصحابه: أنطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضيفي، قالوا: بل تجيء معنا أنت وضيفك، فذهبوا جميعاً إلى بيت المغنية، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد: أني رجل أسود ولعل فيكم من يقذرني، فأنا أجلس فآكل ناحية، فاستحيوا منه، وبعثوا لــه بما أكل، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك، ففعلوا، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وضع لهما، فغنتا إلى العشاء، ثم دخلتا، وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلست على السرير، وجلسا أسفل منها على يمين السرير وشماله، قال ابــن مسجح: فتمثلت بهــذا البيت:[2][الطويل]

فَقُلْتُ أصُبحٌ أم مصابيحُ بِيْعَةٍ ... بَدَتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالمُ[3]

فغضبت الجارية وقامت وقالت: أيضرب مثل هذا الأسود فيَّ الأمثال؟ فنظروا إليَّ نظراً منكراً، ولم يزالوا بها حتى غَنَّت، فقلت: أحسنت والله فغضب مولاها فقال: مثل الأسود يُقدّم على جاريتي، فقال لي الرجل الذي أنا عنده: قم فانصرف[٣١] إلى منزلي فقد ثقلتَ على القوم، فذهبت لأقوم، فتذمم القوم وقالوا: بل أقم وأحسن أدبك، فأقمت، وغنيت، فقلت: أخطأت وأسأت، ثم اندفعتُ فغنيتُ الصوت، فقالت الجارية: هو والله أبو عثمان سعيد بن مسجح، فقلت: أي والله أنا هو، والله لا أقيم عندكم، فوثب القرشيون فقال هذا: تكون عندي، فقلت: لا والله لا أقيم إلا عند سيدكم ـ يعني الرجل الذي أنزله عنده ـ وسألوه عما أقدمه، فأخبرهم الخبر، فقال لــه صاحبه: أنا أسمر الليلة عند أمير المؤمنين، فهل تحسن أن

(١) الأصل: يقال له يزيد، والتصحيح من الأغاني.

(٢) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ١٩٦/٣، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٢٥/٩.

(٣) في الأغاني والتذكرة: أشمس بدلاً من أصبح.

تحدو. فقلت: لا والله، ولكني أصنع حداء، قال لـه: إن منزلي بحذاء أمير المؤمنين فإذا وقعت منه على طيب نفسه أرسلت إليك، ومضى إلى عبد الملك، فلما رآه، طيب النفس أرسل إلى ابن مسجح، فأخرج رأسه من وراء شرف القصر، ثم حدا، فقال عبد الملك[1] للقرشي: من هذا؟ قال: رجل حجازي[2] قدم عليَّ، قال: أحضره، فأحضره، فقال لـه: أحدُ، فحدا، فقال لـه: هل تغني غناء الركبان؟ قال: نعم، قال: غنه، فغنى، فقال لـه: هل تغني الغناء المتقن. قال: نعم، قال: غنه فتغنى، فاهتز عبد الملك طرباً، ثم قال: أقسم إن لك في القوم اسماً كبيراً، فمن أنت. قال: أنا المظلوم، المقبوض ماله، المسير عن وطنه سعيد بن مسجح، قبض مالي عامل الحجاز ونفاني، فتبسم عبد الملك ثم قال: قد وضح عذر فتيان قريش أن ينفقوا عليك أموالهم، وأمنه ووصله، وكتب إلى عامله برد ماله وأن [لا][3] يعرض له[4].

قال[5]: ومن غنائه القديم الذي صنعه:[6]

أسلامُ إنكِ قد ملكت فأسجحي	قد يَملكُ الحرُّ الكريمُ فيُسجحُ
مُنّي على عانٍ أطلت عَنَاءَهُ	في الغُلِّ عندك والعُناةُ تُسرحُ[7]
إني لأنصحكم وأعلم أنه	سيان عندك من يغش وينصح
وإذا شكوتُ إلي سلامة حُبَّها	قَالتْ أَجِدٌّ مِنكَ ذا أم تَمزَحُ

٩ ـ عَطَرَّد[8]

وكانَ عَطَرَّدُ عطارديّاً، لبقاً ذكياً، أرضياً سماوياً، كأنْ خلق للسرور، وخلي لبلابل

---

(١) الأصل: الملك، والمثبت من الأغاني.

(٢) الأصل: صحارى، والمثبت من الأغاني.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٦/٣ ـ ١٩٧، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٢٤/٩ ـ ٢٦.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٥/٣.

(٦) الشعر للأحوص، الديوان ١٠٨.

(٧) في الأصل: من يعش ويسرح وهو سهو من الناسخ والمثبت من الديوان.

(٨) عطرد: أبو هارون مولى الأنصار، ثم مولى بني عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مزينة، مدني كان ينزل قباء، كان جميل الوجه، حسن الغناء طيب الصوت، جيد الصنعة، حسن الرأي والمروءة فقيها قارئاً للقرآن، وكان يغني مرتجلاً، وأدرك دولة بني العباس وبقي إلى أيام الرشيد أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٣/ ٢١٢ ـ ٢١٦، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٣٥/٩.

الصدور، وكان رحيب الباع، كثير الأتباع، لو لاطف الخصر لذاب، ولو حضر يوم الفراق لطاب، لو غَنيَّ للجواد الممتدٌ في طلقه لصفن، أو للميت ـ أستغفر الله ـ لقام بنفض الكف، لا يُلذ إلا به الغزل، ولا يعد أحد من طبقته إلَّا إذا نزل.

قال أبو الفرج:[1] قال [٣٢] إسحاق: كان جميل الوجه، حسن الغناء، جيد الصنعة، طيب الصوت، حسن الزي، فقيهاً قارئاً للقرآن، وكان يغني مرتجلاً وأدرك دولة بني العباس، وبقي إلى أيام الرشيد، وكان مُعدَل الشهادة بالمدينة.

قال إسحاق: ولي سلمة بن عباد القضاء بالبصرة، فقصد ابنه عباد بن سلمة عطرَّداً وهو بها مقيم، قد قصد إلى سليمان بن علي وأقام معهم، فأتى بابه ليلاً فدق عليه، ومعه جماعة من أصحابه، أصحاب القلانس، فخرج عَطردٌ إليه، فلما رآه ومن معه ارتاع، فقال: لا تُرع[2] [الكامل]

إنِّي قَصَدتُ إليكَ مِن أهلي ... في حاجةٍ يأتي بها مُثلي

قال: وما هي أصلحك الله؟ فقال:[3]

لا طالباً شيئاً إليكَ سوى ... حيِّ الحمولَ بجانب العَزلِ

قال عطردٌ: على بركة الله، ولم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا[4].

قال: ولي زيد الهاشمي المدينة، فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا، وَحُبسَ عطردُ فيهم، وحضر لعرضهم، وشفع في عطرد رجال من المدينة وأخبروه أنه من أهل الدين والمرؤة، فَخَلّى سبيله، وخرج فإذا هو بالمغنين قد أحضروا ليعرضوا، فرجع إليه عطرَّدُ فقال: أصلح الله الأمير، على الغناء حبست هؤلاء؟ قال: نعم، قال: فلا تظلمهم، فوالله ما أحسنوا شيئاً منه قط، فضحك وأطلقهم جميعاً[5].

---

(١) الأغاني: ٢١٢/٣.
(٢) البيت لعباد بن سلمة، الأصفهاني، الأغاني: ٢١٢/٣، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٣٥/٩.
(٣) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٢١٢/٣، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٣٦/٩.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢١٢/٣، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٣٥/٩ ـ ٣٦.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢١٤/٣، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٦٥/٩ ـ ٦٦.

١٠ ـ الأبجَرُ[١]

وكان ذا طرب يفرط في لجاجته، ويلهي العجول عن حاجته، ينهب حَبات القلوب نهباً، ويأخذ حباء الملوك غصباً، لو تَغَنَّى ساعة عرفة لألهى الحجيج، أو ثَبَّى يوم منى لأكثر الضجيج، لو قدمت الخمس الظوامي وهو يترنم إلى الماء، لطوت جوانحها على الغلل الظلماء، وكان لا يرى إلَّا في هيئةٍ تَسُرُّ المبصِر، وَتُسَوِّلُ اللغوي أنه لا يقصر.

قال أبو الفرج[٢]: قال إسحاق: لم يكن أحد أظرف منه، ولا أحسن هيئة منه، كانت حلته بمائة دينار، وكان يقف بين المأزمين ويرفع صوته، فيقف الناس له ويركب بعضهم بعضاً.

قال إسحاق: جلس الأبجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التنعيم، فإذا عسكر جَرَّار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دواب تجنب وفيها [٣٣] فرس أدهم حليته ذهب، فاندفع يغني:[٣]

عرفتُ ديارَ الحيِّ خاليةً قفرا ۝ كأنَّ بها لما توهمتها سطرا

فلما سمعه من في القباب والمعامل أمسكوا، وصاح صائح: ويحك أعد الصوت، فقال: لا والله، إلَّا بالفرس الأدهم، بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار، وإذا الوليد بن يزيد صاحب العسكر، فنودي: أين منزلك؟ ومن أين أنت؟ قال: أنا الأبجر، ومنزلي على رأس زقاق الخرازين، فغدا إليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت من ثياب وشي وغير ذلك، ثم أتى به الوليد فأقام عنده وراح مع أصحابه عشية التروية، وهو أحسنهم هيئة وخرج معه إلى الشام.[٤]

قال عمر بن حفص بن كلاب: كان الأبجر مولانا، وكان إذا قدم المدينة نزل علينا، فقال لنا يوماً: أسمعوني غناء ابن عائشتكم هذا، فأرسلنا إليه فجمعنا بينهما في بيت ابن هفان، فغنى ابن عائشة، فقال الأبجر: كل مملوك لي حر إن غنيت معك إلَّا بنصف صوته، ثم أدخل إصبعه

---

(١) الأبجر: هو أبو طالب عبيد الله بن القاسم بن ضبية، مولى لكنانة ثم لبني بكر، كان يلقب بالحسحاس، كان ظريفاً حسن الهيئة مترفاً، كان بمكة ثم خرج إلى مصر فمات بها. أنظر الأصفهاني، الأغاني: ٣/ ٢٣٩ ـ ٢٤٣.

(٢) الأغاني: ٣/٢٤٠.

(٣) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٣/٢٤٠.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣/٢٤٠.

في شدقه، ثم غنى، فسمع صوته من في السوق فحشر الناس علينا، فلم يفترقا حتى تشاتما، قال: وكان ابن عائشة حديداً جاهلاً.(١)

قال إبراهيم بن المهدي: حدثني ابن أشعب عن أبيه قال: دعا الوليد بن يزيد ذات يوم المغنين، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول: خذني معهم، فقال: لم أومر بذلك، وإنما أمرت بإحضار المغنين، وأنت بطالٌ لا تدخل فيهم، فقلت لـه: والله أنا أحسن غناءً منهم، ثم اندفعت فغنيت، فقال: لقد سمعت حسناً، ولكني أخاف، فقلت: لا خوف عليك ولك مع هذا شرط، قال: وما هو؟ قلت: كل ما أصبته فلك شطره، فقال للجماعة: أشهدوا عليه، فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو خاثر النفس، فغناه المغنون في كل فن من ثقيل وخفيف، فلم يتحرك ولا نشط، فقام الأبجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادم عن خبره وبأي شئ هو خاثر النفس، فقال: بينه وبين امرأته كلام، لأنه عشق أختها فغضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها، وحلف لها لا يذكرها بمراسلة ولا مخاطبة، وخرج علـى هذا الحال من عندها، وعاد الأبجر إلينا [٣٤] فما استقر به مجلسه حتى اندفع يغني:(٢) [الطويل]

فَبِينِي فإني لا أُبَالي وأَيقِنِي	تصاعَدَ باقي حُبِّكُمْ أم تَصَوَّبَا
ألم تعلمي أني عَزوفٌ عَن الهَوَى	إذا صاحبي من غير شئٍ تَغَضَّبَا

فطرب وارتاح، وقال: أصبت والله يا عبيد ما في نفسي، وأمر لـه بعشرة آلاف درهم، وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشيء سوى الأبجر، فلما أيقنت بانقضاء المجلس، وثبت وقلت: يا أمير المؤمنين إن أردت أن تأمر من يضربني مئة الساعة، فضحك ثم قال: قبحك الله، وما السبب في ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، فأريد أن أضرب مئة ويضرب بعدي مئة، فقال: لقد ألطفت، بل أعطوه مئة دينار، وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا، عوض الخمسين الذي أراد أن يأخذها من أشعب، فقبضها وقمنا، فما حظي أحدٌ بشئ غيري وغير الأبجر(٣).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٤١/٣.

(٢) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٢٤٢/٣ وهو لعبد الرحمن بن الحكم الأموي.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٤٢/٣ وهو في الأغاني: غيري وغير الرسول، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٦٦/٩ ـ ٦٧

قال إسحاق: حُدِّثْتُ أَنَّ الأبجر أخذ صوتاً من الغريض ليلاً، ثم دخل الطواف، فلقي عطاء بن أبي رباح يطوف، فقال له: يا أبا محمد اسمع صوتاً أخذته في هذه الليلة من الغريض، فقال لـه: ويحك، في هذا الموضع، فقال: كفرت برب هذه البنية لئن لم تسمعه مني سراً إن لم أجهر به، فقال: هاته، فغناه:[1] [السريع]

عُــوجــي عــلــيــنــا رَبَّــةَ الــهــــودجِ　　　إنــك إن لــم تَــفــعَــلِــي تَــحــرَجــــي

حتى بلغ:

فــي الــحــجِّ إن حَــجَّــت ومــاذا مِــنــــىً　　　وأهــلـــــهُ إن هــي لــم تَــحــجُــــجِ

فقال له عطاء: الخير كله في منى وأهله، حَجَّت أو لم تحجُّ فأذهب الآن.[2]

قال: وخَتَنَ عطاء بنيه أو بني أخيه، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يغني.[3]

١١ ـ فَرِيْدَة[4]

وكانت فريدة جمال، ووحيدة كمال، وبديعة حسن وإحسان، وفصيحة عودٍ ولسان، ربيبة خدر، وشبيهة بدر، ومتقنة لضرب، ومحسنة لا يقاس بها من إذا أحسن كان قد ضرب، توقع الضرب فلا تبينُ أناملها اللمس، وتضرب بالدُّف فلا يظن إلَّا أن البدر في يد الشمس، ولع بها الواثق أشد الولوع، وكان يضنُّ بها على من بعده، ويجري الدموع.

قال أبو الفرج[5]: قال علي بن يحيى المنجم: حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال: كانت لي في خدمة الواثق في كل جمعة نوبة، إذا حضرت، ركبت إلى الدار، فإن نشط للشرب [٣٥] أقمت عنده، وإن لم ينشط انصرفت، وكان رسمنا لا يحضر أحد منا إلا في

---

(١) الشعر للعرجي، الديوان: ١٨٩.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٤١/٣.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٤١/٣.
(٤) فريدة: كانت حظية عند الواثق وأثيرة عنده، وكان عمرو بن بانة هو الذي أهداها إلى الواثق وكانت من الموصوفات المحسنات، كانت حسنة الوجه حسنة الغناء حادة الفطنة والفهم، ولما مات الواثق تزوجها المتوكل. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٧/٤ ـ ٣٤١
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٩/٤ ـ ٣٤٠، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٢٢٦/٩ ـ ٢٢٨

يوم نوبته، فإني لفي منزلي في غير يوم نوبتي، إذا رسل الواثق قد هجموا عليَّ وقالوا لي: أحضر، قلت: لخير؟ قالوا: خيراً إن شاء الله، فقلت: إن هذا يوم لم يحضرني فيه أمير المؤمنين قط، ولعلكم غلطتم، قالوا: الله المستعان، لا تطول وبادر، فقد أمرنا أميرُ المؤمنين أن لا ندعك تستقر على الأرض، فدخلني فزع عظيم، وخفت أن يكون ساعٍ سعى عليَّ، أو بلية قد حدثت في رأي الخليفة فيَّ، فتقدمت لما أردت حتى وافيت الدار فذهبت[1] لأدخل من حيث كنت أدخل، فمنعت، وأخذ بيدي الخادم، فعدلوا بي إلى ممرات لا أعرفها، فزاد ذلك من جزعي، ثم لم يزل يسلموني من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصحن، ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة كذلك، ثم نظرت فإذا الواثق في صدره على سرير مرصع بالجوهر، وعليه ثياب منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فريدة جاريته عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود، فلما رآني قال: جودت والله يا محمد إلينا إلينا، فقبلت الأرض، وقلت: خيراً يا أمير المؤمنين، قال: خيراً، ما ترانا، طلبت والله ثالثاً يؤنسنا، فلم أر أحق بذلك منك، بحياتي بادر وكُل شيئاً وعجل إلينا، فقلت: قد والله يا سيدي أكلت وشربت آنفاً، قال: فاجلس، فجلست، وقال: هاتوا لمحمد رطلاً في قدح، فاندفعت فريدة تغني[2]: [الطويل]

أهـابُـكَ إجـلالاً ومـا بـــكَ قُـــدْرَةٌ ... عـلـيَّ ولـكـن مِـلءُ عـيـنٍ حَـبِـيـبُـهَـا
ومـا هَـجَـرَتـكَ الـنَّـفـسُ أنَّـكَ عـنـدهـا ... قـلـيـلٌ ولَـكِـن قَـلَّ مَـنـكَ نَـصِـيـبُـهـا

فجاءت والله بالسحر، ثم إن الواثق جعل يحادثها في خلال ذلك وتغني الصوت بعد الصوت، وأغني أنا أيضاً في خلال غنائها، فَمَرّ لنا يوم حسن، ما مَرَّ لأحد مثله، فإنا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة فدحرجه[3] من السرير إلى الأرض، وتفتت عودها ومرت تصيح، وَبقِيتُ كالمنزوع الروح، لم أشك في أن عينه وقعت عليَّ، وقد نظرت إلى الأرض، وأطرقت أتوقع ضرب العنق، فأنا كذلك إذ قال: يا محمد، فوثبت قائماً، فقال: ويحك، أرأيت ما اتفق علينا؟ قلت: يا سيدي، الساعة تخرج روحي، فقل لي، مَن أصابنا بالعين

(١) الأصل: فدخل، والمثبت من الأغاني

(٢) الشعر لنصيب، الديوان: ٦٨.

(٣) هكذا في الأصل والصواب فدحرجها.

[٣٦] لعنه الله، وما كان السبب؟ قال: لا والله، ولكنني فكرت في أن جعفراً[١] كان يقعد هذا المقعد، وتقعد معه كما هي قاعدة معي، فلم أطق الصبر، وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت، فسرّي عني، وقلتُ: بل يُقتلُ جعفرُ ويحيا أمير المؤمنين أبداً وقبلتُ الأرض وقلت: الله الله يا أمير المؤمنين ارحمها فأمر بردها، فقال لبعض الخدم الوقوف مُر جئ بها، فلم يكن بأسرع من أن أقبلت وفي يدها عودها، وعليها غير الثياب التي كانت عليها، فلما رآها جذبها إليه وعانقها، فبكت وجعل يبكي، واندفعت أنا في البكاء، وقالت: ما ذنبي يا مولاي، وبأي شئ استوجبت هذا، فأعاد عليها ما قال لي وهو يبكي، فقالت: سألتك الله يا أمير المؤمنين إلّا ضربت عُنقي الساعة وأرحتني من الفكر في هذا، وأرحت نفسك من الهم، وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسحا أعينهما، ورجعت إلى الغناء، وأومأ إلى خدم فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عين وَوَرِقٌ، ورزماً فيها ثياب كثيرة، وجاء خادم بدرج ففتحه فأخرج منه عقداً ما رأيت مثله قط وألبسها إياهُ، وأحضرت بدرةٌ فيها عشرة آلاف درهم فوُضعت بين يدي، وخمسة تخوت ثياب، وعدنا إلى أمرنا، وإلى أحسن ما كنا فيه، فلم نزل كذلك إلى الليل، ثم تفرقنا.

وضرب الدهر من ضربه، وتقلد المتوكل الخلافة، فوالله إني لفي منزلي في غير يوم نوبتي، إذ هجم عليَّ رُسُلُ الخليفة، فما أمهلوني حتى ركبت وصرت إلى الدار، فأدخلتُ والله الحجرة بعينها، وإذا المتوكل في الموضع الذي كان فيها الواثق بعينه، وعلى ذلك السرير، وإلى جانبه فريدة، فلما رآني قال: ويحك ما ترى ما نحن فيه من هذه! أنا من غدوةٍ أطلبها أن تغني فتأبى ذلك، فقلت: سبحان الله، تخالفين سيدك وسيد البشر، بحياته غني، فضربت والله العظيم واندفعت تُغني:[٢] [الوافر]

مـقـيـمٌ فـي ضـريـح لا يُـرَجَّـى	آيـاتٌ مـنـــهُ إلا فـي الـمـعـــادِ[٣]
فـلا تـبـعُـد فـكـلٌ فـتـىً سـيـأتـي	عـلـيـه الـمـوتُ يـطـرقُ أو يُـغـادي

ثم رمت بالعود إلى الأرض، ورمت نفسها عن السرير، وقامت تعدو وهي تصرخ: واسيداه، فقال: ويحك ما هذا؟ فقلت: ما أدري، قال: ويحك ما ترى؟ فقلت: أرى والله يا

---

(١) جعفر: هو الخليفة العباسي العاشر المتوكل على الله بن المعتصم.

(٢) الشعر لكثير، الديوان: ١٣٨.

(٣) رواية البيت في الديوان والأغاني:

مـقـيـم بـالـمـجـازة مـن قـنـونـا	وأهـلـك بـالأجـيـفـر فـالـثـمـاد

سيدي [٣٧] أن أنصرف أنا وتحضر هذه ومعها عودها، وتحضر غيرها من الجواري، فإن الأمر يؤول إلى ما يحب أمير المؤمنين، قال: فانصرف في حفظ الله، فانصرفتُ، ولم أدر ما كانت القصة بعد ذلك.

١٢ ـ الدلال(١)

ألأم لئيمٍ، وأخبث زنيمٍ، وأقبحُ مؤنث مذكرٍ، وساع بين اثنين في منكر، سواء لديه شهوات الرجال والنساء، وبياض الصباح وظلمة المساء، قد انغمس في القبيح، وارتكس في الغش زي النصيح، كان يسلك المنهجين، ويهتك الفرجين، ويهلك في الزوجين مع الوقوع، فذهب مفتونا، وخلد في النار ملعوناً

قال أبو الفرج(٢): لم يكن في المخنثين أحسن وجهاً، ولا أنظف ثوباً، ولا أظرف من الدلال، وهو أحد من خصاه ابن حزم، فلما فعل ذلك به قال: الآن تم الخنث. قال: وكان إذا تكلم أضحك الثكلى، وكان مُبتلى بمخاطبة النساء، فكان كل من أراد خطبة من امرأة جليلة سأله عنها وعن غيرها، فلا يزال يصف لــه واحدة واحدة حتى ينتهي إلى ما يعجبه منهن.

قال مصعب الزبيري: أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خُصي الدلال، وذلك أنه القادم يقدم المدينة فيسأل عن امرأة يتزوجها، فيُدلُّ على الدلال، فإذا جاء فقال: صف لي من تعرف من النساء للتزويج، فلا يزال يصف واحدة واحدة حتى يوافق قوله، فيقول: كيف لي بذلك، فيقول: امهرها كذا وكذا، فإذا رضي بذلك، أتاها الدلال، فقال لها: إني قد أصبت لك زوجاً وهو هيئته ويساره، ولا عهد لــه بالنساء، وإنما قدم آنفاً فلا يزال بذلك يُشَوقها ويُحركها حتى تطيعه، فيأتي الرجل فيعلمه أنه قد أحكم ما أراد، فإذا سُوِّي الأمر تزوجته الأمرأة وقال لها: قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك، والليلة موعده، وأنت مغتلمة شبقة جامَّةٌ، فساعه يجامعك [يراك](٣) قد دُفعت عليه مثل سيل العرم، فيقذرك ولا يُعاودُك، وتكونين من أشأم الناس على نفسك وعلى غيرك، فتقول: ما أصنع؟ فيقول لها: أنت أعلم بدواء فرجك ودائه، وما يسكن

---

(١) أبو زيد ناقد مولى بني فهم، مغني مخنث، أحد من خصاه والي المدينة ابن حزم، بناءً على أمر من الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٤١ ـ ٤٦٢.

(٢) الأغاني: ٤/٤٤١.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

عليه، فتقول لــه: ما أعرف شيئاً أشفى من الجماع، فيقول لها: إن لم تخافي من الفضيحة فابعثي إلى بعض الزنوج حتى يقضي بعض وطرك، ويكف عادية فرجك، فتقول له: ويلك، ولا كل هذا، فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول: فكما جاء عليٌّ فأنا أقوم أخففك وإني إلى التخفيف أحوج، فتقول المرأة: هذا الأمر مستور [٣٨] فيجامعها، حتى إذا قضى لذته منها، قال لها: أما أنت فقد استرحت وأمنت العيب، وبقيت أنا. ثم يجيء إلى الزوج فيقول له: قد وعدتها أن تدخل إليك الليلة، وأنت رجل غريب عزب، ونساء أهل المدينة يريدون المطاولة، وكأني بك لما تقربها تفرغ وتقوم، فتبغضك وتمقتك، ولو أعطيتها الدنيا، ولا تنظر في وجهك بعدها، ولا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته، فيقول: تطلب زنجية تجامعها مرتين ثلاثة حتى يسكن عليك، فإذا دخلت الليلة بأهلك لم يجر أمرك إلَّا جميلاً، فيقول له: أعوذ بالله من هذا الحال، زنا وزنجية؟ لا والله ما أفعل، فإذا أكثر محاورته فيقول لــه: قم فافعل بي أنا حتى تسكن عليك غلمتك وشبقك، فيفرح، ويفعل ذلك مرة أو مرتين، فيقول لــه: قد استوى أمرك وطابت نفسك، فتدخل على زوجتك فتجامعها مجامعة تملأها سروراً ولذة فيقرب المرأة قبل زوجها، والرجل قبل امرأته، فكان ذلك دأبه، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك، وكان غيوراً، فأمر بأن يخصى هو وسائر المخنثين، وقال: إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن، فورد الكتاب على ابن حزم[١].

وقد قيل إنَّ الذي هيج سليمان بن عبد الملك على ما فعله بمن كان بالمدينة من المخنثين إنه كان مستلقياً على فراشه في الليل، وجارية إلى جانبه، وعليها غلالة ورداء معصفران، وعليها وشاحان من ذهب، وفي عنقها فضلات من حب لؤلؤ وزبرجد وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفاً، وفي عسكره رجل يقال لــه سُمَيرُ الأيلي يُغنِّي، فلم يفكر سليمان في غنائه شغلا بها، وإقبالا عليها وهي لاهية عنه لا تجيبه مصغية إلى الرجل، حتى طال ذلك على سليمان، فحول وجهه مُغضباً، وعاد إلى ما كان من همه بها، فسمع سُميراً يغني بأحسن صوت وأطيب نغمة:[٢] [البسيط]

محجوبة سَمعَتْ صوتي فأرَّقَها ... من آخر الليل لما طَلَّها السَّحَرُ

تُدنى على جيدها رُدْنَي مُعَصفَرَة ... والحلي فيها على لبَّاتِها خَصِرُ

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٤٣ ـ ٤٤٤

(٢) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٤٤

في ليلة النِّصفِ ما يَدري مُضاجعُهَا أوَجْـهُـهَـا عـنـده أبـهـى أم الـقـمـرُ
لو خُلِّيتْ لمشَت نحوي على قـدمٍ تـكـادُ مَـنِ رقَّـةٍ لـلـمـشـي تُـنـفَـطـرُ

قال: فلم يشك سليمان أن الذي بها مما سمعت، وأنها تهوى سُميراً، فوجه من وقته بمن أحضره ودعا [٣٩] لها بالسيف والنطع، وقال لها: والله لتصدقيني أو لأضربن عنقك، قالت: سلني عما تريد، قال: أخبريني عما بينك وبين هذا الرجل، قالت: والله ما أعرفه ولا رأيته قط، وأنا جارية منشئي الحجاز، ومن هنالك حُملتُ إليك، والله ما أعرف بهذه البلاد أحداً سواك، فرقَّ لها، وأحضر الرجل فسأله عن مثل ذلك وتلطف في المسألة، فلم يجد بينه وبينها شائبة، ولم تطلب نفسه بتخليته سوياً فخصاه، وكتب إلى جميع عماله بذلك[١].

قال: لما أخصى المخنثين مَرَّ بابن أبي عتيق فقال: أخصيتم الدلال، والله لقد كان يجيد:[٢] [مجزوء الوافر]

لـمـن رَبْـعٌ بـذاتِ الـجـيـش أمـسـى دارسـاً خَـلَـقَـا

ثم رجع فقال: إنما أغني خفيفه، لست أغني ثقيله[٣]

قال حمزة النوفلي: صَلّى الدلال المخنث إلى جانبي فضرط ضرطة هائلة سمعها من في المسجد فرفعنا رؤوسنا، وهو ساجد يقول في سجوده رافعاً صوته: سبح لك أعلاي واسفلي، فلم يبق أحد في المسجد إلا فُتِنَ، قطع صلاته بالضحك[٤].

قال المدائني: اختصم شيعي وَمُرجِئي، فجعل بينهما أول من يقطع حكما، فقطع الدلال، فقال: يا أبا زيد، أيهما خير الشيعيُّ أم المرجِئيُّ؟ قال: لا أدري، إلا أن أعلاي شيعي وأسفلي مرجئ[٥].

قال: قدم مخنث من مكة، فجاء الدلال، فقال لـه: يا أبا زيد، دلني[٦] على بعض

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٤٤ ـ ٤٤٥.
(٢) الشعر الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٤٥.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٤٥.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٤٦، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٩/٤٢٣.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٤٧.
(٦) في الأصل: إني، والتصويب يقتضيه السياق.

مخنثي المدينة أكايده وأمازحه وأحادثه، قال: قد وجدته لك، وكان خيثم بن غزال صاحب شرطة زياد بن عبيد الله جاره، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلي في المسجد، فقال: إلحقه في المسجد، فإنه يقوم فيه ليصلي ليرائي الناس، فإنك ستظفر بما تريد منه، فدخل المسجد وجلس إلى جانب ابن غزال، فقال: عجلي صلاتك لا صلى الله عليك، قال خيثم: سبحان الله، فقال المخنث: سبحت في جامعة فَرَّاجة، انصرفي حتى أتحدث معك، فانصرف خيثم من صلاته، ودعا بالشرط، فقال: خذوه، فأخذوه مئة سوط وحبسوه[1].

قال إسحاق: صلى الدلال يوماً خلف الإمام بمكة، فقال: [وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذي فَطَرَنِي وإِلَيهِ تُرجَعُونَ][2]، قال الدلال: لا أدري والله، فضحك أكثر الناس، وقطعوا الصلاة[3].

قال: سأل رجل الدلال أن يزوجه امرأة فزوجه، فلما أعطاه صداقها وجاء بها إليه ودخل بها، فلما قام يواقعها ضرطت قبل أن يطأها، فكسل عنها ومقتها، وأمر بها فأخرجت، وبعث إلى [٤٠] الدلال فعرفه ما جرى عليه، فقال له الدلال: فديتك هذا من غيرة نفسها فقال: دعني منك، فإني قد أبغضتها، فاردُد إليّ دراهمي، فردَّ بعضها فقال: لم رددت بعضها، وقد خرجت كما دخلت؟ قال: للروعة التي أدخلتها على أستها، فضحك وقال: أنت أقضي الناس وأفقههم[4].

قال: خرج الدلال يوماً إلى نزهة مع فتية، وكان معهم غلام جميل الوجه، فأعجبه، وجلس يشرب، وسألوه أن يغنيهم فغناهم:[5] [الطويل]

زبيـــرية بالعَرج مِنهَا مَنازلٌ	وبالخيف من أدنى منازلهم رسم
أسائلُ عَنهَا كَلَّ ركبٍ لقيتُهُ	ومالي بها من بعد مكثها علـمُ
أيا صاحبَ الجاماتِ من بطن أرقد	إلى النخلِ من ودان ما فعلت نُعمُ[6]
فإن تكُ حربٌ بين قومي وقومِهَا	فإني لها في كل نائرةٍ سلم

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٨/٤.

(٢) سورة يس، الآية ٢٢.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٩/٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٩/٤، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٤٢٣/٩.

(٥) الشعر في الأصفهاني، الأغاني، ٤٤٩/٤ ـ ٤٥٠.

(٦) في الأغاني: من بطن أرثد.

قال: فطرب القوم وصاحوا، فنذر بهم السلطان وتعادت الشُّرَطُ، فأحسوا بالطلب، فهربوا وبقي الغلام والدلال ما يطيقان براحاً من فرط السكر، فأخذا وأتى بهما أمير المدينة، فقال للدلال: يا فاسق، قال: من فمك إلى السماء، فقال: يا عدو الله، وما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به؟ قال: لو علمت أنك تغار علينا وتشتهي أن نفسق به سراً ما خرجت به من بيتي. قال: جردوه واضربوه حداً، قال: وأي شئ ينفعك هذا، وأنا والله أضرب في كل يوم حدوداً، قال: ومن يتولى ذلك؟قال: أيور المسلمين، قال: ابطحوه وأجلسوا على ظهره، قال: أحسب الأمير قد اشتهى أن يراني كيف أناك، قال: أقيموه لعنه الله وأشهروه في المدينة مع الغلام، فأخرجا يُدار بهما في السّكك، فقيل له: ما هذا يا دلال، قال: اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين، فجمع بيني وبين هذا، ونادى علينا، ولو قيل له الآن إنك قَوّادٌ غضب، فبلغ خبره الوالي، فقال: خلوا سبيلهما لعنة الله عليهما[1].

قال: كان سليمان بن عبد الملك يبلغه نوادر الدلال وطيبة حديثه، فوجه مولى له وقال: جئني به سراً، فنفذ المولى إليه وأعلمهُ ما أمر به، فخرج معه إلى الشام، فدخل على سليمان ليلاً، فقال: ويلك ما خبرك؟ قال: جُبِبْتُ من القبل مرة يا أمير المؤمنين، فهل تريد أن تَجُبنَّي الكرة من الدُّبُر؟ فضحك [٤١]. وقال: أغرب أخزاك، ثم قال له: غَنِّ، فغناه في شعر العرجي:[2] [الطويل].

أفـي رسـم دارٍ دَمـعُـكَ الـمـتـحَـدِّرُ ... سَفَاهاً وما استنطاقُ ما ليس يُخبرُ
تَـغَـيَّـرَ ذاك الـرَّبـعُ مِـنْ بَـعـدِ جِـدَّةٍ ... وكـلُّ جـديـدٍ مَـرَّةً يـتـغـيَّـرُ

فقال له سليمان: حق لك يا دلال أن يقال لك أحسنت وأجملت، فو الله ما أدري أي أمريك أعجب، سرعة جوابك أم حسن غنائك وجودة فهمك، بل جميعاً عجب، وأمر له بصلة سنية، وأقام عنده شهراً يشرب على غنائه، ثم سرحه إلى الحجاز[3].

قال: كان الدلال لا يشرب النبيذ، فخرج مع قوم إلى مُتَنَزَّهٍ لهم، ومعهم نبيذ، فشربوا وسقوه عسلاً مجدوحاً، فكان كلما تغافل صبوا عليه نبيذاً، فلا ينكر حتى كثر ذلك وسكر

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٤٩ ـ ٤٥٠.
(٢) العرجي، الديوان: ٢٢٣.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٥١ ـ ٤٥٢.

وطرب، فقال: اسقوني من شرابكم، فسقوه حتى ثمل ونام عرياناً، فغطاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزلــه ليلاً فَنَوَّمُوهُ وانصرفوا عنه، فأصبح وقد تلوثت ثيابه، فأنكر نفسه، فحلف أن لا يُغني أبداً ولا يعاشر من يشرب نبيذاً، فوفى بذلك إلى أن مات، وكان يجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه(١).

١٣ ـ أبو سَعِيد مَولى فَائِد(٢)

رجل حقٍ وباطل، وزينة مُحلًّى وعاطل، لم يحبط بمروءته العناء، ولا أثر في مروءته الغناء، وكان على اشتهاره بالغناء ومداومته وإقامة سوقه ومقاومته من رجال أهل المدينة، عرضاً مصوناً وجناباً حصيناً، لا ينظر بعين نقيصة، ولا يرى إلَّا والمسامع على أصواته حريصة، فكان لا يرى مسؤولاً، ولا يبرح يداوي بريئاً ومتبولاً.

قال أبو الفرج الأصبهاني(٣): ذُكِر أَنَّ أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التميمي قاضي المدينة لأبي جعفر المنصور، وكــان مقــدماً لأبي سعيد، فقال لــه: يا أبا سعيد، أنت القائل:(٤) [الطويل]

لقد طُفتُ سَبعَاً قلتُ لماَ قضَيتُها ... ألا لَـيـتَ هـذا لا عـلـيَّ ولا لِـيَـا
يسائِلُني صَحبِي فما أَعقِلُ الذي ... يقولون مِنْ ذِكْرِ لليلى اعتَرَانِيَا

قال: لَعَمرُ أبيك إني لقائله، وإني لأدمجه إدماجاً من لؤلؤ، فرد محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس، وقام أبو سعيد من مجلسه مُغضَباً وحلف أن لا يشهد عنده [٤٢] أبداً، فأنكر أهل المدينة رَدّ شهادته، وقالوا لابن عمران: عَرَّضْتَ حقوقنا للبَوارَ وأموالنا للتلف، لأنا كنا نستشهد هذا الرجل لعلمنا ما كنت عليه، والقضاة من قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله، فندم ابن عمران على رد شهادته ووجه إليه فسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليمضي

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٦٠

(٢) أبو سعيد إبراهيم مولى فائد، مولى عمرو بن عثمان بن عفان، والمعروف بابن أبي سنة مولى بني أمية، وكان شاعراً مجيداً ومغنياً وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبول الشهادة بالمدينة معدلاً، وعمر إلى خلافة الرشيد، وله قصائد جياد في مراثي بني أمية: انظر: الأصفهاني، الأغاني:٤/٤٨١ ـ ٤٨٩.

(٣) الأغاني: ٤/٤٨٥.

(٤) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٨٣.

شهادته، فامتنع وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمين لزمه إن حضر حنث، قال: فكان ابن عمران إذا ادعى أحد عنده شهادة أبي سعيد، صار إلى منزلــه وإلى مكانه من المسجد حتى يسمع ويسأله عما يشهد به فيخبره، وكان محمد بن عمران عظيم اللحم، كبير العجز، صغير القدمين، دقيق الساقين، يشتد عليه المشي، وكان كثيراً يقول: لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طفت سبعاً» وأتعبني وَأَضَرَّ بي إضراراً طويلاً، وأنا رجل ثقال ترددني لا إلى ابي سعيد لأسمع شهادته.

وتمام الأبيات[1]:

إذا جِئتُ بابَ الشِّعبِ شِعبِ ابنِ عامرٍ ... فَأُقرِئْ غزالَ الشِّعبِ منّي سلامِياً

وقل لغَزَالِ الشِّعبِ هـل انتَ تاركٌ ... لِشِعبِـكَ أم يُصبحُ القلبُ ثاويا

لقَد زادني الحُجّاجُ شوقاً إليكـم ... وإن كنت قُبلَ اليومِ للحَجِّ قالَيا

وَمَا نَظَرَت عيني إلى وجـهِ قادمٍ ... من الحَجِّ إلا بَلَّ دمعي رِدَائِيَا

قال إسحاق: حججت مع الرشيد، فلما قربت من مكة استأذنته في التقدم، فأذنَ لي، فدخلت مكة، فسألت عن أبي سعيد مولى فائد، فقيل لي هو بالمسجد الحرام، فأتيت المسجد فـدُلِـلْتُ عليه، فإذا هو قائم يصلي، فجلست قريباً منه، فلما فرغ قال: يا فتى ألك حاجة؟ قلت: نعم، تغنيني «لقد طفت سبعاً»، فقال لي: أو أغنيك أحسن منه؟ قلت: أنت وذاك، فاندفع يغني شعره[2]: [الخفيف]

إنَّ هذا الطويلَ مِن آلِ حفصٍ ... نَشَرَ المجدَ بعدَ ما كانَ مَاتَا

وبناهُ على أساسٍ وثيقٍ ... وعِمَادٍ قد أُثبِتَا إثبَاتَا[3]

مثلَ مَا قَد بَنَى له أوّلوهُ ... وكذا يُشبِهُ النباتُ النباتا

فأحسن فيه، فقلت: يا أبا سعيد: فغنني لقد طفت سبعاً، قال: أوأغنيك ما هوأحسن منه؟ [٤٣]، فقلت: أنت وذاك فَغَنّى فاندفـع وقال:[4] [الكامل]

---

(١) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٨٣.

(٢) الشعر لأبي سعيد مولى فائد في الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٨٣.

(٣) في الأغاني: قد أنبتت إنباتاً.

(٤) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٨٢.

قَدِمَ الطويلُ فَأَشرَقَت واستبشَرت أرضُ الحجاز وبانُ في الأشجارِ[1]
إنَّ الطويلَ مِنَ الِ حفصٍ فَاعلَمُوا سادَ الحضورَ وسادَ في الأسفارِ

فأحسن فيه، فقلت: أحسنت يا أبا سعيد، فغنني «لقد طفت سبعاً»، فقال: أو أغنيك ما هو أحسن منه:[2] [الخفيف]

أيُها السائلُ الذي يَخبُطَ الأر ض دع النّاس أجمعينَ وَرَاكَا
وأتِ هذا الطويلَ من آل حفصٍ إن تَخَوَّفتَ غَفلَةً أو هلاكَا

فأحسن فيه، فقلت: غنني «قد طُفت سَبعاً» فقد أحسنت فيما غَنَّيت، ولكني أحب أن تُغَنِّيني ما سألتك فيه، فقال: لا سبيل إلى ذلك، لأني رأيت النبي ﷺ في منامي وفي يده شئ لا أدري ما هو، وقد رفعه ليضربني به وهو يقول: يا أبا سعيد، لقد طُفتُ سبعاً، وما صنعت بأمتي هذا الصوت؟ فقلت: بأبي أنت وأمي اغفر لي، فو الذي بعثك بالحق نبياً لا غنيت هذا الصوت أبداً، فَرَدَّ يده عني وقال: عفا الله عنك أبداً، ثم انتبهت. ما كنت لأعطي رسول الله ﷺ شيئاً في منامي، فأرجع فيه في يقظتي.

قال إسحاق: فبكيت وقلت: لا تَعُد يا أبا سعيد في غنائه، فقال: شيئاً إذا أردت أن تسمعه فاسمعه من مُنة جارية البرامكة، فودعته وانصرفت[3].

قال إبراهيم بن المهدي: كنت بمكة في المسجد الحرام، فإذا شيخ قد طلع، وقد قلب إحدى نعليه على الآخر، فسألت عنه فقلت: من هذا؟ فقيل: هو أبو سعيد مولى فائد، فقلت لبعض الغلمان: أحصبوه، فحصبوه، فأقبل عليَّ وقال: ما يظن أحدكم إذا دخل المسجد إلَّا أنه له، فقلت للغلام: ما يقول لك أبلغني، فقال له أبو سعيد: ومن مولاك حفظك الله؟ فقال: مولاي إبراهيم بن المهدي، فقام فجلس بين يَدَيَّ، فقال: لا والله بأبي أنت وأمي ما عرفتك، فقلت: لا عليك، أخبرني هذا الصوت:[4] [المتقارب]

---

(١) الأصل: أرض الحجاج، والمثبت من الأغاني.
(٢) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٨٢.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٨١ ـ ٤٨٢.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٨٥ والشعر للعبلي في رثاء بني أمية.

أفـاضَ الـمـدامـعَ قَـتْـلِـي الـكـرى وقـتـلـى بـكَـثْـوة لـم تُـرمـسِ[1]

فقال: هو لي ورب هذا البيت، لا تبرح حتى تسمعه، ثم قلب إحدى نعليه وأخذ [٤٤] بعقب الأخرى وجعل يقرع بحرفيها على الأخرى وَيُغَنِّيه حتى أتى عليه، فأخذتُهُ منه، وهذا البيت من قصيدة يرثي بها أبو سعيد بني أمية الذين قتلهم عبد الله وداوود ابنا عليٍّ بن عبد الله بن عباس:[2] [المتقارب]

أولـئـكَ قـومـي أَنَـاخَـتْ بـهـم نَـوَائِـبُ مَـنْ زَمَـنٍ مُـتْـعِـسِ
إذا رَكِـبُـوا زيَّـنُـوا الـمـوكـبـيـن وإن جَـلَـسُـوا زيـنـةُ الـمـجـلـس
هُـم أضـرَعُـونـي لـريـبِ الـزَّمَـانِ وهـم الـصَـقُـوا الرَّغمَ بـالـمعطسِ[3]

قال: لما وُضع رأس مروان بين يدي أبي عباس، خَرَّ لله ساجداً، وقال: الحمد لله الذي أظفرني بك، وأظفرني عليك ولم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين، ثم تمثل قول ذي الإصبع العدواني:[4] [البسيط]

لـو يَـشـرَبُـونَ دَمِـي لـم يُـروِ شَـارِبَـهُـم ولا دِمَـاؤُهـمُ لـلـغَـيـظِ تُـرويـنـي[5]

قال: نظر عبد الله بن علي في القتال إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يقاتل مستقتلاً، فناداه: يا فتى، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد الأكبر، قال: إن أكُنهُ فلست بدونه، قال: فلك الأمان من كُنتَ، فأطرق ثم قال:[6] [المتقارب]

أذُلَ الـحـيـاةِ وكُـرهُ الـمَـمَـاتِ وَكُـلا أراهُ طـعـامـاً وبَـيـلَا
فـإن لـم يَـكُـن غـيـر إحـداهـمـا فَـسَـيـراً إلـى الـمـوتِ سَـيـراً جَـمـيـلا

ثم قاتل حتى قتل، فإذا هو مسلمة بن عبد الملك[7].

---

(١) في الأغاني: المدامع قتلى كدى.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٨٦ والشعر للعبلي.
(٣) الخبر في الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٨٥، وفي الأصل: "هم أرضعوني وهم الزقوا الفم"، والمثبت من الأغاني.
(٤) الشعر والخبر في الأغاني: ٤/٤٩٠.
(٥) في الأصل: لم يشربون، والمثبت من الأغاني.
(٦) الشعر في الأغاني: ٤/٤٩٠.
(٧) الخبر في الأصفهاني، الأغاني: ٤/٤٩٠ ــ ٤٩١. وفيه ابن مسلمة وهو الصواب.

قال الزبير: سَبَبُ قَتل السَّفاح بني أمية بحضرته، أن السَّفاح مُدحِ بقصيدة، فأقبل على بعضهم، فقال: أين هذا مما مدحتم به، فقال: هيهات لا يقول والله أحدٌ فيكم مثل ما قال ابن قيس الرقيات فينا:[١] [المنسرح]

مَا نقِمُوا من بَني أميَّة إلا ... أنهم يحلمون أن غَضِبُوا
وأنهم مَعدِنُ الملوكِ ولا ... تَصلُحُ إلا عليهمُ العَرَبُ

فقال: يا ماصّ كذا وكذا، إن الخلافة لفي شَك بعد! خذوهم، فأخذوا وقتلوا، ثم أمر ببساط فبُسطَ عليهم، ودعا بالغداء، فجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته، فلما رفع قال: ما أعلم أني أكلت أكلة قط كانت أطيب ولا أهنأ من هذه في نفسي [٤٥] فلما رفع الطعام قال: جُرُّوا بأرجلهم فالقوهم في الطريق ليلعنوهم أمواتا كما لعنوهم أحياء، قال: رأيت الكلاب تجر بأرجلهم وعليهم سراويلات الوشي، حتى أنتنوا، وحفرت لهم بئر فألقوا فيها، وقال ابن هرمة في ذلك:[٢][البسيط]

فلا عَفَا اللّهُ عَن مروانَ مَظلَمَةً ... ولا أُمَيَّةَ بِئسَ المجلسُ النَّادِي
كانو كَعَادٍ فأمسى اللّهُ أهلَكَهُم ... بِمِثلِ ما أَهلَكَ الماضِينَ من عَادِ[٣]

١٤ ـ فُلَيح بن العَوراء[٤]

رجل طالما نَدَّمَ نديماً، وعادت صَبَاهُ عقيماً، تَمُرُّ به الراح مرورها بالخَيف، ويقوم به السرور فيميل بالحَيف، فكان يثقل على محاضره، وينغص على جليسه وناظره، لكنه كان من الجِلَّةِ السوابق، وأهل التقدم المأخوذة عنهم الطريق، ما غَنَّى إلَّا أطرب، ولا قال إلا أعرب.

قال أبو الفرج الأصفهاني[٥]: قال محبوب بن لهفة: دعاني محمد بن سليمان فقال: قَدَم فليح بن أبي العوراء من الحجاز وقد نزل عند مسجد ابن عتاب[٦]، فَسِرْ إليهِ و أَعلِمهُ إن جاءني

(١) عبيد الله بن قيس الرقيات، الديوان: ٤.
(٢) ابن هرمة، الديوان:١٠٢.
(٣) الخبر في الأصفهاني، الأغاني: ٤٩٢/٤ ـ ٤٩٣.
(٤) فليح: مولى بني مخزوم من أهل مكة، وهو أحَدُ مغني الدولة العباسية، وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المئة صوت للرشيد، وكان من الموصوفين بحسن الغناء، انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٥٠٢/٤ ـ ٥٠٧.
(٥) الأغاني: ٥٠٣/٤ ـ ٥٠٤.
(٦) كذا في الأصل، وفي معظم نسخ الأصفهاني المخطوطه، والصواب ابن رغبان.

قبل أن يدخل إلى الرشيد خلعت عليه خلعة من ثيابي، ووهبت لـه خمسة آلاف درهم، فمضيت فأخبرته بذلك، فأجابني إليه إجابة مسرور به، نشيط له، وخرج معي فعدل إلى حمام كان بقربه، فدعا القَيِّمَ فأعطاه درهمين، وسأله أن يجيئه بشئ يأكله ونبيذ يشربه، فجاءه بشراب ورأس عجل وشابي غليظ مسحوري رديء، فقلت: لا تفعل وجهدت به أن لا يأكل ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان فلم يلتفت إليَّ، وأكل من ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ حتى طابت نفسه، وغنى القَيِّمُ معه مَلِيّاً، ثم خاطب القَيِّمَ بما أغضبه، وتلاحيا وتواثبا، فأخذ القَيِّمُ شيئاً [فضربه به على](1) رأسه فشجه حتى جرى دمه، فلما رأى الدم سائلاً على وجهه، اضطرب وجزع، ثم قام فغسل وجهه، وعاجله بصوفة محروقة وزيت وعصابة، وَتَعَمَّمَ وقام معي، فلما دخلنا دار محمد بن سليمان، ورأى الفرش والآلة وحضر الطعام ورأى سروره وطيبه، وحضر النبيذ وآلته، ومُدَّت الستائر، وغَنَّى الجواري، أقبل عليَّ وقال: يا محبوب، سألتك بالله، إيما أحق بالعريدة وأولى، منزل القيم أو مجلس الأمير؟ فقلت: وكأنه لا بد من [٤٦] عربدة، قال: لا والله مالي منها بُدٌّ فَأخرجتُها من رأسي هناك، فقلت: أما على هذه الشريطة فالذي فعلت أجود، فسألني محمد بن سليمان عما كان منه، فأخبرته، فضحك ضحكاً كثيراً وقال: هذا الحديث والله أظرف وأطيب من كل غناء، وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

قال فليح بن العوراء: كان في المدينة فتى يعشق ابنة عم، فوعدته أن تزوره، وشكا إليّ أنها تأتيه ولا شيء عنده، فأعطيته كسر دينار للنفقة، فلما زارته قال له: من يلهينا؟ قال: صديق لي ووصفني لها، ودعاني فأتيته، وكان أول ما غنيت:(2) [الوافر]

مِـن الـخَـفـراتِ لـم تَـفـضَـح أخَـاهَـا وَلـم تَـرفَـع لـوالِـدِهَـا شَـنَـارا

فقامت إلى ثوبها لتلبسه وتنصرف، فعلق بها، وجهد أن تقيم، فلم تقم، وانصرفت، وأقبل عليَّ يلومني في أن غنيت ذلك الصوت، فقلت: لا والله ما هو شئ اعتمد فيه مساءتك، ولكنه شيء اتفق، قال: فلم نبرح إذ عاد رسولها بعدها ومعه صرة دفعها إلى الفتى وقال لـه: تقول لك ابنة عمك، هذا مهري ادفعه إلى أبي و اخطبني، ففعل ذلك وتزوجها. والبيت للسليك بن السلكة، وبعده:

كـأنَّ مـجـامـعَ الأردافِ مِـنْـهـا نَـقـاً دَرَجَـتْ عـلـيـه الـرِّيـحُ هـاراً

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) البيت للسليك بن السلكه، شعره: ٥٥.

يَعَافُ وِصَالَ ذاتِ البَذْلِ قلبي ويتبعُ المُمَنَّعَةَ النَّوَارا[1]

ومنهم:

١٥ ـ الهُذَلي[2]

كان من القدماء المشاهير، ومن أهل الغناء في الجماهير، لم يذكر معه أحد زاد في حسن الصنعة إلَّا انتقص، ولا أمال إليه أحد نجوى سمعه إلَّا رقص، لو سمعه صاحبه أبو ذؤيب لأنساه ثكل بنيه وسلاه، إذ كان غناؤه في التسلي يغنيه، ولما عرف بالأنة بين الشعراء يتفجع، ولما رُئيَ إلا مسروراً لا يقول: «أمن المنون وريبها تتوجع»[3].

قال أبو الفرج[4]: وكان فتيان قريش يغدون إليه وقد عمل عمله بالليل، ومعهم الطعام والشراب والدراهم، فيقولون: قد جئنا، فيقول: الوظيفة الأخرى، أنزِلُوا أحجاري، فيلقون ثيابهم ويأتزرون بأُزُرِهِم وينقلون بالحجارة وينزلونها، ثم ينزل على شنخوب [٤٧] من شناخيب الجبل، ويجلسون تحته في السهل، يشربون وهو يغنيهم حتى المساء وكانوا كذلك مدة.

قال إسحاق: زوج ابن سريج لما حضرته الوفاة الهذلي بابنته، فأخذ عنها أكثرَ غنائه وادَّعاه، فغلب عليه، وولدت ابناً، فَلَمَّا يَفَعَ جاز يوماً بأشعب وهو جالس في فتية من قريش، فوثب فحمله على كتفه، وجعل يرقصه، ويقول: هذا ابن مزامير داود، فقيل لـه: ويلك ما تقول، ومن هذا الصبي؟ قال: أوما تعرفونه، هذا ابن الهذلي من ابنة ابن سريج، ولد على عود، واستهل على غناء، وحنك بملوى، وشدت سرته بزير، وختن بمضراب[5].

١٦ ـ مَالِكُ بنُ السَّمْحِ[6]

مطرب لو لم يضمه معبد إليه لكان نظيره أو يزيد عليه، طرح عليه أصواته فحفظها،

---

(١) الخبر والشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٥٠٥/٤.

(٢) الهذلي: سعيد بن مسعود، أبو عبد الرحمن من كبار المغنين من أهل مكة وتزوج بابنة (ابن سريج) أشهر المغنين في عصره فأخذ عنها غناء أبيها، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤٦/٥ ـ ٥٠.

(٣) الشعر لأبي ذؤيب الهذلي في المفضليات: ٤٢١.

(٤) الأغاني: ٤٧/٥.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٤٩/٤.

(٦) مالك بن أبي السمح الطائي أحد المغنين المقدمين في العصر الأموي وبداية العصر العباسي توفي نحو سنة ١٤٠هـ انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٧٠/٥ ـ ٨٠.

وشجا حُسَّادَهُ وأحفظها، وأخذ جوائز الأمراء، وحصل جزيل الثراء، وكان يُرمى بَحُمقٍ ربما أَدَّاهُ إلى صواب الرأي وهداه، وسبب حياته ومدَّ مداه، وأحياه ليميت به عداه.

قال أبو الفرج الأصفهاني رحمه الله تعالى(١): قال الورد: كان مالك بن أبي السمح من طيء، فأصابتهم حطمة في بلادهم بالجبلين، فقدمت به أمه وأخوه وأخوات أيتام لا شئ لهم، وكان يسأل الناس عن باب حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان معبد منقطعاً إلى حمزة، يكون عنده يغنيه، فسمع مالك بن أبي السمح غناءه فأعجبه واشتهاه، وكان لا يفارق باب حمزة، يسمع غناء معبد إلى الليل، ولا يطوف بالمدينة، ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يريم فينصرف إلى أمه ولم يكسب شيئاً فتضربه وهو مع ذلك يرنم، بألحان معبد ويؤديها دوراً دوراً، نغماً بغير لفظ، ولا روى شيئاً من الشعر، وجعل كلما غدا وراح رآه ملازماً لبابه، فقال لغلامه: أدخل هذا الغلام الأعرابي إليَّ، فأدخله إليه، فقال لـه حمزة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا غلام من طيء أصابتنا حطمة بالجبلين فَحَطَّتنَا إليكم، ومعي أم لي و أخوة، وإني لزمت بابك، فسمعت من دارك صوتاً أعجبني فلزمت بابك من أجله، فقال: هل أنت تعرف منه شيئا؟ قال: أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر [٤٨] قال: إن كنت صادقاً إنك لتفهم ودعا بمعبد فأمره أن يغني صوتاً، فغناه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقوله؟ قال: نعم، قال: هاته، فاندفع فغناه وأدى نغمته بغير شعر يؤدي مدَّاته وليَّاتِهِ وعطفاته ونبراته وتعليقاته، لا يخرم حرفاً، فقال لمعبد: خذ هذا الغلام وخرجه فليكونن له شأن، قال معبد: ولم أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنه منسوبة إليك، وإلا عَدَلَ إلى غيرك وكانت محاسنة منسوبة إليه، فقال: صدق الأمير، وأنا أفعل ما أمرني به، ثم قال حمزة لمالك: كيف وجدت ملازمتك لبابنا؟ قال: والله ثم والله، ما شبعت على بابك شبعة قط، ولا انقلبت إلى أهلي منه بخير، فأمر لـه ولإخوته وأمه بمنزل، وأجرى لهم رزقاً وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء، وأجلس مالكاً معه في مجلسه، وأمر معبداً أن يطارحه، فلم يلبث أن مهر وحذق، وكان ذلك بعقب مقتل هدبه بن خشرم، فخرج مالك يوماً فسمع إمرأة تنوح على زياد الذي قتله هدبة بشعر أخي زياد:(٢) [الطويل]

أَبَعْدَ الذي بالنَّعفِ نَعفِ كُوَيكِبِ رهينة رَمسٍ ذي تـرابٍ وَجَـنـدلِ

(١) الأغاني: ٧١/٥ ـ ٧٢.

(٢) الشعر لعبد الرحمن بن زيد أخي هدبة في الأصفهاني، الأغاني: ٧٢/٥.

أُذَكَّر بالبُقْيَا على ما أَصَابَنِي وبقْيَايَ أنّي جاهدٌ غيرُ مُؤْتَلي
فَلا يُدعُنّي قومي كريماً لحرّةٍ لَئِنِ لم أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أو أُعَجَّلِ

فَغَنَّى في هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في زوجها ورققه وأصلحه وزاد، والآخر نحا فيها نحو معبد في غنائه، ثم دخل على حمزة فقال: أيها الأمير إني صنعت غناء [في شعر][1] سمعته من بعض أهل المدينة ينشده فأعجبني، فإن آذن الأمير غنيته فيه، فقال: هات، فغناه اللحن الذي نحا فيه نحو معبد، فطرب حمزة، وقال: أحسنت يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقته، فقال: لا تعجل أيها الأمير وأسمع مني شيئاً آخر ليس من غناء معبد ولا من طريقته، فقال: هات، فغناه باللحن الذي يشير فيه بنوح المرأة، فطرب حمزة حتى ألقى حُلَّةً كانت عليه، قيمتها مائة دينار، ودخل معبد فرأى حُلَّةَ حمزة عليه فأنكرها وعلم حمزة بذلك، فأخبر معبداً بالسبب، فأمر مالكاً فغناه [٤٩] الصوت، فقال: قد كرهت أخذها فيعتمد غنائي ويدعيه لنفسه، فقال لـه حمزة: لا تعجل واسمع غناءً صنعه، ليس من شأنك ولا من طريقتك، وأمره أن يغني اللحن الآخر، فغناه، فأطرق معبد، فقال حمزة: والله لو تفرد بهذا لضاهاك، ثم يتزايد على الأيام، وكلما كبر هو زاد، وكلما شخت أنت نقصت فلا يكون منسوباً إليك، أجمل، فقال معبد وهو منكسر: صدق الأمير فأمر حمزة له بخلعة من ثيابه وجائزة، حتى طابت نفسه، وسكن، فقام مالك على رجله فقبل رأس معبد، وقال لـه: يا أبا عباد [أساءك][2] ما سمعت من غنائي، بالله العظيم لا أغني لنفسي شيئاً أبداً ما دمت حياً، فإن غلبتني نفسي فغنيت شعراً اسَحسَنتَهُ لأنْسُبَنَّهُ إليك، فَطِبْ نفساً وارضَ عنّي، فقال لـه معبد: أَوَتَفْعَل هذا وتفي به؟ قال: أي والله وأزيد، وكان مالك بعد ذلك إذا غَنَّى صوتاً فسئل عنه، قال: هذا لمعبد، ما غنيت لنفسي شيئاً قط، وإنما آخذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأُحَسِّنَهُ وأزيد فيه وأنقص منه.

قال ابن عائشة: حضرت الوليد بن يزيد يوم قتل، وكان مالك بن أبي السمح معنا، وكان أحمق الخلق، فلما قتل الوليد قال: أهرب بنا، فقلت: وما يريدون منا؟ فقال: وما يؤمنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليخفوا أمرهم بذلك، قال ابن عائشة: فما رأيت منه عقلاً قط قبل ذاك اليوم[3].

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٧٨/٥ ـ ٧٩.

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله بن العباس:[1] [المنسرح]

أبيضُ كالبَدرِ أو كَمَا يَلْمَعُ السا رقُ في حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ

مَنْ ليسَ يُعْصِيكَ إنْ رَشَدْتَ ولا يعصيك حقَّ الإسلام والحرمِ[2]

فيقال أن مالكاً قال له: والله ولا إن غويت أيضاً أعصيك[3].

١٧ ـ دَحْمَانُ الأشْقَر[4]

نفق على الخلائف، ونفذ من برِّهم باللطائف حتى سمت به نفسه إلى رتب الصعود، وطلب ما لم ينله إلَّا ولاة العهود، وكان له على المهدي نفاق، وبكرمه المجدي أراق، وكان أطرب من سمع، وأطيب من عليه جمع، كان إذا غَنَّى كأنما يَشْتَلُّ الأكباد [٥٠] ويستلب في كل لحن قطعة من الفؤاد.

قال أبو الفرج:[5] كان يقول: ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء. ويقال: إن دحمان شهد عند عبد العزيز بن حنظلة وهو يلي القضاء، لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق شهادة فأجازها وعدله، فقال العراقي: إنه دحمان، قال: أعرفه ولو لم أعرفه لسألت عنه، فقال: إني يغني، ويعلم الجواري الغناء، قال: غفر الله لنا ولك، وأيُّنا لا يَتَغَنَّى، اخرج إلى الرجلِ من حقه.

قال عمر بن شَبَّة: بلغني أن المهدي أعطى دحمان في ليلة خمسين ألف دينار، وذلك أنه غناه من شعر الأحوص[6]: [مجزوء الوافر]

قَطوفُ المشي أن تَمشِي تَرَى في مَشيِهَا خَرَقَا

فطرب واستخفه السرور حتى قال لدحمان: سلني ما شئت، قال: ضيعتان بالمدينة يقال

---

(١) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٧٥/٥.

(٢) في الأغاني: يهتك حق.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٧٥/٥ ـ ٧٦.

(٤) عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث بن عبد مناة، الملقب بدحمان الأشقر، أحد كبار المغنيين في العصر العباسي، توفي سنة ١٦٥هـ. أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٥/٦ ـ ٣١١.

(٥) الأغاني: ٣٠٥/٦.

(٦) الأحوص، الديوان: ٢٠٥.

لهما: أركا وغالب، فأقطعه إياهما، فلما خرج التوقيع إلى أبي عبد الله وعمر بن بزيع، راجعا المهدي فيه وقالا: إن هاتين الضيعتين لم يملكهما قط إلا خليفة، وقد استقطعهما ولاة العهود في أيام بني أمية فلم يعطوها، فقال: والله لا أرجع عنها إلا بعد أن يرضى، فَصُوْلِحَ على خمسين ألف دينار[1].

قال إسحاق: مَرَّ دحمان الأشقر المغني وعليه رداء جيد، فقال له بعض من حضر: بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو؟ فقال[2]: [المنسرح]

ضَرُّ جيرانَنا إذ انتجعوا[3]

١٨ ـ سِيَاط[4]

كان سروراً للسامع، وشجياً لابن جامع، لا يزال يغيظه ويزهق باقي ذَمائِه ويغيظه، ولم تكثر عدد أصواته التي صنفها، وأبياته في الأنغام التي ألفها، إلا أنه يكثر فيها الصناعة، ويظهر فيها البراعة، ويطرب بها مالا يطرب اليراعة، وكانت أخباره قلائل، وآثاره عليه دلائل.

قال أبو الفرج[5]: قال إسحاق: ولقب هذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يغني:[6][الوافر]

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الحيَّاتِ فِيهَا   قُبَيْلَ الصُّبحِ آثارُ السِّيَاطِ

قال المهدي يوماً وهو يشرب لسلامة الأبرش: جئني بسياط وعقال وحبال، فارتاع كل من حضر، وظن جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم، فجاء بسياط المغني [٥١] وعقال المدائني الذي كان يوقع عليه، وحبال الزامر، فجعل الندماء يشتمونهم، والمهدي يضحك[7].

قال: دخل ابن جامع على سياط وقد نزل به الموت، فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٦/٦

(٢) الأحوص، الديوان: ١٧٨

(٣) الخبر والشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٧/٦.

(٤) سياط: هو عبد الله بن وهب، مولى خزاعة، مغني مكي، توفي سنة ١٦٩هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٢/٦ ـ ٣٩٦.

(٥) الأغاني: ٣٩٢/٦.

(٦) الشعر للمتنخل في الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٢/٦.

(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٣/٦.

قال: أن لا تزد في غنائي شيئاً ليس منه، دعه رأساً برأس، فإنما هو ثمانية عشر صوتاً[1].

١٩ ـ ابنُ جَامِع[2]

مطرب جليل، ومطر ما عنده قليل، لم يقصر عن إسحاق فيما جمع، ولا تأخر فيما لم يعلق به طمع، وكان لا يرى إلا أن يكون ظِئْرَةَ، وأن يُعَدّ نظيره، وله في كل حديث إذا شاء نصيب، وكلام مصيب، إلا أن الغناء كان عليه العلم الذي به عرف، والسبب الذي لولاه لما كان عليه عكف.

قال أبو الفرج[3]: كان حسن السمت، كثير الصلاة، قد أخذ السجود في جبهته، وكان يعتم بعمامة سوداء، على قلنسوة، ويلبس لباس الفقهاء، ويركب حماراً مَرِّيسِيّاً في زي أهل الحجاز، فبينما هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الأذن عليه، إذ أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلانس، فوقف ابن جامع إلى جانبه فالتفت إليه أبو يوسف، فرأى سمته وحلاوة هيئته، فقال له: امتع الله بك، توسمت فيك الحجازية، قال: أصبت، قال: فمن أي قريش؟ قال: من بني سهم، قال: فأي الحرمين منزلك؟ قال: مكة، قال: فمن لقيت من فقهائهم؟ قال: [سل][4] عمن شئت، ففاتحه الحديث فوجد عنده ما أحبَّ، فَأُعجِبَ به، ونظر الناس إليهما، فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المغني، وأبو يوسف لا يدري أنه ابن جامع، فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه، ثم قالوا: لا لعله لا يعود إلى مرافقته بعد اليوم، فلم نَغُمُّهُ، فلما كان في الإذن الثاني ليحيى، غدا عليه الناس، وغدا عليه أبو يوسف، فنظر ابن جامع، فلما رآه ذهب فوقف إلى جانبه، فحادثه كما فعل فلما انصرف قال لــه بعض أصحابه: أيها القاضي، أتعرف هذا الذي ترافقه وتحادثه؟ قال: نعم، رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء، قالوا: هذا ابن جامع المغني، قال: إنَّا لله، قالوا: إن الناس قد شهدوا مرافقته فأنكروا ذلك من فعلك. فلما كان الإذن الثالث، جاء أبو يوسف ونظر إليه فَتَنَكَّبَهُ، وعرف ابن جامع أنَّهُ قد[٥٢] أُنْذِرَ، فجاء حتى وقف وسلم عليه، فرد أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه، ثم انحرف عنه،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٥/٦

(٢) اسماعيل بن جامع السهمي القرشي، مغني مكي، اتصل بالخليفة هارون الرشيد، توفي سنة ١٩٢هـ. أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٦/٦ ـ ٥١٩.

(٣) الأغاني: ٤٨٨/٦.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط في الأصل، والإضافة من الأغاني.

فدنا منه ابن جامع، وعرف الناس القصة، وكان ابن جامع جهيراً، فرفع صوته ثم قال: يا أبا يوسف،مَالَكَ تُعرِضُ عنِّي؟ أي شئ أنكَرتُ؟ قالوا لك ابن جامع المغني فكرهت مرافقتي، أسألك عن مسألة فاصنع ما شئت، وأقْبَلَ الناس نحوهما مستمعين، فقال: يا أبا يوسف، لو أن أعرابياً جلفاً وقف بين يديك، فأنشدك بجفاءٍ وغلظٍ من لسانه، فقال وحاكى الأعرابي:[1] [البسيط].

يَا دَارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فَالسَّنَدِ　　　أقْوَت وطَالَ عَلَيهَا سَالِفُ الأبدِ

أكنت ترى بذلك بأساً؟ قال: لا، وقد روي عن رسول الله ﷺ في سماع الشعر، وقد روي عنه الحديث. قال ابن جامع: فإن قلت هكذا، ثم اندفع يغني فيه حتى أتى عليه، ثم قال: يا أبا يوسف، رأيتني زدت فيه أم نقصت؟ قال: عافاك الله، اعفنا من هذا، قال: يا أبا يوسف، أنت صاحب فُتيا، هل زدته أم حَسَّنتهُ بألفاظي فحسن في السمع،ووصل إلى القلب. ثم تَنَحَّى عنه ابن جامع.

قال: دعا الرشيد يوماً جعفر بن يحيى، وابن جامع عنده، فلم يزل يُغَنِّيهِم يومهما، ثم انصرفا، فلما كان من الغد، دخل إبراهيم الموصلي على جعفر بن يحيى، فسأله عن يومه فقال لــه: إنَّهُ لم يزل ابن جامع يُغَنِّينَا إلا أنه كان يخرج عن الإيقاع ـ وهو في قوله هذا يريد أن يطيب نفس إبراهيم ـ قال: فقال إبراهيم: أنت تريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب، ألا بالله ما ضرط ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج عن الإيقــاع في الغناء؟[2]

كان ابن جامع بَرّاً بوالدته، وكانت مقيمةً بمكة، فدعاه إبراهيم بن المهدي فأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين في نعي والدته، فجزع لذلك جزعاً شديداً، وجعل يعزيه جميع من حضر، وجاؤوا بالطعام فلم يتركوه حتى أكل وشرب، وسألوه الغناء فامتنع، فقال لــه إبراهيم: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذله لإخوانك، فاندفع يُغَنِّي:[3] [البسيط]

كَمْ بالدُّرُوبِ وأرض الشام مِنْ قَدَمِ　　　وَمِنْ مصارع قوم مَا هُمُ قُبِرُوا
بِقُنْدَهَارَ ومن تُقــدَر مَنِيَّتُهُ　　　بِقُنْدَهَارَ يُرَجَّم دُونَهُ الخَبَرُ

(١) الشعر للنابغة، الديوان: ٧٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤٩٦.

(٣) الشعر ليزيد بن مفرغ الحميري في الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤٩٧.

[٥٣] وجعل إبراهيم يسترده حتى صلح له، ثم قال: لا والله، ما كان مما أخبرناك شئ، فإنما مَزَحنا معك، فطابت نفسه، ثم قال لـه إبراهيم: رُدَّ عليه الصوت، فَغَنَّاه، فلم يكن من الغناء الأول في شئ، فقال إبراهيم: خذه الآن عليَّ، فادَّاهُ إبراهيم على السماع، فقال له ابن جامع: أحب أن تطرحه أنت عليَّ كذلك[1].

قال ابن جامع: ضمني الدهر ضماً شديداً بمكة، فانتقلت عنها بعيالي إلى المدينة، فأصبحت يوماً ولا أملك إلا ثلاثة دراهم، فهي في كمي، إذ أنا بجارية حميراء، على رقبتها جرة تريد الرَّكِيّ تستقي، وهي ترنم بصوت شجي:[2] [الطويل].

شَكَوْنَا إلى أحْبَابِنَا طولَ لَيْلنَا　　فقالُوا لَنَا ما أقصرَ الليلَ عِنْدنَا

وذاكِ بأنَّ النَّوم يَغْشَى عيونَهُم　　سِراَعاً ولا يَغْشَى لنا النَّومُ أعْيُنَا

إذ مَادَنَا اللّيلُ الُمضِرُّ بذي الهَوَى　　جَزِعْنَا وَهُم يَسْتَبْشِرُون إذا دَنَا

فَلَوْ كَانُوا يُلاقُونَ مِثْلَ مَا　　نُلاقِي لكانُوا في المضَاجعِ مِثْلَنَا

قال: فأخذ الغناء بقلبي، ولم يَدُرْ لي منه حرف، فقلت: يا جارية ما أدري أوجهك أحسن أم عناؤك؟ فلو شئت أعدت، قالت: حباً وكرامة، ثم اندفعت فَغَنَّتْهُ، فوالله ما دار لي منه حرف، فقلت: أحسنت فلو تفضلت فأعدته مرة أخرى، فَقَطَّبَتْ وكَلَحَتْ وقالت: ما أعجب أحدكم! لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها، فضربت يدي إلى ثلاثة الدراهم فدفعتها إليها، وقلت لها: أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي، فأخذتها كالكارهة وقالت: أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتاً، أحسبك ستأخذ عليه الف دينار وألف دينار، قال: واندفعت تغني، فأعملت فكري في غنائها حتى بان لي الصوت وانصَرفَتُ مسروراً إلى منزلي أُرَدِّدهُ حتى خَفَّ على لساني، ثم إني لما خرجت أريد بغداد، دخلتها فنزل بي المكاري على باب المحوَّلِ، ولا أدري أين أتوجه، ولا من أقصُدُ، فما زلت أمشي مع الناس حتى أتَيتُ الجسر، فعبرت ثم انتهيت إلى الشارع بالميدان، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً، فقلت: مسجد قوم سراة، فدخلته وحضرت صلاة المغرب فَصَلَّيْتُ، وأقمت مكاني حتى صليت [٥٣] العشاء الآخرة على جوع وتعب، وانصرف أهل

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٩٧/٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥٠٠/٦.

المسجد، وبقي رجل يصلي خلفه جماعة من الخدم وفحول ينتظرون فراغه، فَصَلى مَلِّياً، ثم التفت فقال لي: أحسبك غريباً، فقلت: أجل، فقال: متى كنت في هذه المدينة، فقلت: آنفاً، وليس لي بها منزل ولا معرفة، وليست صناعتي من الصنائع المذكورة لأهل الخير، قال: وما صناعتك؟ قلت: الغناء، فوثب مبادراً، فدخل ووكل بي بعض من معه، فسألت الموكِّل بي فقال: هذا سلام الأبرش، قال: فانتهى إلى قصر من قصور الخليفة وجاز بي من مقصورة إلى مقصورة، حتى أدخلني إلى مقصورة في آخر الدهليز، ودعا بطعام، فَأُتِيْتُ بمائدة عليها طعام من طعام الملوك، فأكلت حتى امتلأت، فإني لكذلك إذ سمعت ركضاً من الدهليز وقائلا يقوم: أين الرجل؟ قال: ها هو ذا، قال: ادعوا بغسول وخلعة وطيب، ففعل ذلك بي، وحملت على دابة إلى دار الخليفة، فعرفتها بالتكبير والحرس والنيران، فجاوزت مقاصير عدة، حتى صرت إلى دار قوراء فيها أسرة في وسطها قد أضيف بعضها إلى بعض، قال: فأمرني الرجل بالصعود، فصعدت، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار في حجورهن العيدان، وفي حجر الرجل عود، فَرَحَّبَ الرجلُ بي، وإذا مجالس خالية، كان فيها قوم قد قاموا عنها، فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر، فقال للرجل: تَغَنَّ، فانبعث يُغَنِّي بصوت فيه لي وهو[1]: [البسيط]

لم تَمْشِ ميلاً ولم تَرْكَبْ على قَتَبٍ	ولم تَرَ الشَّمْسَ إلا دونهَا الْكِلَلُ
تمشي الهُوَيْنَى كأنَّ الشمسَ تُوحِشُها	مَشْيَ اليعافِيْرَ في جيآته الوَهَلُ

فَغَنَّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودساتين مختلفة، ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليه، فقال: تَغَنِّي، فغنت بصوت لي كانت فيه أحسن حالاً من الرجل، وهو:[2] [البسيط]

يا دارُ أضْحَتْ خَلاءً لا أنيسَ بِهَا	إلا الظِّبَاءُ وإلا الماشطُ الفَرِدُ
أَيْنَ الذينَ إذا مَا زُرْتُهم جَذِلُوا	وَطَارَ عن قلبي التَّشْوَاق والكَمَدُ

ثم عاد الخادم إلى الجارية الثانية فاندفعت تغني بصوت لحكم الوادي وهو:[3] [الطويل]

فو اللّه مــا أدري أَيَغْلِبُنِي الهَوَى	إذا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ أمْ أنا غَالبُهْ
فإن أَسْتَطِعْ أغْلِبْ وإن يَغْلِبِ الهْوَىَ	فَمِثلُ الذي لاقَيْتُ يُغْلَبُ صَاحِبُهْ

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥٠١/٦.

(٢) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٥٠١/٦.

(٣) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٥٠٢/٦ وهو لابن ميادة.

[٥٥] ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فَغَنَّته بصوت لِحُنَيْنْ وهو(١): [الطويل]

مَرَرْنَا على قيسِيَّةٍ عامِريّةٍ لها بَشَرٌ صافي الأديم هِجان
فَقَالتْ وألْقَتْ جَانِبَ السِّتْر دُونَهَا مِنَ أيَّةِ أرضٍ أم مَنِ الرجُلانِ
فَقُلْتُ لها أما تميمٌ فَأُسْرتي هُدِيْتِ وأمّا صَاحِبِي فَيَمَانِ
رَفِيْقَانِ ضَمَّ السَّفر بَيْنِي وَبَيْنَهُ وقد يلتقي الشَّتَّى فَيأتَلِفَانِ

قال: ثم خرج الخادم فقال: تَغَنَّ عافاك الله، فَغَنَّيْتُ بصوت الرجل على غير غنائه، فإذا الخادم قد خرج، فقال لي: ويحك لمن هذا الغناء؟ فقلت: لي، فانصرف عَنّي ثم عاد فقال: كذبت، هذا الغناء لابن جامع، وَدَارَ الدَّوْرُ، فلما انتهى إليَّ غنيته بصوت الجارية الثانية، فخرج الخادم فقال: ويحك لمن هذا الغناء؟ فقلت: لي، فرجع وخرج فقال: كذبت، هذا لابن جامع، وَدَارَ الدَّوْرُ فَلَمَا انتهى إليَّ الغناء تغنيت بصوت لي لا يعرف إلَّا بي، وهو:(٢) [الكامل]

عُوجِي عليَّ وَسَلِّمِي جَبْرُ فِيْمَ الصُّدُودُ وأنتمُ سَفْرُ
مَا نَلْتَقِي إلَّا ثلاثَ مِنَى حَتَّى يُفَرقَ بَيْنَنَا النَّفْر

قال: فتزلزلت والله الدار عليهم، وخرج الخادم، فقال: ويحك، لمن هذا الغناء؟ فقلت: لي، فرجع ثم خرج، فقال: كذبت، هذا الغناء لابن جامع، فقلت: أنا إسماعيل بن جامع، قال: فما أشعر إلَّا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم، فقال له الفضل بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك، فلما صعد السرير وثبتُ قائماً، فقال لي: ابن جامع؟ فقلت: ابن جامع جعلت فداك يا أمير المؤمنين، فقال لي: ويحك متى كنت في هذه المدينة؟ فقلت: آنفا دخلتها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين. قال: اجلس ويحك يا ابن جامع غني، ومضى وهو وجعفر بن يحيى فجلسا في بعض تلك المجالس، وقال لي: أبشر يا ابن جامع وابْسُطْ أَمَلَكَ، فدعوتُ له، ثم قال: غَنِّني يا ابن جامع غَنِّني، فخطر ببالي صوت الجارية، فاندفعت أُغَنِّيهِ، فنظر الرشيد إلى جعفر وقال: سمعت كذا قط؟ قال جعفر: لا والله ما خرق مسامعي قط مثله، فرفع الرشيد رأسه إلى خادم له بالقرب منه، فدعا [٥٦] بكيس فيه ألف دينار فرمى به إليَّ، فصيرته تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين،

---

(١) الشعر في الأُصفهاني، الأغاني: ٥٠٢/٦.

(٢) الشعر للعرجي، الديوان: ٢٣٢.

فقال جعفر: يا ابن جامع، رُدَّ على أمير المؤمنين الصوت، فرددته وتزيدت في غنائي، فقال له جعفر: يا سيدي، ما تراه كيف يتزيَّدُ في الغناء؟ هذا خلاف ما سمعنا أولاً، وإن كان الأمر في اللحن واحداً، ثم دعا بكيسٍ آخر فيه ألف دينار، فجاءني به، فصيرته تحت فخذي، وقال: تَغَنَّ يا إسماعيل ما حضرك، فجعلت أقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري، فأغنيه فلم أزل أفعل ذلك إلى أن عسعس الليل، فقال: أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك، فَأَعِدْ على أمير المؤمنين الصوت، يعني صوت الجارية، فَغَنَّيْتُ به، فدعا بكيس ثالث فيه ألف دينار، قال: فذكرت ما كان من قول الجارية فتبسمت، فقال: يا ابن الفاعلة مِمَّ تَتَبَسَّم؟ فجثوت على ركبتي وقلت: يا أمير المؤمنين، الصدق منجاة، فقال بانتهار: قل، فأقصصت عليه خبر الجارية، فقال: صدقت قد يكون هذا، وقام فنزل عن السرير، وبقيت لا أدري أين أقصدُ، فابتدرني فَرَّاشان، فصارَ بي إلى دار قد أمر لي بها أمير المؤمنين، ففرشت وجعل فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جُلَسَاءِ الملوك وندمائهم، فدخلت بغداد فقيراً وأصبحت من جِلَّةِ أهلها ومياسيرهم[1].

قال: كان ابن جامع يُعِدّ [صيحة الصوت][2] قبل أن يصنع عمود اللحن[3].

قال ابن جامع: لولا أن القمار وَحُبَّ الكلاب قد شغلاني ما تركت أحداً من المُغَنِّيَنَ يأكل خبزاً.[4]

قال: أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً، فقال: ما اسمه؟ قال: لا أدري، فاخرج دفتراً فيه أسماء الكلاب فجعل يدعوه باسم اسم حتى أجابه.[5]

٢٠ ـ جَمِيْلَة[6]

مغنية المدينة وُمْغنية أهلها عن كل زينة، وكان بيتها منتدى الظرفاء ومنتأى الشرفاء، وفتنةً

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥٠٠/٦ ـ ٥٠٥.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٩/٦

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٩/٦.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٩/٦.

(٦) جميلة: مولاة بني سليم كانت أعلم المغنين والمغنيات في العرب بصناعة الغناء وهي أحد أصول الغناء العربي، توفيت نحو ١٢٥هـ انظر الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٣/٨ ـ ٣٨٥.

لأهل القريتين،ومظنةً لسكان الحَرَّتَين، لا يفتأ فتيان الحي تبغي ائتلافها، وتولي الوُدَّ رِدُادَهَا وأُلافها، ونوت نيةً صالحةً في ترك الغناء فما تُركَتْ، وكثر عليها فلو لم تكف لأصبحت المدينة وكم فيها مهجة سفكت[٥٧].

قال أبو الفرج:[١] قال إسحاق: بلغني أن جميلة قعدت يوماً على فرشٍ لها وقالت لآذنتها: لا تحجبي اليوم عَنَّا أَحَداً، واقعدي على الباب، وكلُّ مَنْ مَرَّ فاعرضي عليه مجلسي، ففعلت ذلك حتى غَصَّت الدار بالناس، فقالت جميلة: اصعدوا إلى العلالي، فصعدت جماعة حتى امتلأ السطوح، وتعالى النهار، واشتد الحر، فاستسقى الناس الماء، فَدُعِيَ لهم بالسويق، فشرب من أراد، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمراوح الكبار، ثم قالت: إني رأيت في منامي شيئاً فأفزعني[٢]، وقد خفت أن يكون قد قرب أجلي، وليس ينفعني إلّا صالح عملي، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهة أن يلحقني منه شئ عند ربي، فقال قوم منهم: نفعك الله وثبت عزمك، وقال آخرون: لا حرج عليك، وقال الشيخ منهم: قد تكلمت الجماعة، وكل حزب بما لديهم فرحون، فاسمعوا قولي و أنصتوا، ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: يا معشر أهل الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فشلتم، ووثب عليكم عدوكم وظفر بكم، فلا تفلحوا بعدها أبداً، قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم، ممن لم يزل ينكر عليكم ما هو وراثه فيكم، لا ينكره عالمكم، ولا يدفعه عابدكم، وأكثرما يكون الجلوس عنه لا للتحريم لــه، لكن الزهد في الدنيا، لأن الغناء من أكبر اللذات وَأَسَرٌّ للنفِوس من سائر الشهوات، يحيى القلب ويزيد في العقل ويسر النفوس، ويفسح في الرأي، وتسر به العين، وتفتح به الحصون، وتذلل به الجبابرة، حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه، ويبرئ المرض، ومن مات عقله وقلت شهوته، يزيد أهل الثروة غنى، وأهل الفقر قناعة ورضاً، ومن تمسك به كان عالماً، ومن فارقه كان جاهلا، وكيف يستحسن تركه ولا يستعان على النشاط في عبادة ربنا إلا به. فما ردَّ أحد عليه حرفاً، ولا أنكر ذلك عليه، وعاد كل بالخطأ على نفسه، وأقر لــه بالفضل، ثم قال لجميلة: أَوَعَيْت ما قلت، ووقع في نفسك ما ذكرت؟ قالت: أجل، وأنا أستغفر الله، قال: فأختمي مجلسنا وفرقي جمعنا بصوت واحد، فغنت هذا البيت:[٣] [الطويل]

---

(١) الأغاني: ٣٧٨/٨.

(٢) في الأصل: فاخر عجني، والمثبت من الأغاني.

(٣) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٤٥٤.

أَفِـيْ رَسْـمِ دارٍ دَمْـعُـكَ الـمُـتَـرَقْـرِقُ سَفَاهاً وما اسْتِنْطَاقُ مَا لَيْسَ يَنْطِقُ

[٥٨] فقال الشيخ: حسن والله، أمثل هذا يترك؟ فبم يتشاهد الرجال؟ لا والله ولا كرامة للشيطان، ثم قام والناس معه، وقال: الحمد لله الذي [لم][١] يفرق جماعتنا على إنكار حسن، ولا جحود فضيلة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يا جميلة.

ومن مشهور غناء جميلة صنعتها في بيتين لامرئ القيس[٢] وهما:[٣] [الطويل]

وَلـمَّـا رَأَتْ أنَّ الـهـجِـيْـرَ يَـضُـرُّهَـا وأنَّ البـيَـاض فـي فـرائِـصِـهَـا دَامِـي

تَـيـمَّـمَـتِ الـعَـيَـن الـتـي عِـنْـدَ ضَـارجٍ يَـفـيء عَـلَـيَـهـا الـظِّـلُّ عَـرْمَـضُـهَـا طامي

٢١ ـ مَعْبَد[٤]

رأس الجماعة، وأساس الطرب، الذي لا يَمَلُّ أحد سماعه، وهو الذي ينشي السامع، وينسي حديث سواه خروق المسامع ويأتي بالبدائع، التي تضرب دونها أعناق الرجال المطامعَ، ويتفرد بالصنائع التي لم تقع على مثلها عين وما طهرتها بالمدامع، سمعت منه الأصوات، وقرعت به اللهوات، وجاء بكل المراد، فلم يدع غَرَضاً للغريض ولا شهوة لشهوات أكرم من معبد لم يُرَ مثلُهُ من يمشى بنظره في الجامع كتاب أبي الفرج وطلب الزيادة وصعد الدرج، بل ولو زاد في شدَّة الأسر وحلَّقَ، حتى حام على النسر.

ومـــا قـصـبـــات الـسـبـــق إلا لـمـعـبـــد.[٥]

قال أبو الفرج الأصفهاني:[٦] قال إسحاق: كان معبد يقول: لقد صنعت ألحاناً لا يقدر أن يغنيها شبعان، ولا يقدر سَقَّاءٌ يحمل القربة على الترنُّمِ بها حتى يقعد مستوفزاً، ولا القاعد حتى يقوم.

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٦١/٨.

(٣) أمروء القيس، الديوان: ٤٧٦.

(٤) أبو عباد معبد بن وهب المدني، مولى ابن قطر أحد موالي معاوية بن أبي سفيان، رأس الغناء والمغنيين في العصر الأموي، توفي سنة ١٢٦هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٦١/١ ـ ٧٧.

(٥) هذا شطر بيت في الأصفهاني، الأغاني: ٦٣/١ ولم يحدد قائله، وتمام البيت. أجاد طويس والسريجي بعده.

(٦) الأغاني: ٦٣/١.

قال إسحاق: قيل لمعبد: كيف تصنع إذا أرَدتُ أن تصوغ الغناء؟ قال: أرتحلُ قعودي، وأُوقِّع بالقضيب على رجلي، وأترنَّم عليه بالشعر حتى يتبين[1] لي الصوت، فقال له: ما أبين هذا في غنائك[2]!

قال ابن الكلبي: قدم ابن سُريج والغَرِيض المدينة يتعرضان لمعروف أهلها، فلما شارفاها تقدَّما ثقلهما ليرتاد منزلاً حتى إذا كانا بالمغسلة، وهي جَبَّانةٌ على طرف المدينة يُغْسَلُ فيها الثياب، إذا هما بغلام متلحف بإزار، وطرفه على رأسه، وبيده حبالةٌ يَتَصَيَّدُ بها الطير، وهو يغني هذا الصوت:[3] [البسيط]

القَصْر فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينَهُمَا   أشْهَى إلى القلْب مِن أبوابِ جيرونِ

[٥٩] فإذا الغلام معبد، فلما سمعاه مالا إليه فاستعاداه منه، فسمعا شيئاً لم يسمعا مثله قط، فأقبل أحدهما على الآخر، فقال: هل سمعت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قال: فما رأيك؟ قال ابن سريج: هذا غناء غلام يتصيد الطير، فكيف بمن في الحومة؟ ـ يعني المدينة ـ أما أنا فثكلته والدته إن لم يرجع، فَكَرّا راجِعَيْن.[4]

قال إسحاق: أُخبِرْتُ عن معبد أنه قال[5]: بَعَثَ إليَّ بعضُ أمراء مكة بالشخوص إليه، فشخصت، قال: فتقدمت غلامي في بعض الطريق واشتد عليّ الحر والعطش فانتهيت إلى خباء وفيه غلام أسود، وإذا حِبابُ ماء قد بردت، فملت إليه، وقلت: يا هذا، اسقني من هذا الماء شربة، قال: لا، قلت: تأذن لي في أن أكِنَّ ساعة؟ فأنخت ناقتي ولجأت إلى ظلها واستترت به، وقلت: لو أخذت لهذا الأمير شيئاً أقدم به عليه، ولعلي أيضاً إن حَرَّكْتُ لساني أن يَبْتَلَّ حلقي بريقي فيخف عني بعض ما أجده من العطش، فترنمت صوتي: [البسيط]

القَصْر فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينَهُمَا   أشْهَى إلى القَلْب مِن أبوابِ جيرونِ

فما سمعه الأسود[6]، ما أشعر إلا وهو قد حملني حتى أدخلني خباءه، وقال: بأبي أنت

---

(١) في الأغاني: يستبين.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٦٤/١.

(٣) الشعر لأبي قطيفه الأموي. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤٤/١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٦٦/١ ـ ٦٧.

(٥) في الأصل: كان والتصويب من الأغاني.

(٦) في الأغاني: فلما سمعني الأسود.

وأمي، هل لك في سويق السُّلْتِ بهذا الماء البارد؟ قلت: قد منعتني أقلَّ من ذلك شربةَ ماءٍ تجزيني. قال: فسقاني حتى رويت وأقمت عنده إلى وقت الرواح، فلما رأيت الرحلة، قال: بأبي أنت وأمي، الحر شديد ولا آمن عليك مثل هذا الذي أصابك، فتأذن لي في أن أحمل قربة من ماء على عاتقي وأسعى بها معك، فكلما عطشت سقيتك صحناً وغَنَّيتني صوتاً. قال: قلت: ذلك [لك][1]، قال: فأخذ قربةً فملأها ماءً بارداً من ذلك الماء، وحملها على عاتقه، وركبت أنا راحلتي، فأقبل يسقيني شربةً وأُغَنِّيه صوتاً حتى بلغت المنزل الذي أردت ولحقت بغلامي وثقلي[2].

قال إسحاق: حَدَّثني سِيَاط عن يونس الكاتب قال: كان معبد قد عَلَّمَ جارية من جواري الحجاز الغناء تسمى ظبية الوادي وعني بتخريجها، فاشتراها رجل من أهل العراق، فأخرجها إلى البصرة، وباعها هناك، فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها، وذهبت به كل مذهب، وغلبت عليه، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده زماناً، فأخذ جواريه أكثر غنائها، وكان لمحبته وأسفه عليها، لا يزال يسأل عن معبد وأين [٦٠] مستقره، ويظهر التعصب لـه والميل إليه، والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصره، إلى أن عُرِفَ ذلك منه، وبلغ معبداً خبره، فخرج إليه، فلما قدم البصرة، صادف الرجل قد خرج في ذلك اليوم إلى الأهواز، فلم يجد إلَّا سفينة الرجل، وليس يعرف أحدهما صاحبه، فأمر الرجل الملاح فأجلسه معه مؤخر السفينة، ففعل ذلك وانحدر، فلما صاروا في نهر الأُبلَّةِ تغدوا وشربوا، وأمر جواريه فَغَنَّيْنَ ومعبد ساكت، وهو [في][3] ثياب السفر، وعليه فَرْوٌ وخُفَّانَ غليظان، إلى أن غَنّتْ إحدى جواريه صوت معبد في شعر النابغة:[4] [البسيط]

بانَتْ سعادُ وأمْسَى حَبْلُهَا انصَرَما ... واحتَلَّتِ الغورَ والأجزاع مِنْ إضَمَا

ولم تُجِدْ أداءَهُ، فصاح معبد: يا جارية، هذا ليس بمستقيم، فقال مولاها وقد غضب: وأنت ما يدريك الغناء ما هو؟ لما لا تمُسْكُ وتلزمُ شأنَكَ، فأمسك ثم غَنَّتْ صوتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم، حتى غنت صوتاً أخر لمعبد في شعر عبد الرحمن بن أبي بكر:[5] [المديد]

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١/ ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الأغاني.

(٤) النابغة، الديوان: ٢١٥.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١/٧٠.

يـاابـنَـةَ الـجـودِيِّ قَـلْـبِـي كـئـيـبُ   مُـسْـتَـهَـامٌ عِـنْـدَهَـا مـا يـثُـيْـبُ[1]

فَأَخَلَّتْ ببعضه، فقال معبد: يا جارية، قد أخللت بهذا الصوت إخلالاً بيناً، فغضب الرجل وقال: ويلك ما أنت والغناء؟ ألا تَكُفُّ عن الفضول؟ فأمسك، فَغَنَّتْ إحداهن في شعر كُثَيِّر، وقالت:[2] [الطويل]

خَلِيلَّي عُوْجَا فابكيا ساعةً مَعِي   عـلـى الْـربْـعِ نَـقْـضِ حـاجـةً ونُـوَدِّعُ

فلم تصنع شيئاً، فقال معبد: يا هذه ما تقومين على أداء صوت واحد، فغضب الرجل وقال: أقسم بالله لئن عاودت لأخرجنّك من السفينة، فلما سكن الجواري، اندفع معبد يغني الصوت الأول، فصاح الجواري: أحسنت والله يا رجل، فأعده، فقال: لا والله ولا كرامة، ثم غَنَّى الثاني فقلن لِسَيِّدهنَّ: هذا والله أحسن الناس غناء، فاسأله أن يعيد علينا ولو مرة واحدة، لعلنا نأخذ منه، فوالله إن فاتنا لم نجد مثله ابداً، فقال الرجل: قد أسلفناه مكروهاً، فاصبرن حتى نداويه، ثم غَنَّى الثالثة، فزلزلت عليهم الأرض، فوثب الرجل فقبل رأسه وقال: يا سيدي أخطأنا عليك، ولم نعرف موضعك، وسأله أن يختلط معه ففعل. وسأل: من أين أخذ جواريه الغناء، فأعلمه، فقال معبد: وإنك [٦١] لأنت هو، فتعرفني؟ قال: لا والله، قال: أنا معبد، وإليك قدمت من الحجاز، والله لا قصرت في جواريك، فَأَكَبَّ على يديه ورجليه، ثم خلع الرجل عليه عدة خلع، وأعطاه من وقته ثلاثمائة دينار وطيباً وهدايا، وانحدر معه إلى الأهواز، فأقام عنده حتى رَضِيَ حِذْقَ جواريهِ، وما أخذنه عنه، ثم وَدَّعَهُ وانصرف إلى الحجاز.[3]

قال: قال الوليد بن يزيد يوماً: لقد اشتقت إلى معبد، فَوَجَّهَ إليه البريد إلى المدينة، فَأُتِي بمعبد وأَمَرَ به فجلس، والبركة بينهما مملوءة بالخمر والماء وَسِتْرٌ مَرْخَى، فقال: غَنّني يا معبد، فقال: [4] [البسيط]

لَـهَـفِي عـلـى فِـتْـيَـةٍ دانَ الـزَّمـانُ بِـهِـم   فَـمَـا أصـابَـهُـمُ إلا بـمـا شَـاؤوا
مـازالَ يَـغْـدُو عـلـيـهـم رَيْـبُ دَهْـرِهِـمُ   حـتَّـى تَـفَـانُـوا وريـبُ الـدَّهـرِ عَـدَّاءُ

(١) في الأصل، عندنا عندها، وفي الأغاني: يا أبنة الأزدي.
(٢) كثير، الديوان: ١٧٩.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٦٩ ـ ٧٢.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٧٢/١.

أبْكِي فِراقُهُمْ عَيني فَأرَّقَها ... إنَّ التَّفَرُّقَ لِلأحْبابِ بَكّاءُ

فَغَنَّاه إياها، فرفع الوليدُ السِّتْرَ، ونزع مُلاءةً مُطَيَّبَة كانت عليه، وقذف بنفسه في البركة، فنهل فيها نَهْلَةً، ثم أُتِيَ بأثواب غيرها، وتلقوه بالمجامر والطيب، ثم قال: يا معبد، غَنِّني، فقال[1]: [مجزوء الكامل]

ولو أنَّ دونَ لقائها جَبَلاً بمزلقةٍ هِضَابُهْ

لأتيتها إنَّ المحِبَّ إذا نأى طالَ اكتئابُهْ

ولو أنَّ دونَ لقائِهَا ضرغامةً كالزُّج نابُهْ

لأتيتَها بالسيفِ لا أخافُ ولا أهابُهْ

فَغَنَّاهُ إياها، قال: فرمى نفسه بالبركة، فنهل منها نهلة بان فيها النقصان، ثم أُتِيَ بأثواب غيرها، وتلقوه بالمجامر والطيب، ثم قال: غَنِّني يا معبد، فقلت[2]: [الكامل]

يا رَبْعُ مَالَكَ لا تجيبُ مُتَيَّماً ... قد عاجَ نَحْوَكَ زائراً ومُسَلِّما

جَادَتْكَ كُلُّ سَحَابِةٍ هَطَّالةٍ ... حَتَّى تُرَى عَنْ زَهْرةٍ مُتَبَسِّمَا

قال: فدعا له بخمسة عشر ألف دينار، فَصَبَّها بين يديه، ثم قال: انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت[3].

قال: قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد: يا أباعباد، أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك، فإن قلت فيه خلاف ما تعلم فلا تُحاشِ أن تَرُدَّه عليَّ، فقد [٦٢] أذنت لك، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد وضعك ربك بموضع لا يعصيك إلَّا ضال ولا يرد عليك إلَّا مخطئ فقال: إنَّ الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج، أجد في غنائك متانة وفي غنائه انخِنَاثاً وليناً، فقال: والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته وأرضاه لعباده، وجعله أميناً على أمة نبيه محمد ﷺ، ما عدا صفتي وصفة ابن سريج، وكذا يقول ابن سريج وأقول، ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذلك عنده فليفعل، قال: لا والله، ولكني أُوثِرُ الطَّرَبَ على كُلِّ شيء، قال: يا سيدي كلما كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء، أذهب أنا إلى

---

(١) الشعر ساقط من المطبوع من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٧٢/١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٧٢/١ ـ ٧٣.

الكامل التام، فأغرب أنا، ويشرق هو، فمتى نلتقي؟ قال: فتقدر أن تحكي رقيق ابنَ سُرَيْج؟ قال: نعم، فصنع لحناً في الخفيف[1]: [الهزج]

إلا لـــــلّـــــــهُ أمٌّ وَ لــــــدَتْ أخــتُ بــنــي سَـهْـمِ
هِـــشَـــامٌ وأبـــو عَـــبْــد مُـــنَـــافٍ مِـــدْرَهُ الـــخَـــصْـــمِ
وذو الــرُّمــحــيــنِ أشـبــاك عـــلــى الـقــوَّةِ والــحَــزْمِ
فـــهـــذانِ يَـــذُودانِ وذا عـــن كَـــثَـــبٍ يَـــرْمِـــي

وغَنَّاه، فردَّ عليه الأول، فأعاد ثم قال: أعد، فأعاد فاستخفَّهُ، ثم قال لجواريه: افعَلْنَ كما أفعلُ، وجعل يدور في الدار ويقول[2]: [مجزوء الرجز]

يـــا دارُ دَوِّريـــنـــي يـا قـــومُ أمـــســكـونـــي
آلَـــيْـــتِ مُـــنْـــذُ حـــيـــنِ حَـــقّـــاً لـتَـصْـرِمـيـنـي
إنْ لـــم تـــواصِـــلُـــونـــي بـــالـــلّـــهِ فَـــارْحَـمِـيـنـي
لـــم تـــذكـــري يـــمـــيـــنـــي

قال: فلم يزل يدور كما تدور الصبيان ويدورون معه، حتى خَرَّ مَغْشِيّاً عليه ما يعقل ولا يَعْقِلْنَ، فابتدره الخدم فأقاموا من كان على ظهره من الجواري، وحملوه حتى أدخلوه[3].

قال إسحاق، أُخْبِرْتُ عن حكم الوادي قال: كنت أنا وجماعة من المغنين نختلف إلى معبد، نأخذ عنه ونتعلم، فَغَنَّانا يوماً صنعةً وأعجب به هو: [البسيط]

القصرُ فالنَّخلُ فالجمَّاءُ بينَهُمَا أشْهَى إلى القلبِ مِنْ أبوابِ جيرونِ

فاسْتَحْسَنَّاهُ، وكنتُ أوَّلَ من أخذه عنه ذلك اليوم فاستحسنه مني، وأعجبته نفسه، فلما انصرفت عملت فيه لحناً آخر، وبكرت إلى معبد مع أصحابي وأنا معجب بلحني، فلما تغنينا أصواتنا، قلت لــه: إنّي قد عملت بعدك لحناً في الشعر الذي غنيت فيه، واندفعت فغنيته

(١) الشعر لعبد الله بن الزبعرى، شعره: ٤٨.
(٢) الرجز ليزيد بن عبد الملك، أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٨٣/١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٨٢ ـ ٨٣.

[٦٣] لحنى فوجم معبد ساعة يتعجب منه، ثم قال: قد كنت أمس أرْجَى مِنِّي اليوم لك، وأنت أبعد من الفلاح، قال حكم الوادي: فَأُنْسِيتُ علم الله صوتي منذ تلك الساعة، فما ذكرته إلى وقتي هذا[١].

٢٢ - ابن سُرَيْج[٢]

مطرب كان من أصحابه من أهل الانتهاء، نظير موافقه ابن سريج في الفقهاء، لم يكن إلَّا من يذعن بتقدمه، ويهابه فلا يكلمه إلَّا تبسمه ويفتح وما سمعه، ويلتقط ويتشطط بأمانيه ويشترط، ويصلح خلله الكثير منه باليسير، ويتخذ منـه مـا يلقيه في أصواته كالإكسير، وكان لأهل مكة البطحاء به ضنانة، وبسببه يُهْتَكُ نَسَبُهُ صيانة، تتقيل لضلاله، وتُقيلُ في ظلاله، وعلى هذا مضى عُبَّاد الحجاز، كانوا لا يرون بالغناء بأساً، ولا يرون أوقات أنسهم الغيرة مقياساً.

قال أبو الفرج[٣]: قال إسحاق: أصل الغناء أربعة نفرٍ: مَكّيان ومدنيّان، فالمكيان: ابن سُرَيج وابن مُحْرِز، والمدنيّان: معبد ومالك.

قال إبراهيم: أدركت يونس الكاتب فحدثني عن الأربعة: ابن سريج وابن محرز ومعبد والغَرِيض، فقلتُ له: مَنْ أحسنُ الناس غناءً؟ قال: أبو يحيى، قلت: عبيد بن سريج؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن شئت فَسّرْتُ وإن شئتَ أجمَلْتُ، قلت: أجمل، قال: كأنه خلق من كل قلب فهو يُغَنِّي لكل إنسان ما يشتهي[٤].

قال إسحاق: وسألت هشام بن مُرِّيَّةَ، وكان عُمِّرَ، وكان حاذقاً بالغناء، فقلت لـه: مَنْ أحذقُ الناس بالغناء؟ فقال لي: تحب الإطالة أو الاختصار؟ فقلت: أُحبُّ اختصاراً يأتي على منوالي[٥]، فقال: ما خلق بعد النبي داود ﷺ أحسن صوتاً من ابن سريج، ولا صاغ الغنى أحذق منه، ويدل على ذلك أن معبداً كان إذا أعجبه غناؤه قال: أنا اليوم سُرَيجي[٦].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٦٧/١.

(٢) عبيد الله بن سريج مولى بني نوفل بن عبد مناف، من أشهر المغنيين في العصر الأموي، توفي سنة ٩٨هـ. أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٢٠٦/١ ـ ٢٥٦.

(٣) الأغاني: ٢٠٧/١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٠٨/١.

(٥) في الأغاني: سؤالي.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢٠٨/١.

قال: وكان ابن أبي عتيق يسوق في كل عامٍ بدنة ينحرها عنه، ويقول: هذا بأقل حقه علينا[1].

قال أبو نافع الأسود، وكان آخر من بقي من غلمان ابن سريج: إذا أعجزك القرشي أن يطرب فَغَنِّهِ غناء ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة، فإنك تُرْقِصُهُ[2].

قال جحظة،حدثني عليٌّ بن يحيى، قال: أرسلني محمد بن الحسن بن مصعب إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحن ابن سريج [٦٤] في[3]: [الطويل]

تَشَكَّي الكُمَيْتُ الجريَ لمَّا جَهَدْتُهُ

أيُّهما أحْسَنُ، فصرت إليه فسألته عن ذلك، فقال لي: يا أبا الحسن، والله لقد أخذت بخطام راحلته فزعزعتها وأنخت بها، وقمت بها فما بلغته[4]، فرجعت إلى محمد بن الحسن فأخبرته، فقال: والله إنه ليعلم أن لحنه أحسن من لحن ابن سريج، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه تفضل القدماء[5].

قال إبراهيم بن المهدي: حَدَّثني إبراهيم الموصلي، قال: حَدَّثني الزبير بن دحمان عن أبيه أن معبداً تَغَنَّى في شعر عبد الرحمن بن حسان[6]: [الرمل]

ربَّ قَلْبي بَهُمُومٍ وَفِكَرْ ... مِنْ حَبِيبٍ هَاجَ حُزْني والسَّهَرْ
يومَ أبْصَرْتُ غُراباً واقعاً ... شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشجر

فعارضه مالك فَغَنَّى في أبيات من هذا الشعر[7]: [الرمل]

وَجَرَتْ لِيَ ظِبْيَةٌ يَتْبَعُهَا ... لَيِّنُ الأظلافِ من حُوِّ البقر[8]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٥/١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣٠/١.

(٣) الشعر لعمر بن ابي ربيعة، انظر: ديوانه: ٢٦٢.

(٤) الأصل: بلغني والتصويب من الأغاني.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٠٨/١.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٢/١.

(٧) الشعر لعبد الرحمن بن حسان انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٢/١ ـ ٢٢٣.

(٨) في الأغاني: حور البقر.

كُـلَّـمـا كَـفْـكَـفْـتُ مِـنَـهَـا عَـبْـرَةً فَـاضَـتِ الـعـيـنُ بِـمُـنْـهَـل دُرَرْ[1]

قال: فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصوتين، قال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أجود صنعة منك، قال: فتنافرا إلى ابن سريج إلى مكة، فلما قدماها، سألا عنه فَأُخْبِرا أنه خرج يَتَطرَّفُ بالحنأء في بعض بساتينها، فاقتصا أثره حتى وقفا عليه وفي يده الحناء، فقالا له: إنّا خرجنا إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما، فقال لهما: لِيُغَنِّ كلُّ واحدٍ منكما صوته، فابتدأ معبد فَغَنَّى لحنه، فقال له: أحسنت والله على سوء اختيارك للشعر، ويحك ما حملك على ما صنعت هذه الصنعة الحسنة في حزن وسهر وهموم وفكرا؟ أربعة ألوان من الحزن في بيت واحد، وفي البيت الثاني شران في مصراع واحد، وهو:

شَـرُّ مـا طـارَ عـلـى شَـرٍّ الـشَّـجَـرْ

ثم قال لمالك: هات صوتك، فغناه مالك، فقال: أحسنت والله ما شئت، فقال له مالك: وإنما هو ابن شهر، فكيف تراه يا أبا يحيى إذا حال عليه الحول؟ قال دحمان: فحدثني [٦٥] معبد أن ابن سريج غضب عند ذلك غضباً شديداً، ثم رمى بالحناء من يده وأصابعه، ثم قال: يا مالك، لي تقول هذا هو ابن شهر؟ أسمع ابن ساعته، ثم قال: يا أبا عباد، أنشدني القصيدة التي تغنيتما منها فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله: [الرمل]

تُـنْـكِـرُ الإثْـمَـدَ مـا تَـعْـرِفُـهُ غَـيْـرَ أنْ تـسـمَـعَ مِـنْـهُ بِـخَـبَـرْ

فصاح بأعلى صوته: هذا خليلي، وهذا صاحبي، ثم تَغَنَّى فيه، فانصرفا مغلوبين مفضوحين، من غير أن يقيما بمكة ساعة واحدة[2].

قال: لما ضادّ ابن سُريج الغريض وتلاحيا، جعل ابن سريج لا يُغَنِّي صوتاً إلَّا عارضه الغريض يُغَنِّي فيه لحناً غيره، وكانت في بعض أطراف مكة دار يأتيانها[3] كل جمعة، ويجتمع إليهما ناس كثير، فَيُوضَعُ لكل واحد منها كرسي يجلس عليه، ثم يتقاضيان الغناء ويترادّانه، فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغنائه من الناس لقربه من النوح وشبهه به، مال [إلى][4] الأرمال والأهزاج، فاستخفها الناس، وقال له الغريض: يا أبا يحيى،

---

(١) في الأغاني: مني عبرة.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٢/١ ـ ٢٢٣.

(٣) الأصل: يأتيها والتصويب من الأغاني.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

قصرت الغناء وحذفته وأفسدته، قال: نعم يا مخنث، جعلت تنوح على أبيك وأمك أليَّ أن تقول هذا، والله لأُغَنِّيَنَّ غناء ما غَنَّى أحد أثقل منه ولا أجود، ثم غَنَّى: [الطويل]

تشكّى الكميت الجري لما جهدته[1]

قال إسحاق: حدثني شيخ من موالي المنصور قال: قدم علينا المدينة فتيان بني أمية يريدون مكة، فسمعوا معبداً ومالكاً فأعجبوا بهما، ثم قدموا مكة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يسمعهم غناءه، فخرج معهم حتى دخلوا عليه فقالوا: نحن فتيان من قريش أتيناك مسلمين عليك وأحببنا أن نسمع غناءك[2]، فقال: أنا مريض كما ترون، قالوا: إن الذي نكتفي به منك يسير - وكان ابن سريج أديباً طاهر الخلق عارفاً بأقدار الناس - فقال: يا جارية، هاتي جلبابي وعودي، فأتته جارية بخامة فشدها على وجهه، وكان يفعل ذلك إذا تغنى لقبح وجهه، ثم أخذ العود فغناهم حتى اكتفوا، ثم ألقى العود وقال: معذرةً، قالوا: قد قبل الله عذرك وأحسن إليك، ومسح على ما بك من الضُّرِّ، ثم انصرفوا يتعجبون مما سمعوا، فمروا بالمدينة منصرفين [٦٦] فسمعوا من معبد ومالك فجعلوا لا يطربون، فقال أهل المدينة: نقسم بالله لقد سمعتم ابن سريج بعدنا، قالوا: أجل لقد سمعناه، فسمعنا ما لم نسمع مثله قط ولقد نَقَضَ إلينا ما بعده[3].

قال إسحاق: حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: قدم جرير المدينة ونحن يومئذ شُبَّانٌ فطلب الشعر، فاحتشدنا له ومعنا الشعراء، فبينا نحن عنده إذ قام لحاجته، فأقمنا لم نبرح، وجاءنا الأحوص الشاعر من قُبَاء على حمار، فقال: أين هذا؟ قلنا: قام لحاجته، فما حاجتك إليه؟ قال: إني أريد أن أعلمه أن الفرزدق أشرف منه وأشعر، قلنا: ويحك لا تعرض له، فانصرف وخرج جرير، فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص فوقف عليه فقال: السلام عليك، فقال: وعليك السلام، فقال: يا ابن الخطفي، الفرزدق أشرف منك وأشعر، قال جرير: من هذا؟ قلنا: الأحوص بن محمد، قال: نعم هذا الخبيث ابن الطيب، أنت القائل[4]: [الطويل]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٤/١.
(٢) الأصل، غناءوه والتصويب من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣٢/١ - ٢٣٣.
(٤) الأحوص، الديوان: ٧.

يقرُّ بِعَيْنِي ما يقرُّ بِعَيْنِهَا وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ[1]

قال: نعم، قال: إنه يقر عينها ان يدخل فيها مثل ذراع البكر، فيقر ذلك بعينك؟ قال: وكان الأحوص يرمى بالأبْنَة، فانصرف فبعث إليهم بتمر وفاكهة، وأقبلنا على جرير نسائله وألح عليه أشعب، فقال لـه: والله أني لأراك أقبحهم وجهاً، وأظُنُّك الأمَهُم حسباً، وقد أبرمتني منذ اليوم، فقال: إني والله أنفعهم لك، قال: ويحك وكيف ذلك، قال: إني أُمَلِّحُ شعرك وُأجِيْدُ مقاطعه ومبادئه، قال: قل ويحك، فاندفع فنادى بلحن ابن سريج[2]: [الكامل]

يـاأُخـتَ نـاجـيـةَ السّـلامُ عـليكُـمُ قَـبْـلَ الـرَّحـيـلِ وقَـبْـلَ لـومِ الـعُـذّلِ
لـو كـنـتُ أعـلـمُ أنَّ آخـرَ عـهـدِكـم يـومَ الـرّحـيـلِ فَـعـلْـتُ مـا لـمْ أفْـعَـلِ

فطرب جرير وجعل يزحف نحوه حتى مست ركبته ركبته، وقال: لعمري لقد صدقت إنك لأنْفَعَهُم لي، ولقد حسنته وأجدته، وأحسنت والله، ووصله وكساه، فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت، قلنا لـه: كيف لو سمعت واضع هذا، قال: وإن لـه [٦٧] لواضعاً غير هذا؟ قلنا: نعم، قال: وأين هو؟ قلنا: بمكة، قال: فلست بعازم حجاً حتى أبلغه، فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته، وكنت فيهم، فقدمنا مكة فأتيناه جميعاً، فإذا هو في فتية من قريش كأنهم المها مع ظَرْفٍ كثير، فرحبوا به وأدنوا مجلسه، وسألوه عن الحاجة، فأخبرناهم الخبر، فرحبوا بجرير وأدنوه وسروا بمكانه، وعظّم ابن سريج موضع جرير، وقال: سل ما تريد، جعلت فداك، قال: أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك، قال: وما هو؟ قال:

يَـا أُخْـتَ نَـاجِـيَـةَ الـسَّـلامُ عَـلَـيْـكُـمُ

فَغَنَّاه ابن سريج، وبيده قضيب يوقع به وينكت، فوالله ما سمعت شيئاً أحسن من ذاك، فقال جرير: لله دركم يا أهل مكة، ما أعطيتم، والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليقيم بين أظهركم يسمع هذا صباحاً ومساءً، كان أعظم الناس حظاً ونصيباً، وكيف ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان، ورقة ألسنتكم، وحسن شارتكم، وكثرة فوائدكم[3].

قال إسحاق: كان ابن سريج جالساً فمر به عطاء وابن جريج، فحلف عليهما بالطلاق أن

(١) الأصل: يقر عيني ما يقر عينها والتصويب من الديوان.
(٢) جرير، الديوان: ٤٩٠.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١/٢٣٨ ـ ٢٣٩.

يغنيهما، على أنهما إن نهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه أبداً، فوقفا له وغناهما[١]: [المديد]

إخـــوَتِـــي لا تـــبـــعـــــــدوا أبـــداً   وَبَـــلَـــى والـــلـــه قَـــدْ بَـــعِـــدُوا[٢]

فَغُشِيَ علي ابن جريج، وقام عطاء فوقف[٣].

قال إسحاق: كان ابن سريج عند بستان ابن عامر، فَغَنَّى بلحنه في هذا الشعر[٤]: [مجزوء الوافر]

لَـمِـن نـارٌ بـأعـلـى الـخَـبـتِ   دونَ الـبـئـر مـا تَـخْـبُـو
أَرِقْـتُ لِـذِكْـرِ مَـوْقِـعِـهَـا   فَـحَـنَّ لِـذِكْـرِهَـا الـقَـلْـبُ

فجعل الحجاج يركب بعضهم بعضاً، حتى جاء إنسان من آخر القصرات، فقال: يا هذا، قد قطعت على الحجاج وحبستهم، والوقت قد ضاق، فاتق الله وقم عنهم، فقام وسار الحجاج[٥].

قال إسحاق: قال ابن مِقَمَّة: دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت يا أبا يحيى؟ [٦٨] قال: أصبحت والله كما قال الشاعر[٦]: [الوافر]

كَـأَنِّـي مِـنْ تَـذَكُّـرِ مـا أُلاقِـي   إذا مَـا أَظْـلَـمَ الـلـيـلُ الـبـهـيـمُ
سَـقِـيْـمٌ مَـلَّ مـنـه أقـاربـوه   وأَسْـلَـمَـهُ الـمـداوي والـحَـمِـيْـمُ[٧]

ثم مات[٨].

قال إسحاق: قال ابن مقَمَّةَ[٩]: لما احتضر ابن سريج نظر إلى بنيته تبكي، فبكى وقال:

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٥٢/١.
(٢) في الأغاني: وأبلى.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٥٢/١.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٥٢/١.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٥٢/١ ـ ٢٥٣
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢٥٤/١.
(٧) في الأغاني: أقربوه.
(٨) الأصفهاني، الأغاني: ٢٥٤/١.
(٩) الأصل: لقمه، والمثبت مما سبق ومن الأغاني.

إن من أكبر همي أنت، وأخشى أن تضيعي بعدي، قالت: لا تخف، فما غَنَيَّتَ شيئاً إلَّا وأنا أُغَنِّيه، فقال: هاتي، فاندفعت تُغَنّي أصواتاً وهو مصغ إليها، فقال: قد أصبت ما في نفسي، وهونت عليَّ أمرك، ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجه إياها، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله، فهو الآن ينسب إليه[1].

قال إسحاق: وأخبرني هشام بن المرية، أن قادماً قدم المدينة فسارّ معبداً بشيء، فقال معبد: أصبحت أحسن الناس غناءً، فقلنا: أو لم تكن كذلك؟ قال: لا، ثم قال: أتدرون ما خبرني به هذا؟ قالوا: لا [قال][2] أعلمني أن عبيد بن سريج مات، ولم أكن [أحسن][3] الناس غناءً وهو حي[4].

قال إسحاق: قال كثير بن كثير السهمي يرثيه[5]: [البسيط]

ما الَّلهْوُ عِنْدَ عُبَيْدٍ حينَ يَخْبرُهُ	مَنْ كانَ يلهو بهِ منهُ بِمُطَّلَبِ[6]
لِلَّه قبرُ عُبَيْدٍ ما تَضَمَّنَهُ	مِنْ لّذَّةِ العيشِ والإحسانِ والطَّربِ[7]
لولا الغريضُ ففيهِ من شمائِلِهِ	مُشَابِهٌ لم أَكُنْ فيهِ بذي أَرَبِ

قال مصعب الزبيري: حدثني شيح من المكيِّن قال: كان ابن سريج قد أصابه الريح الجنبيَّة[8]، فآلى يميناً أن لا يغني، ونسك ولزم المسجد حتى عُوفِيَ، ثم خرج وبه بقية من العلة، فأتى قبر النبي ﷺ، وموضع مُصَلاهُ، فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النُّسْك والقراءة، وكان أهل الغناء يأتونه فيسلمون عليه فلا يأذن لهم في الجلوس بالمحادثة له، فأقام بالمدينة حولاً حتى لم يحس في علته بشئ، وأراد الشخوص فبلغ سكينة بنت الحسين، فاغتمت اغتماماً شديداً وضاق صدرها [٦٩] وكان أشعب يخدمها، وكانت تأنس به

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١/٢٥٤.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١/٢٥٤.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١/٢٥٤.
(٦) في الأغاني: بعد عبيد.
(٧) في الأصل: قرب عبيد والمثبت من الأغاني.
(٨) في الأغاني: الخبيثة.

وتضاحكه، فقالت: ويلك، إن ابن سريج شاخص، وقد دخل المدينة منذ حول، ولم أسمع من غنائه لا قليلاً ولا كثيراً وتَعَذَّرَ ذلك عليَّ فكيف الحيلة في الاستماع منه ولو صوتاً واحداً. فقال لها أشعب: جعلني الله فداك، أنَّى لك بهذا والرجل زاهد ولا حيلة لك فيه؟ فارفعي طمعك والحسي بوزك [تنفعك][1] حلاوة فمك، فأمرت بعض جواريها فَوَطِئَتْ بَطْنَهُ حتى كادت تَخْرُجُ أمعاؤه، وخنقته حتـى [كادت][2] تزهق روحه، ثم أمرت فَسُحِبَ على وجهه حتى أُخْرِجَ من الدار إخراجاً عنيفاً، فخرج واغتمّ غماً شديداً، وندم على ممازحتها في وقت لم ينبغِ له ذلك فيه، فأتى منزل ابن سريج ليلاً فطرقه، قيل له: من هذا؟ قال: أشعب، ففتحوا لـــه، فرأى على وجهه ولحيته التراب، والدم سائل من أنفه وجبهته على لحيته، وثيابه ممزقة، وبطنه وصدره قد عصرهما الدوس والخنق. ومات الدم فيها، فنظر ابن سريج إلى منظر فظيع هاله وراعه، فقال: ما هذا ويحك؟ فقص عليه قصته، فقال ابن سريج: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا نزل بك، والحمد لله الذي سلم نفسك، لا تعودن إلى هذا أبداً، قال أشعب: فديتك، هي مولاتي، ولا بد لي منها، ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتُغَنِّيَهَا، ويكون ذلك سبباً إلى أن ترضى عني؟ قال ابن سريج: لا يكون ذلك أبداً بعد أنْ تركته، قال أشعب: فديتك، قد قطعت أملي ورفعت رزقي، وتركتني حيران في المدينة لا يقبلني أحد، وهي ساخطة عليَّ، فالله الله، وأنا انشدك الله أن تحملت هذا الأمر وإن كان إثماً، فقال ابن سريج: والله لا يكون هذا أبداً، فلما رأى أشعب أنَّ ابن سريج قد تمَّ على الامتناع، قال في نفسه: لا حيلة لي وهذا خارج، وإن خرج [هلكت][3]، فصرخ صرخةً آذَنَ لها المدينة، ونَبَّهَ الجيران من رقادهم، وأقام الناس من فرشهم، ثم سكت، فلم يدر الناس ما القضية عند خفوت الصوت بعد أن قد راعهم، فقال ابن سريج: ويلك، ما هذا؟ قال: والله لئن لم تَصِرْ معي إليها، لأصْرَخَنَّ صرخةً ثانية لا يبقى بالمدينة أحد إلَّا صار بالباب، ثم لأفتَحنّهُ ولأُرِيَنَّهمُ ما بي، ثم أُعلِمَنَّهم أنك أردت أن تفعل كذا وكذا بفلان، يعنى غلاماً كان لابن سريج شهر به [٧٠] ومنعتُكَ وخَلَّصْتُ الغلام من يدك حتَّى فتحَ الباب وَمَضَى، فَفَعلْتَ بي هذا غيظاً وتأسفاً، وإنك إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه، وأهل مكة والمدينة يعلمون بحاله، فقال ابن سريج: أغرب أخزاك

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، واالإضافة من الأغاني.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

الله، فقال أشعب: والله الذي لا إله إلا هو، وإلّا فما أملك صدقة، وامرأته طالق ثلاثاً، إن أنت لم تنهض معي في هذه الليلة لأفْعَلَنَّ، فلما رأى ابن سريج الجِدَّ منه، قال لصاحبه: ويحك، ما ترى ما وقعنا فيه؟ وكان صاحبه الذي نزل عليه ناسكاً، فقال: ما أدري ما أقول فيما وقع بنا من هذا الخبيث، وتذمَّم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل، وقال لأشعب: أخرج من منزل الرجل، فقال: رجلي مع رجلك، فخرجا فلما صار ببعض الطريق، قال ابن سريج لأشعب: امض عني، قال: والله لئن لم تفعل ما قلت لأصِيحَنَّ الساعة حتى يجتمع الناس، ولأقولَنَّ إنك أخذت مني سواراً من ذهب لسكينة، على أن تجيئها فتغنيها سراً، وإنك كابرتني عليه وجحدتني وفعلت بي هذا الفعل، فوقع ابن سريج فيما لا حيلة فيه، فقال: امض لا بارك الله فيك، فمضى معه، فلما صار إلى باب سكينة، قرع الباب، فقيل: من هذا؟ فقال أشعبُ: جاء ابن سريج، فَفُتِحَ الباب ودخلا إلى حجرة من دار سكينة، فجلسا ساعة، ثم أُذِنَ لهما فدخلا إلى سكينة، فقالت: يا عبيد، ما هذا الجفاء، فقال: قد علمت بأبي انت وأمي ما كان مني، قال: أجَلْ، فتحدث ساعةً وقصّ عليها ما صنع أشعب، فضحكت وقالت: لقد أذهب ما كان مني عليه، وأمرت لأشعب بعشرة دنانير وكسوة، ثم قال لها ابن سريج: أتَأْذِنِيْنَ بأبي أنت وأمي؟ قالت: وأين تريد؟ قال: المنزل، قالت: بَرِئْتُ من جَدِّي إن برحت من داري ثلاثة أيام، وبرئتُ من جَدِّي أن لم تُغَنِّ إن خرجت من داري شهراً، وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهراً إن لم أضربك كل يوم عشراً، وبرئتُ من جَدِّي أن حنثت في يميني إن شفعت فيك أحداً، قال عبيد: واسُخْنَةَ عيناه! واذهاب توبتاه وافضيحَتَاه! ثم اندفع يُغَنِّي[1]: [الخفيف]

أستعينُ الذي بِكَفَّيْهِ نَفْعِي ورجائي على التي قَتَلَتْني

قالت سكينة: هل عندك من صبرٍ؟ ثم أخرَجَتْ دُمْلَجاً من ذهب كان في عضدها وزنته أربعون مثقالاً، فرمت به إليه، فقالت: أقسمت عليك لما أدخلته في يدك، ففعل، ثم قالت لأشعب: [٧١] اذهب إلى عزَّة المُيلاءِ فأقْرِئَها مني السلام، وأعلمها أن عبيداً عندنا، فلتأتنا متفضلة بالزيارة، فأتاها أشعب فأسرعت المجيء، فتحدثوا باقي ليلتهم، ثم أمَرَتْ عبيداً وأشعب فناما في حجرة مع مواليها، فلما أصبحت هُيِّئَ لهم غداؤهم، وأُذِنَ لابن سريج فدخل فقعد بالقرب منها مع أشعب في مواليها، وقعدت هي مع عَزَّة وخواصّ جواريها، فلما فرغوا من

(١) الشعر لعمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٥٠٣.

الغداء قالت: يا عزَّةُ، إن رأيت أن تُغنِّينَا، قالت: أي وعيشك، فَغَنَّتْ لحنها في شعر عنترة العبسي[1]: [الكامل]

حُيِّيْتَ مِن طَلَلٍ تقادم عَهْدُهُ أقوى وأقفرَ بعدَ أُمِّ الهيثمِ
إن كُنْتَ أزْمَعْتِ الفِرَاقَ فَإنما زُمَّتْ رِكَابُكُمْ بِلَيْلٍ مُظْلِمِ

فقال ابن سريج: أحْسَنْتِ والله يا عزَّةُ، وأخْرَجَتْ سكينَة الدُّمْلَجُ الآخرُ من يدها فرمت به إلى عَزَّة وقالت: صيِّري هذا في يدك، ففعلت ثم قالت لعبيد: هات فغناها فقالت: حسبك ما سمعت البارحة، فقالت: لا بد أن تُغَنينا في كل يوم لحناً، فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع، غنَّى[2]: [البسيط]

قالتْ مَنَ أنْتَ على ذِكْرٍ فَقُلْتُ لَهَا أنا الذي سَاقَهُ للحَيْنِ مقْدَار
قَدْ حَانَ منكِ فلا تَبْعُدُ بكِ الدّارُ بَيْنٌ وفي البَيْنِ للمَتْبُولِ إضْرار

ثم قالت لعَزة في اليوم الثاني: غَنّي، فَغَنَّت لحنها في شعر الحارث بن خالد المخزومي[3]: [الطويل]

وَقَرَّتْ بها عيني وقد كنتُ قَبْلَهاِ كثيراً بكائي مُشْفِقاً من صُدُودهَا
وبِشْرَةُ خَوْدٍ مثلُ تِمثالِ بَيْعَةٍ تَظَلُّ النَّصارى حَوْلَهُ يومَ عِيدِهَا

فقال ابن سريج: والله ما سمعت مثل هذا حسناً قط وطيباً، ثم قالت لابن سريج: هات، فغنَّى بشعر عمر بن أبي ربيعة[4]: [مجزوء الوافر]

أرِقْتُ فَلَمْ أَنِمْ طَرِبَا وَبِتُّ مُسَهَّداً نَصِبَا
لِطَيْفِ أحَبِّ خَلْقِ الله إنَسَاناً وإنْ غَضِبَا
فلم أرْدُدْ مقَالتها ولم أكُ عَاتِباً عَتِبَا

فقالت سكينة: قد علمت ما أردت بهذا، قالت: وقد شفعناك، وإنما كانت يميني على

(١) عنترة، الديوان: ١١٨.
(٢) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٤٩٥.
(٣) الحارث المخزومي، شعر: ٧٥.
(٤) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٤٨٥.

ثلاثة [٧٢] أيام، فاذهب في حفظ الله وكلاءته، ثم قالت لِعَزَّةَ: إذا شِئْتِ، وأمَرَتْ لها بِحُلَّةٍ حَسَنةٍ، ولابن سريج بمثلها، وانصرفت عَزَّةُ، وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته، وانصرف ذاهباً إلى مكة[1]

قال أبو يوسف بن إبراهيم[2]: حَضَرْتُ أبا إسحاقَ إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي، فقال إسحاق: غَنَّى ابن سريج ثمانية وستين صوتاً، فقال له ابن المهدي: ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتاً، ثم جعلا يتناشدان الصحيح حتى بلغا ثلاثةً وستين صوتاً، وهما متفقان في ذلك، ثم أنشد إسحاق بعد ذلك خمسة أصوات، فقال لـه ابن المهدي: صدقت، هذا من غنائه، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني، ولحنه الثاني من لحنه الفلاني، حتى عَدَّ له خمسة أصوات، فقال له إسحاق: صدقت، ثم قال له إبراهيم: ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً، وكان يعاشر الناس بما يشتهون، فلا يغنيهم صوتاً يمدح به أعداءهم، ولا صوتاً عليهم فيه عار أو غضاضة، ولكنه يغنيك بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها، والصوتان واحد لا ينبغي أن يُعتدَّ بهما في صوتين عند التحصيل، ثم اتفقا على أن قدما من غنائه ثمانية أصوات. فالأول: [الرمل]

فـإذا مـا عَـثَـرَتْ فـي مِـرْطِـهَـا ... نَـهَـضَـتْ بـاسـمـي وقـالـتْ يـا عـمـرُ

والثاني: [مجزوء الخفيف]

حَـيِّـيَـا أُمَّ مـعـمـراً ... قَـبْـلَ شَـحْـطِ مـنَ الـنَّـوى

والثالث: [الكامل]

فَـتَـرَكْـتُـهُ جَـزَرَ الـسِّـبـاعِ يُـنْـشْـنَـهُ ... مَـا بَـيْـنَ قُـلَّـةِ رأسـهِ والـمِـعْـصَـمِ

والرابع: [الطويل]

فـلـم أرَ كـالـتَّـجْـمِـيْـر مـنـظرَ نـاظرٍ ... وأن كَـلَـيـالِـي الـحـجُّ أفْـتـنَّ ذا هـوى

والخامس: [السريع]

عُـوجـي عـلـيـنـا رَبَّـةَ الـهـودجِ ... إنـك إن لـم تَـفْـعَـلِـي تَـحْـرَجِـي

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٢/١٧ ـ ٣٥.

(٢) في الأغاني: يوسف بن إبراهيم.

والسادس: [٧٣] [مجزوء الوافر]

ألا هَـــلْ هَـــاجَـــكَ الأَظْـــعَـــانُ إذ جَـــاوَزْنَ مُـــطَّـــلَـــحَـــا

والسابع: [الرمل]

تُـنْـكِـرُ الإثْـمِـدَ لا تَـسْـمَـعُـهُ غـيـرَ أن تَـسْـمَـعَ مِـنْـهُ بِـخَـبَـرْ

والثامن: [الطويل]

ومن حُبِّ ذاتِ الخالِ أعْمَلْتُ ناقتي أُكَلِّفُها سَيْرَ الكَلالِ مع الظُّلعِ[1]

٢٣ ـ أبو كَامِل[2]

مَنْ أَجَلِّ مَنْ ذكَرَهُ أبو الفرج، وَحَدَّثَ عن بحره ولا حرج، طلع بدره في الدولة الأموية مشرقاً، ولمع بارق سُحبه الرَّيةِ مبرقاً، وخرج بالحِبَاء، وأدلجَ والَحظّ يسوق إيله بغير الحُداءِ، وذخر من فواضل تلك الأيام ما كان يجد فيه ريحها، ويجيد به مديحها، ويأسف إذْ لا يجد من مُمِيْحٍ، ولا يلقى من نازح ولا سنيح، ولا يرى من يشتري الحمد بالثمن البخس ولا الربيح.

قيل إنه غَنَّى الوليد ذات يوم[3]: [الخفيف]

جـنـبـانـي أذاة كُـلِّ لِـئـيـم إنَّـهُ مـا عَـلِـمْـتُ شَـرُّ نـديـم

فطرب الوليد حتى خلع عليه ثيابه كُلّها حتى قَلَنْسِيةٌ وشي كانت عليه، وكان أبو كامل[4] يصونها ولا يلبسها إلاَّ من عيد إلى عيد، ثم يمسحها بكمه ويرفعها ويبكي ويقول: إنما أَرَفَعها لأني أجدُ فيها ريح سيدي الوليد، وللوليد بن يزيد أشعار كثيرة، فمنها ما يُغَنّى به[5]: [مجزوء المتقارب]

سَـقَـيْـتَ أبـا كـامـل مـن الأَصْـفَـرِ الـبَـابِـلِـي

---

(١) الخبر والأشعار في الأصفهاني، الأغاني: ٢١٩/١ ـ ٢٢١.

(٢) أبو كامل الغُزَيِّل مولى الوليد أحد المغنيين المجيدين توفي في أواخر دولة بني أمية، انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٦٦/٧ ـ ٦٨.

(٣) الشعر للوليد بن يزيد، شعره: ١١٤.

(٤) الأصل: أبو سالم.

(٥) الوليد بن يزيد، شعره: ١٠٠.

وسَقَيْتُهَا مَعْبَداً | وكُلَّ فتى نابل[1]
لِيَ المَحْضُ من ودِّهم | ويَغْمُرُهُمْ نَائِلي
ومَا لامَنِي فِيْكُمُ | سوى حاسِدٍ جاهِلِ[2]

قال: وكان المعتضد إ ذا غُنِّيَ هذا الصوتَ يقول للجلساء: أما ترون شمائل الملوك في هذا الشعر ما أبينها، يعنى قوله:

لِيَ المَحْضُ من ودِّهم | ويَغْمُرُهُمْ نَائِلي[3]

٢٤ ـ إسماعِيلُ الهُرْبِذ[4]

مُلْتَقْطُ فوائد، ومُحَصِّل فرائد، تتعب ألف رائد، يبدر إلى محاسن المقال، وينظر [٧٤] إليه لا إلى من قال، يأخذ الغناء لا مِنَ الأمَةِ الوَكْعَاء، وينوي الغناء عن الأمَةِ الخلعاء، وكان من أفراد أهل الطرب، وَوُرّاد ما منع منه من موارد الطلب، وذكر ابن عساكر[5] من أخباره ما ليس هذا موضعه، ولا الذي يُحَبُّ مرقلُهُ ولا موضعه.

قيل إنه قدم مكة على الرشيد وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح وغيرهم، والرشيد يومئذ خاثر، به خمار شديد، فَغَنَّى ابن جامع ثم فليح وإبراهيم، فما حَرَّكه أحَدُ منهم ولا أطربه، فاندفع الهربذ يغني، فعجبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد، فَغَنَّى[6]:

[مجزوء الكامل]

يا راكبَ العيس التي | وخدَتْ إلى البيتْ الحرامِ
قُلْ للإمامِ أخي الإما | م ابن الإمام أبي الإمام
زينِ البرية إذ بدا | فِيْكُم كَمِصْبَاح الظَّلامِ
جَعَلَ الإلهُ الهِرْبِذ | يَّ فِداكَ مِنْ بين الأنامِ

---

(١) في شعره: فتى فاضل.
(٢) في شعره: لا مني فيهم. والخبر في الأصفهاني، الأغاني: ٦٦/٧ ـ ٦٧.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٦٧/٧.
(٤) إسماعيل بن الهربذ: مغن من أهل مكة، كان مولى لآل الزبير بن العوام أدرك آخر أيام بني أمية وغني للوليد بن يزيد وعمر إلى أخر أيام الرشيد، أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٧٦/٧ ـ ٧٩.
(٥) لا توجد له ترجمة في المطبوع من تاريخ دمشق لابن عساكر.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٧٦/٧.

قال: فكاد الرشيد يرقص، واستخفَّهُ الطرب حتى ضربَ بيده، ورجليه، وأمر لــه بعشرة آلاف درهم، فقال لــه: يا أمير المؤمنين، لهذا الصوت خبر، فإن أذِنَ لي أمير المؤمنين حدثته، قال: حَدِّثْ، قال: كنت مملوكاً لرجلٍ من آل الزبير، فدفع إليَّ درهمين أبتاع له بهما لحماً، فخرجت فلقيت جارية على رأسها جرة مملوءة من ماء العقيق، وهي تُغَنِّي بهذا اللحن في شعر غير هذا الشعر في وزنه ورويته، فسألتها أن تعلمنيه فقالت: لا وحق القبر إلَّا بدرهمين، فدفعت إليها الدرهمين فعلمتنيه، فَرَجِعْتُ إلى مولاي بغير لحم، فضربني ضرباً مبرحاً شغلت بنفسي معه، فأُنْسِيْتُ الصوت، ثم دفع إليَّ درهمين آخرين لأبتاع بهما لحماً، فلقيت الجارية، فسألتها أن تعيد الصوت، فقالت: لا والله، إلَّا بدرهمين، فدفعتها إليها، فأعادته مراراً حتى أخذته، فلما رجعت إلى مولاي أيضاً ولا لحم معي، قال: ما القصة في هذه الدرهمين؟ فصدقته عن القصة، وأعَدْتُ عليه الصوت، فَقَبَّلَ بين عيني وأعتقني، فرحلتُ إليكَ بهذا الصوت، وقد جعلت لك اللحن في هذا الشعر، فضحك، ثم قال: دع الأول وتناسه، وأقم على هذا [٧٥] الشعر بهذا اللحن، وأما مولاك فإني أدفع إليه بكل درهم ألف دينار، ثم أمر بذلك فَحُمِلَ إليه من وقته(١).

ومما غَنَّى به إسماعيلُ الهربذيُّ الوليدَ بن يزيد بن عبد الملك(٢): [الهزج]

سُلَيْمَى تلكَ في العِيْرِ	قِفِي أُخْبِرْكِ أو سِيْرِي
إذا ما أنت لم ترثي	لِصَبٍّ القلبِ مَغْمُورِ
فلمَّا أذَّنَ الصُّبْحُ	بأصواتِ العَصَافِيرِ(٣)
خَرَجْنَا نتبعُ الشَّمسَ	عُيوناً كالقواريرِ
وَفِيْنَا شادِنٌ أحوَ	رُ مِنْ حُورِ اليعافِيْرِ

٢٥ ـ أبو دُلف(٤)

القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير العجلي، أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده، ضرب الهام بسيوفه حتى زواها، والجيوش بصفوفه حتى سوَّاها، وعاطى الأعداء كؤُوسَ

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٧٦/٧ ـ ٧٧.

(٢) الشعر ليزيد بن ضبة، الأصفهاني، الأغاني: ٦٨/٧.

(٣) في الأغاني: فلما أن دنا الصبح.

(٤) أمير الكرج، وأبرز أمراء العرب في عصره، من القادة والفرسان والمغنيين في العصر العباسي توفي سنة ٢٢٦هـ. أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٤/٨ ـ ٤٠٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٣/٤.

الدماء، وعاقر الأمور البعيدة للإدناء، فاسْتَقَلَّ ملكاً مهابا، وفلكاً كم أطلع شهابا، وَسَحَّ سحابُهُ وهطل، وَصَحَّ أنَّ اسم مَنْ يقدمه بطل، فأصبحت به تضرب المثل، وتُركَبُ السُّبُل، فدعته ألسنة الآمال، وبايعته نفائس الآجال، وملئت ساحته بالركائب، وملأت سماحته بالرغائب، وكان يطعن الطعنة النجلاء، ويرشق السهم بنظر النظرة الكحلاء، ويقتاد الحصان يزل اللِّبْد عن صهواته، ويتشكى ساقط الرمح بُعْدَ مَهْواته، سكن الجبال، وسكب على الكفار الوبال، وسلت وكلمت عنه النبال، ورعت الخلفاء منه نصيحاً، ودعت منه فصيحاً، واستَنْبطت لأدوائها منه مسيحاً، وأعدت لأعدائها منه مشيحاً، وكان بسقام الخلافة طَّبناً خبيراً، وبالانتقام لها مبيداً مبيراً، وهو مع هذه الصرامة التي تتأكَّلُ منها النار، والشهامة التي يتفتح بها شجر الغناء بالجلنار، أرق من النسيم شمائل، وأرق من الغيد بوصفه البانة المتمايل، يوفي كل مقام حقه، وكل مقال صدقه، ويضحى به البؤس، ويضحك الزمان العبوس، حضر مع مواليه للمنادمة، وقد بذل [٧٦] لهم لبلوغ المنى دمه، وكان يُغَنِّى لـــه بالأصوات، ويُغنى في كل شعر له مُواتٍ، وكان قوي القريحة، فمما لا يدرك مهلة، ولا تظن البحار إلَّا نهله.

قال أبو الفرج[١]: وكان أحمد بن أبي داود، ينكر أمر الغناء إنكاراً شديداً، فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دلف يغني، فقال: ما أراه مع عقله يفعل ذلك، فستر المعتصم أحمد بن أبي داود عليه من موضعه، والكراهة ظاهرة في وجهه، فلما رآه قال احمد: سوءة لهذا من فِعْل، أبعد الستين وهذا المحل تضع نفسك بما أرى؟ فخجل أبو دلف وتَشَور وقال: أنهم أكرهوني على الغناء، [فقال][٢] أفأكرهوك على الإحسان فيه؟

قال أحمد بن عبيد الله: كُنَّا عند المبرِّدِ يوماً، وعنده فتى من ولد أبي البَخْتَري وهو ابن أبي وهب بن عمار القاضي، لـــه جمال ظاهر، وفتى من ولد أبي دلف العجلي شبيه في الجمال، فقال المبرِّدُ لابن أبي البَخْتَري: أعرف لجدك قصة من الكرم حسنة لم يسبق إليها، قال: وما هي؟ قال: دعي رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع، فَسُقِيَ نبيذاً غير الذي يشربونه، فقال فيهم[٣]: [المتقارب]

نِـبِّـيْـذانِ فـي مـجـلـسٍ واحـــدٍ لإيـثـارِ مُـثْـرِ عـلـى مُـقْـتِـــر

---

(١) الأغاني: ٣٩٦/٨، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٣٦/٩.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٩/٨.

فلو كان فِعْلُكَ ذا في الطَّعَامِ   لَزِمْتَ قياسك في المسكرِ[1]
ولو كُنْتَ تطلبُ شأوَ الكِرَامِ   فعلتَ كفِعْلِ أبي البَخْتِري
تَتَبَّعَ إخوانَهُ في البلادِ   فأغْنى المقِلَّ عن المُكْثِرِ

فبلغت الأبيات أبا البَخْتري، فبعث إليه ثلاثمائة دينار، قال ابن عمار: فقلت له: قد فعل جَدٌّ هذا الفتى في هذا المعنى أحسن من هذا، قال: وما فعل؟

قال: بلغه أن رجلا افتقر بعد ثروةٍ، فقالت له امرأته: افترض في الجند، فقال[2]: [البسيط]

إليكَ عنّي فَقَدْ كَلّفْتِنِي شَطَطاً   حملَ السّلاحِ وقول الدارعينَ قِفِ
تمشي المنايا إلى قومٍ فأكرهُهَا   فكيفَ أمْشي إليها عاريَ الكَتِفِ
حَسِبْتِ أَن نفادّ المالِ غَيَّرَنِي   وأنَّ روحِيَ في جَنْبِي أبي دُلَفِ

فبلغت الأبيات أبا دلف، فأحضره، وقال: كم أملت أن تعيش؟ [قال][3] عشرون سنة، قال: [٧٧] فأمر إعطائه ألفَ دينار، قال: فأريت وجه ابن أبي دلف يتهلل، وانكسر ابن أبي البختري انكساراً شديداً[4].

في شعر أبي دلف وله فيه صنعة قوله[5]: [الوافر]

بِنَفْسي يا جِنانُ وأنتِ مِنّي   مكانُ الرُوح في جَسَدِ الجبانِ
ولو أنّي أقولُ مكانَ نَفْسي   خَشِيْتُ عليك بادِرَةَ الزَّمَانِ
لإقدامي إذا ما الخيلُ حامَتْ   وَهَاب كُمَاتُهَا حَرَّ الطِّعَانِ

حَدَّثَ المبرِّدُ قال: دَخَلَ عليُّ بنُ جَبَلَةَ الشاعرُ على أبي دلف فأنشده قصيدته التي يقول فيها[6]: [المديد]

إنَّما الدُّنيا أبو دُلَفِ   بينَ بادِيْه ومُحْتَضَرهْ

(١) الأصل: العطام، والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٩/٨.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل. والإضافة من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٩/٨.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٤/٨.
(٦) العكوك، شعره: ٦٨.

فَــــإذا ولّــى أبـــــو دُلـــــفِ ... وَلَّــتِ الــدُّنْــيَــا عــلــــى أثَـــرهْ
يـــــا دواءَ الأرض إن فَــســدَتْ ... ومُــجِــيــرَ الــيُــسْــرِ مِــنْ عُــسُــرِهْ
لـســـتُ أدري مـا أقـــولُ لـــــهُ ... غـــيـــرَ أن الأرضَ فــــي خَــفَــرِهْ
كـــلُّ مَــنْ فــي الأرض مــنْ عَــرَبٍ ... بَــيْــنَ بــاديــهــم إلــى حَــضَــرِهْ
مُــسْــتـعِـيْـرٌ مِـنْـكَ مَـكْـــرُمَـةً ... يَـكْـتَـسِـبُـهَـا يَـوْمَ مُـفْـتَـخَــــره

فاستحسنها القوم وقالوا: أيها الأمير ما هذا من قبله، وما هي إلا من بحر كانت رقيق الطبع، فقال لــه أبو دلف: ألا تسمع ما يقولون؟ قال: بلى أصلح الله الأمير، قال: والذي يصدقك، قال: أنْ أُعطى صدوراً، فأردفها بأعجاز، فضحك أبو دلف وقال: أنصفت وبالغت، ثم تناول أبو دلف القلم والبياض وكتب[1]: [الرجز]

ربـعـت لـمـنـشـور عـلـى مـفـرقـه ... ذمٌّ لـهـا عـهـد الـصِّبَا حين انتَسَبْ
أهــدامُ شـيـبٍ جُـدُدٍ فـي رأسِـهِ ... مـكـروهَـةُ الـجِـدَّةِ انـضـاء الـعُـقُـبْ

ثم ناولــه ذلك وقال: إبْنِ لي عليه أبياتاً، وقد أجَّلتُكَ فيه حولاً، فقال: أيها الأمير، تأمر فيفرغ لي بيت حتى يكون أجلى للشك، فأمر أبو دلف أن يُخْلَى له بيت، ثم ركب أبو دلف إلى المأمون وخرج معه متصيداً، فرجع آخر النهار، فلما نزل، لم ينزع سواده قال: ليت شعري ما خبرُ عليٍّ بن جبلة الشاعر؟ قال: أيها الأمير، إنه زعم أنه فرغ من عمل القصيدة، فقال: [٧٨] ويحكم أخرجوه إليَّ، فأُخرِجَ. فقال أبو دلف: هِيْهِ يا عَلِيُّ ما عَمِلْتَ؟ قال: قد فَرَغْتُ، قال: هات ويحك، بَيِّضْ وجهي عند من زعــم أنك لست بشاعر، فأنشأ يقول[2] [الرجز]

أشْــرَقْــنَ فــي أســودَ أزْرَيْــنَ بِــــهِ ... كـان دُجَـاُه لِـهـوى الـبِـيْـضِ سَـبَـبْ
فَـاعْـتَـقْـنَ أيامَ الـغواني والـصِّـبــــا ... عـن مَـيِّـتٍ مَـطْـلَـبُـهُ حُـبُّ الأدبْ
لـم يُـرتَـدعْ مُـرْعَـوِيـاً حِـيـن ارْعَـوَى ... لـكــــِنْ يَدٌ لـم تَـتَّـسِـعْ لُـمطَّـلَــبْ
لـم أرَ كـالـشَّـيـبِ وقـاراً يُـجْـتَــوَى ... أو كـالـشـبـــاب الغض ظلا يستلب
كـان الـشـبـاب لـمـة أزهـى بـهــــا ... وصـاحـبـاً غَـمـراً عـزيـزاً لـمـصـطـحب
إذ أنــا أجـري دَدَنـاً فــي غَـيِّـــــهِ ... لا أُعْـتِـبُ الـدَّهـرَ إن الـدهـرُ عَـتَـب

(١) العكوك: شعره: ٣٢.
(٢) العكوك، شعره: ٣٢ ـ ٢٦.

أبْعِدُ شَأو اللَّهو عن أخذنَا ... وأقْصُدُ الجَوْدّ وراءَ المحتَجَب

وأذعُرُ الرَّبْربَ عن أبطالهِ ... بأعوجيٍّ دُلفيٍّ المنتسب

مَطَّرداً يرتجُ في أقطارهِ ... كالماء جالتْ فيه ريحٌ فاضطرب

تَحْسَبُهُ أقعدُ في استقبالِهِ ... حتى إذا استدبرتَهُ قُلْتُ أكَبْ

فهو على إرهافه وضَمْرِهِ ... يَقْصُر عَنْهُ المحزَمَانِ اللَّبَبْ

تقولُ فيه جَنَبٌ إذا اسْتوَى ... وهو كَمَتْنِ القِدْحِ ما فيه حبب

إذا تمنَّيْنا به صَدَّقَهُ ... وإنْ تَمَنَّى فَوْتَهُ العيرُ كَذَبْ

لم يَبْلُغِ الجَهْدَ به راكِبُهُ ... ويبلغُ الرمحَ بهِ حيثُ طَلَبْ

ثم اقتصى ذاك كأنْ لم يُغْنِهِ ... وكلٌّ بُقيَا فإلى يوم العَطَبْ

فَحمِّل الدَّهَر ابن عيسى قاسِماً ... يَنْهَضْ بِهِ أبلجَ فَرَّاجَ الكُرَبْ

كَرَوْنَقِ السَّيفِ انبلاجاً بالنَّدَى ... أو كَغِرارَيْه على أهلِ الرِّيَبْ

لا وَسِنَتْ عَيْنٌ رأت رُؤيَتهُ ... فأيقَظَتْهُ نوبةٌ مِنَ النُّوَبْ

لولا ندى القاسم كُنَّا هَمَلاً ... لم يُعْتَقَدْ مَجْدٌ ولم يُرْعَ حَسَبْ

ولم يَقُمْ بيوم بأس وَنَدَى ... ولا تلاقى حَسَبٌ إلى حَسَبْ[٧٩]

تكادُ تُبْدِي الأرضُ ما تَضْمِرُهُ ... إذا تَنَادى خيلُهُ هَلا وَهَبْ

وتستقلُّ أملاً وخِيفَةً ... إستهلَ وجهُهُ وإن قطب

وهو وإن كان ابن فرعي وائلٍ ... فبمَسَاعيه تَرَقَّى في الحَسَبْ

يا واحدَ الدُّنيَا ويا بابَ النَّدى ... ويا مُجِيبَ الرُّغبِ في يوم رَهَبْ

لولاك ما كان سدىً ولا ندىً ... ولا قُرَيْشُ عُرِفَتْ ولا عَرَبْ

خذها امتحاناً مِنْ مليءٍ بالثَّنَا ... لكِنَّهُ غيرُ مليءٍ بالنَّشَبْ

وقَرَّ بالأرضِ أو استَنْفر بِهَا ... أنتَ عليها الرأسُ والنَّاسُ ذَنَبْ

فتهلل وجه أبي دلفٍ سروراً، وقال له: أحسنت لله أنت، ومثلك فليمدح الملوك، ثم أمر له بمئة ألف درهم، وخلعةٍ سنية وفرس من مراكبه الخاصة، واعتذر إليه من التقصير(١).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٠/٢٢٢ ـ ٢٢٥.

وقدم أبو الشمقمق على أبي دلف، فلما دخل عليه سلم، فرد عليه السلام، ثم قال: ليس يمنعني منك أبا الشمقمق ملوك هذه الدنيا، قال: وما ألزمتهم؟ قال: تزعم أن كَفَّكَ عن الهجاء يقوم مقام المدح، وليس والله تأخذ مني صلة أو تمدحني، قال: قد مدحتك إيها الأمير، قال: هات، فأنشأ يقول[1]: [السريع]

مِـنْ مَـلَـكِ الـمـوتِ إلـى قـاسـمٍ   رِسَـالـةٌ فـي بَـطْـنِ قُـرطَـاسِ

فقال أبو دلف: ويلك، ما في بطن القرطاس؟ قال:

يـا فـارسَ الـهـيـجـاء يـومَ الـوغـى   مـرنِـي بِـمَـنْ شِـئْـتَ مِـنَ الـنَّـاسِ

فقال أبو دلف: أحْسَنْتَ والله، فأسألك الآن بالله، هل هجوتني؟ فقال: أيها الأمير، سألتني بعظيم، نعم قد هجوتك، قال: فأنشدني، قال: على أن تؤمني، قال: أنت في أمان [الله][2] تعالى، فأنشده يقول: [مجزوء الرمل]

قَـدْ بـلـونَـاكَ بـالـحـروبِ   فـلـم تَـأْتْ طـائِـلا

وسَـألـنَـاكَ نَـائـلا   فـوجـدنـاكَ سَـائِـلا

فقال أبو دلف: هجوتني قبل أن أستوجب الهجاء، فقال: أصْلحَ الله الأمير، صيرته عدة، وهو ثوب نسجته ووضعته في تخت، فإن احتجت إليه نشرته وإلا كان مَطْوِّياً [٨٠] فضحك أبو دلف وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: دعه يكون مطوياً.

وقال القاسم بن عيسى المعروف بأبي دلف: [الطويل]

وقـالـوا بـلاد الـشـام أرض تـقـدست   فـمـا بـالـنـا فـي أرضـنـا لا نـقـدس

فـلا شـوقـنـا فـانٍ ولا الـهـم مـنـقـضٍ   ولا هـدأة تـغـشـى الـعـيـون فـتـنـعـس

وقال أيضاً: [الخفيف]

عـاقـنـي عـن وداعـك الأشـغـال   وأمـور جـرت عـلـيّ ثـقـال

فـي بـلاد يـذل فـيـهـا عـزيـز الـنـفـس حـتـى تـهـيـنـه الأنـذال

حيـث لا مـدفـع بـسـيـف مـن الـضـيـم   ولا لـلـجـيـاد فـيـهـا مـجـال

---

(١) الشعر للعكوك، شعره: ٣٧.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

ومما ذكره أبو الفرج[1]: أن الأفشين كان عرض لأبي دلفٍ واعتل له باطنه، ذوي بدائه، ومُلئ بالعمل على إردائه، ولم يزل يغري به المعتصم ويرمي جانبه السليم منه بما يصم، حتى أَسَرَّ إليه قتل أبي دلفٍ، وأمر فيه بأمر يفضي به إلى التلف، فأخذه إليه وعَفَى على آثاره، وعمّى بُصَراء أخباره، فأتي الخبر ابن أبي داود، وقد خيم الليل وطنب، وأسكت من أنب، ولم يبق باب إلا وقد أوثق بالرتاج، ولا أحد إلا وجفنه قد طعم النوم أو احتاج، فخاف إن أخَّر إلى بكرة غده أن تفوت فيه الحيلة، وأن يودعه سر تلك الليلة الثقيلة، فدعا بجماعة من عدول الشهود، ونهض بهم إلى باب الأفشين حتى طرقه واستفتح غلقه، ثم دخل عليه هجماً، وأنْقضَّ شيطانه المريد في تلك الليلة رجماً، وقال له: هؤلاء شهود أمير المؤمنين، وأنا قاضيه ورسوله إليك في أمر هو من وراء تقاضيه، وهو يأمرك بالإمهال في أمر أبي دلف، وأنك لا تعجل عليه، ولا تمد يدك ببطشٍ إليه، وها هو لديك حي يرزق وسالم الأعضاء، قادر على المضاء، وها أنا قد أبلغتك رسالة أمير المؤمنين، وهؤلاء يشهدون وفي بكرة غد لشهادتهم عند أمير المؤمنين يؤدون، وكان قد أحضر أبا دلف ليقتله في تلك الساعة والسيف مصلت قد أظمأه له وأجاعه ثم كَرَّ ابن أبي داود راجعاً، وترك الأفشين فاجعاً، وكان ابن أبي داود قد فعل هذه الأعجوبة، وأتى لإبقاء نفس تلك المسلم [٨١] بهذه الأكذوبة، والمعتصم لم يخاطبه فيه ببنت شفة، ولا أراه من جَنَى نخلته له تمرة ولا حشفة، فلم يكن له هَمٌّ إلا أن أنتظر آخر الليل، حتى طار غرابه، وجرد عن سيف النهار قرابه، وشرع الفجر ينفجر، والأفق بملاءة الصباح يعتجر، وبكر إلى دار الخلافة، والمعتصم قد انفتل عن المحراب، ولمح ابن أبي داود فما استراب، فتقدم إليه، وقصَّ عليه القصة، والمعتصم يسمع، وحدثه بما كادت لـــه مقلته تدمع، وقال: يا أمير المؤمنين، إني لم أجئك بتهمة في عمري سواها، ولا أتيت بمثلها ونفس وما سواها، ولو لم تكون إنقاذَ وليٍّ من أوليائك وينجي بقاءه من حلوق أعدائك، لما فعلتها، ولا اجترأتُ على أمير المؤمنين وقلتها، فضحك أمير المؤمنين ضحك معجب بجميل صنعه، فعجل إلى عدم منعه، وقال له: قد أجزت ما قلت أيها القاضي وما فعلت، ثم بَثَّ رُسُلَهُ إلى الأفشين يأمره باحضار أبي دلف، فما نشب أن أحضره، وسنَّى إطلاقَهُ، ثم لم يبرح ابن أبي داود حتى أعاده إلى منزله، وعاد الأفشين وأماته بعلته[2].

---

(١) الأغاني: ٢٤٨/٨ ـ ٢٤٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٤٨/٨ ـ ٢٤٩، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ٢٣٧/٩ ـ ٢٣٨.

قال ابن خلكان(1): كان أبو دلف كريماً سرياً جواداً ممدحاً شجاعاً مقدماً، ذا وقائع مشهورة، وصنائع مأثورة، أخذ عنه الأدباء الفضلاء، وله صنعة في الغناء، وصنَّف عدة كتب في البزاة والصيد والسلاح والنزه وسياسة الملوك وغير ذلك، ومدحه أبو تمام الطائي بأحسن المدائح، وفيه يقول بكر بن النطاح(2): [الكامل]

يا طالباً للكيمياء وعلمه ... مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يَكُن في الأرض إلّا درهم ... ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

ويحكى أنه أعطاه على هذين البيتين سبعين ألف درهم، فأغفله قليلاً، ثم دخل عليه وقد [ابتاع](3) بتلك الدراهم قرية في نهر الأبلَّة، فأنشده(4): [الطويل]

بِكَ ابْتَّعْتُ في نهرِ الأبُلة قرية ... عليها قُصَيْرُ بالرُّخامِ مَشِيْدُ
إلى جَنْبِها أُختٌ لها يعرضونَها ... وعندك مالٌ للهباتِ عَتِيدُ

فقال له: وكم ثمن هذه الأخت؟ فقال: عشرة آلاف درهم، فدفعها له، ثم قال: [82] تعلم أن نهر الأبُلَّة عظيم وفيه قرى كثيرة، وكل أخت إلى جانبها أخرى، وإن فتحت هذا الباب اتسع الخرق، فاقنع بهذه ونصطلح عليها، فدعا له وانصرف.

وقد ألمَّ أبو بكر محمد بن هاشم أحد الخالديين بمعنى قول بكر بن النطاح المذكور في البيتين الأولين، فقال(5): [الكامل]

وتَيَقَّنَ الشعراءُ أنَّ رجاءَهم ... في مأمنٍ بك من وقوعِ الياسِ
ما صَحَّ علمُ الكيمياء لغيرهم ... فيمن عرفنا من جميعِ النّاسِ
تُعْطِيهمُ الأموال في بدرٍ إذا ... حملوا الكلامَ إليكَ في قِرْطاسِ

وكان أبو دلف قد لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله، فطعن فارساً فأُنفذت الطعنة إلى

---

(1) وفيات الأعيان: 4/74.
(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان: 4/74.
(3) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.
(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان: 4/74.
(5) الخالديان، الديوان: 64.

فارس آخر وراءه رديفه، فنفذ فيه السنان، فقتلهما، فقال في ذلك ابن النطاح[(1)]: [الكامل]

قالوا وينظُم فارسَيْنِ بطَعْنَةٍ ... يوم الهِياج ولا نراهُ كليلا
لا تعجبوا فلو أنَّ طولَ قناتِهِ ... ميلٌ إذاً نظم الفوارسَ ميلا

وكان أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن صالح مولى بني هاشم، أسود مشوه الخلق قصيراً، فقالت له امرأته: يا هذا، إن الأدب أراهُ قد سقط نجمه، وطاش سهمه، فأعمد إلى سيفك ورمحك وقوسك، وادخل مع الناس في غزواتهم، عسى الله أن ينفعك من الغنيمة بشيء، فأنشد يقول[(2)] [البسيط]

مالي ومالَكِ كَلفتني شَطَطاً ... حمْلَ السلاحِ وقول الدارعينِ قفِ
أمِنْ رجالِ المنايا خِلْتِني رَجُلاً ... أمسى وأصبحَ مشتاقاً إلى التَّلفِ
تمشي المنايا إلى غيري فأكرَهُها ... فكيف أمشي إليها بارزَ الكَتفِ
ظَنَنْتِ أنَّ نِزالَ القِرْنِ من خُلُقي ... أو أنَّ قلبي من جَنْبَي أبي دُلفَ

فبلغ خبره أبا دلف فوجّه إليه ألف دينار[(3)].

وكان أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبته الديون، واشتهر ذلك عنه، فدخل عليه بعضهم، وأنشده[(4)]:

أيا رَبَّ المنائحِ والعطايا ... ويا طَلْقَ المحُيَّا واليدَينِ
[٨٣] لقد خُبِّرْتُ أنَّ عليك دَيْناً ... فِزدْ في رَقْمِ دَيْنِكَ واقْضِ ديني

فوصله وقضى دينه.

ودخل عليه بعض الشعراء وأنشده[(5)]: [البسيط]

اللَّهُ أجْرَى من الأرزاقِ أكثرها ... على يديكَ تَعَلَّمْ يا أبا دُلفِ

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٥/٤.
(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٥/٤.
(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٥/٤.
(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٥/٤
(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٦/٤.

ما خَطَّ لا كاتباهُ في صحيفتِهِ كما تخطَطُ لا في سائرِ الصُّحُفِ
بارى الرياحَ فأعطى وهي جاريةٌ حتَّى إذا وقّفَتْ أعطى ولم يقِفِ

وكان أبوه قد شرع في عمارة مدينة الكَرَجِ وأتممها هو، وكان بها أهله وعشيرته وأولاده، وكان قد مدحه بها بعض الشعراء فلم يحصل له منه ما في نفسه، فانفصل عنه وهو يقول[1]: [الطويل]

دعيني أجوب الأرض في فلواتها فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسم

وهذا مثل قول بعضهم[2]: [البسيط]

فإنْ رَجَعْتُم إلى الإحسانِ فهوَ لكم عبدٌ كما كان مطواعٌ ومِذْعانُ
وإن أبيتُمْ فأرضُ اللهِ واسعةٌ لا النَّاسُ انتمْ ولا الدنيا خُرَاسانُ

ولما قدم أبو دلف من الكرج صنع الأمير علي بن عيسى بن ماهان مائدةً، ودعاه إليها وكان قد احتفل بها غاية الاحتفال، فجاء بعض الشعراء ليدخل الدار على ابن عيسى، فمنعه البواب، فَتَعَرَّضَ الشاعر لأبي دلف، وقد قصد دار علي بن عيسى، وبيده جُزازة، فناوله إياها، فإذا فيها: [مجزوء الخفيف]

قُلْ لَهُ إنّ لَقِيتَهُ مُتَأنِ بلا وَهَجْ
جِئْتَ في ألفِ فارسٍ لغداءٍ من الكَرَجْ
ما على النَّاسِ بعدها في الدناءاتِ من حَرَجْ

فرجع أبو دلف، وحلف أنه لا يدخل الدار ولا يأكل منها شيئاً، وقيل إن الشاعر هو عباد بن الحريش[3].

وقيل إن أبا دلف لما مرض مرض موته، حجب الناس عن الدخول إليه لثقل مرضه، فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام، فقال لحاجبه: [٨٤] مَنْ بالباب مِنَ المحاويج؟ فقال: عشرة من الأشراف قد وصلوا من خراسان، ولهم بالباب عدة أيام لم يجدوا طريقاً، فقعد على فراشه

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٦/٤ وهو لمنصور بن باذان.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٦/٤.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٧/٤.

واستدعاهم، فلما دخلوا رَحّبَ بهم وسألهم عن أحوالهم وبلادهم وسبب قدومهم، فقالوا: ضاقت بنا الأحوال وسمعنا بكرمك فقصدناك، فأمر خازنه بإحضار بعض الصناديق وأخْرَجَ منه عشرين كيساً في كل كيس ألف دينار، ودفع إلى كل واحد منهم كيسين، ثم أعطى كل واحد منهم مؤونة طريقه، وقال لهم: لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى بلادكم، واصرفوا هذا في مصالح الطريق، ثم قال: ليكتب لي كل واحد منهم خطه أنَّهُ فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها، ثم يكتب: يا رسول الله، إني وجدت إضاقةً وسوء حال في بلدي، فقصدت أبا دلف العجلي، فأعطاني ألفي دينار، كرامةً لك، وطلباً لمرضاتك، ورجاء لشفاعتك، فكتب كل واحد منهم ذلك، وتَسَلَّمَ الأوراقَ، وأوصى من يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفنه، حتى يلقى بها رسول الله ﷺ، ويعرضها عليه(١).

وحَكِيَ عنه أنه قال: من لم يكن مغالياً في التشيع فهو ولد زناء، فقال ولده دلف له: يا أبتي لست على مذهبك، فقال له أبوه: لما وطَئْتُ أمُكَّ وعلِقَتْ بِكَ ما كنت بعد استبرأتها، فهذا من ذلك، والله أعلم(٢).

ومع هذا فقد حكى جماعة من أرباب التاريخ، أن دُلَف بن أبي دلف قال: رأيت في المنام آتياً أتاني، فقال لي: أجِبِ الأميرَ، فقمت معه فأدخلني داراً وحشة وعرةً سوداء الحيطان مغلقة السقوف والأبواب، وأصعدني على درج منها، ثم أدخلني غرفة منها، في حيطانها أثر النيران، وإذا في أرضها أثر الرماد، وإذ بأبي وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه، فقال لي كالمستفهم: دلف؟ فقلت: دلــف، فأنشأ يقول(٣): [الخفيف]

أبلِغَنْ أهْلَنَا ولا تُخفِ عنهم ... ما لَقِينا في البَرْزَخِ الخنّاق

قَدْ سُئِلْنا عن كلٍّ ما [قد] فعلنا ... فارحموا وحشتي وما قد أُلاقي(٤)

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٨/٤.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٨/٤.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٨/٤.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من وفيات الأعيان.

ثم قال: أفهمت؟ قلت: نعم، فأنشد[1]: [٨٥] [الوافر]

فلـــو كُـنَّـا إذا مُـتْـنَـا تُـرِكْـنــا ... لـكـانَ الـمـوتُ راحـةَ كُـل حـيِّ

ولـكِـنَّـا إذا مُـتْـنَـا بُـعِـثْـنــا ... ونُـسْـأَلُ بـعْـدَهُ عـن كـلِّ شـيءٍ

ثم قال: أفهمت؟ قلت: نعم، وانتبهت[2].

توفي ببغداد سنة ست وعشرين ومئتين[3].

٢٦ ـ البُرْدَان[4]

وفقيه نَزَّل الغناء منزلة حسن الإنشاد، وبنى منزله على بيوته وشاد، حكم في القضاء، وختم فيه بالإمضاء، ولم ينكر أنه يعرف الغناء، ويقطف منه اجتناء، لم يَرَ بأساً بتصحيح الأصوات، وتنقيح أناشيد الأبيات، تكميلاً لما حصل ذكره من فنون، وحَصَّينَ صدره من مكنون، حتى تجلت به أولى الليالي الغوابر، وأقالت الأيام الغوابر، وكان كأنما الْتَطم به بحران، وانقاد الفضل كله بالجران، وأعاد دجى الليل وقد طلع بدره الطالع وهو بدران.

قال إسحاق: قَدَّمَ إليه رَجُلٌ خصماً لهَ يدَّعِي عليه حَقاً، فوجب الحكم عليه، فأمر به إلى الحبس، فقال: أنت بغير هذا أعلم منك بهذا، فقال: ردوه، فردوه، فقال: لعلك تعني الغناء، أي والله، أني لعارف به، ومهما جهلت فإني موجب الحق عليك عالم، اذهبوا به إلى الحبس ليخرج إلى غريمه من حقه[5].

قال سياط: رأيت البُرْدانَ بالمدينة يَتَولَّى سوقها، وقد أَسَنَّ، فقلتُ: يا عم، إني قد رويت لك صوتاً صنعته، فأردت أن تصححه لي، فقال لعله[6]: [الوافر]

كَـــمْ أتَـــى دون عَـــهــــدِ أُمِ جـــمـــيــــل

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٨/٤.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٨/٤.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٨/٤.

(٤) الأصل: البدران، والتصويب من الأغاني، أحد المغنيين من اهل المدينة وكان مقبول الشهادة وواليا للسوق بالمدينة. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤١٥/٨ ـ ٤١٦.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٥/٨.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٥/٨.

قلت: نعم، فقال: قم بنا، ومال إلى دار في السوق، ثم قال: غَنِّه، فقلت: بل تُتِمُّ يا عمُّ إحسانك وتغنيني أنت به، فإن سمعته كما أقول غَنَيته وإن فيه مَصطلح استعدته، فضحك، وقال: أنت لست تريد تصحيح غناء، إنما تريد أن تقول إنك سمعتني وأنا شيخ وقد انقطعت [٨٦] وأنت شاب، فقلت للجماعة: إن رأيتم أن تسألوه يُشفّعه فيما طلبت منه فسألوه فاندفع فَغَنَّاه وأعاده ثلاث مرات، فما رأيت أحسن من غنائه، على[1] كبر سنه ونقصان صوته، ثم قال: غَنِّهِ، فغنيته فطرب الشيخ حتى بكى وقال: أذهب يا بني، فأنت أحسن الناس غناء، وإن عشت ليكونن لك شأن[2].

٢٧ ـ سَائِب خَاثِر[3]

مطرب حَرّكَ بغنائه معاويةَ الحكيم، وحَرّض على الإنفاق عبد الله بن جعفر الكريم، وأحدث للعرب ما لم تكن تعهد ونفث فلم يكن يخلو من نفثاته بيت ولا معهد، اقترح في الغناء وفتح فيه للبناء، تَقَيَّل عن الفُرسِ غرائب الضروب، وغزائر الفكر التي تُرَنِّحُ كُلَّ طروب، وحظي لدى أشراف المدينة لغناء كان يَجُلّ حُباهم ويحل مثله رباهم، إلَّا أنه جرى جري الجواد، وتَركَ الكل للجواد، كان قدم إلى المدينة رجل فارسي يعرف ببسيط يغني بها، فأعجب عبد الله بن جعفر، فقال لـه سائب خاثر: أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربي، ثم غدا على عبد الله بن جعفر، وقد صنع: [الكامل]

لِمَنِ الدِّيَارُ رسومُهَا قَفْرُ

وهذا أوّلُ صوت غُنِّيَ به في الإسلام من الغناء المتْقن في الصنعة[4].

قال: ثم اشترى عبد الله بن جعفر بسيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربي، وأخذ عن سائب أيضاً ابن سريج وجميلة ومعبد وَعَزَّة الميلاء وغيرهم[5].

---

(١) الأصل حتى والمثبت من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٨/٤١٥ ـ ٤١٦.

(٣) سائب خاثر: هو سائب بن يسار الليثي بالولاء، أبو جعفر فارسي الأصل، كان أبوه مولى بني ليث وهو من كبار المغنين والملحنين في العصر الأموي، قتل في سنة ٦٣هـ. انظر الأصفهاني، الأغاني: ٨/٤٤٥ ـ ٤٤٨.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٨/٤٤٥.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٨/٤٤٥ وفيه اسمه نشيط.

قال: وفد عبد الله بن جعفر على معاوية، ومعه سائب خاثر، فوقع له في حوائجه[1]، ثم عرض عليه حاجةً لسائب خاثر، فقال معاوية: من هذا. فقال: رجل من أهل المدينة ليثي، ويروى الشعر، قال: أو كُلٌّ من روى الشعر ازداد فضله؟ قال: وإن حسنه، قال: أفأُدْخِلُهُ إليك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فلما دخل قام على الباب فرفع صوته، ثم غَنَّى[2]: [الكامل]

لمن الديارُ رسومُهَا قَفْرُ ... لَعِبَتْ بها الأرياح والقطرُ

فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال: أشهد لقد حَسَّنه، وقضى حوائجه[3].

قال: [٨٧] أشرف معاوية ليلاً على منزل يزيد ابنه، فسمع صوتاً أعجبه، واسْتَخَفَّه السماع، فاستمع قائماً حتى مَلَّ، ثم دعا بكرسي فجلس عليه، واستمع بقية ليلته، فلما أصبح غدا عليه يزيد، فقال له: يا بُنَي، من كان جليسك البارحة؟ قال: أي جليس يا أمير المؤمنين؟ وتجاهل عليه، فقال: عرفني، فإنه لم يَخْفَ عليَّ شيٌ من أمرك، قال: سائب خاثر، قال: فاخثر له يا بني من برك، فما بمجالسته بأساً[4].

قال ابن الكلبي: وفد معاوية المدينة في بعض ما كان يفد، فأمر حاجبه بالإذن للناس، فخرج الحاجب، ثم رجع فقال: ما بالباب من أحد، قال: وأين الناس؟ قال: عند عبد الله بن جعفر، فدعا معاوية ببغلته فركبها، ثم توجه إليهم، فلما جلس قام سائب خاثر، ومشى بين السماطين وتَغَنَّى[5]: [الطويل]

لنا الجَفَنَاتُ الغرُّ يلمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدة دما

فطرب معاوية وأصغى إليه حتى سكت، وهو مستسحن لذلك، ثم قام وانصرف[6].

قال: وقتل سائب خاثر يوم الحَرَّة، فلما عُرِضَتْ أسْمَاءُ من قُتِلَ على يزيد بن معاوية، مرّ

---

(١) الأصل، جوارية والتصويب من الأغاني.
(٢) الحارث المخزومي، شعره: ١٥٩.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٦/٨.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٧/٨.
(٥) حسان، الديوان: ٣٥/١.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٧/٨.

به اسمه، فقال: إنا لله، وبلغ القتل إلى سائب خاثر إلى طبقته، ما أظن أنه بقي بالمدينة من أحد، ثم قال: قبحكم الله يا أهل الشام، تجدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً فقتلوه[1].

وحدّث مَوَيلكُ عن أبيه قال: قال لي سائب خاثر يوم الحَرَّةِ:

هل أُسْمِعُكَ شيئاً صنعته؟ فَغَنَّاني[2]: [الطويل]

لمن طَلَلَ بين الكُرَاعِ إلى القَصْرِ   يُغَيِّرُ عنا لونهِ سَبَلِ القَطْرِ

قال: فسمعتُ عجباً معجباً من ذكر أهله وولده، فقلت: فما يمنعك من الرجوع إليهم، فقال: أما بعد شئ سمعته، ورأيته من يزيد بن معاوية فلا، ثم تقدم فقاتل حتى قتل[3].

وتمام الصوت[4]:

سِوىَ خامداتٍ مَا يُرِمْنَ وهَامِدٍ   واشعثَ تَرْميهِ الوليدةُ بالفِهْر

٢٨ ـ عَبْد الله بن جُدْعَان[5]

سيدُ تيَمْ في الجاهلية، ومشيد المفاخر الجليّة، شَرَّفَهُ رسولُ الله ﷺ بدخول داره، وطرفه مطارف فخاره، وكان قد أتى كسرى ملك آل ساسان، وسمع عنه غناء الحسان، وشدا جانباً مما سمع، واحتذى منه ما لو علم جمع، وإنما كان هو وسادات العرب يتغنى غناء الركبان، ويتأتى به لحلا الفضلاء ورؤوس الكثبان، وقد ذكره أبو الفرج في أنباء صوت ذُكر، وصوب من بارقه الجنوبي مبتكر.

قالت عائشة: قلت لرسول الله ﷺ: ابن جدعان في الجاهلية كان يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل تلك نافعة لـه؟ قال: لا، لأنه لم يقل اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين[6].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٧/٨ ـ ٤٤٨.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٨/٨.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٨/٨.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٨/٨.
(٥) عبد الله بن جدعان: التيمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، وكانت له جفنه يأكل منها الطعام القائم والراكب، كان من حكماء العرب في الجاهلية توفي في الجاهلية قبيل البعثة. الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٩/٨.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٩/٨.

قال: قدم أمية بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان، فقال عبد الله: أمرٌ ما أتى بك؟ فقال أمية: كلاب غرماء قد نبحتني ونهشتني، فقال لـه عبد الله: قدمت عليَّ وأناعليل من حقوق لزمتني، فأنظرني قليلاً يحم ما في يدي، وقد ضمنت قضاء دينك، ولا أسألك مبلغة، قال: فأقام أميّة أيّاماً ثم قال[1]: [الوافر]

أأذكُرُ حاجتي أم قد كفاني ... حياؤكَ إن شيمتك الحياءُ

وعلمُكَ بالأمورِ وأنتَ قَرْمٌ ... لكَ الحَسَبُ المهذَّبُ والسَّنَاءُ

كريمٌ لا يغيّرهُ صباحٌ ... عن الخُلُقِ السَّنِيِّ ولا مساءُ

تُباري الريح مكرمةً وجوداً ... إذا ما الكلبُ احْجَرَهُ الشتاءُ

إذا اثنى عليك المرءُ يوماً ... كَفَاهُ من تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

فلما أنشد أمية هذا الشعر كانت عنده قينتان، فقال لأمية: خذ إحداهما، فأخذ إحداهما وانصرف، فمر بمجلسٍ من مجالس قريش، فلاموه على أخذها، وقالوا: لقد لقيته عائلاً، ولو رددتها، فإن الشيخ محتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقرب لك عنده، فوقع الكلام في أمية موقعاً، وندم فرجع لردها إليه، فلما أتاه بها قال ابن جدعان: لعلك إنما رددتها لأن قريشاً لاموك على أخذها، ووصف لأمية ما قال القوم له، فقال لـه أمية: والله ما أخطأت يا أبا زهير، فقال عبد الله: فما الذي قلت في ذلك؟ فقال [٨٩] أمية[2]: [الطويل]

وليسَ بِشينٍ لامريءٍ بذلُ وجهِهِ ... اليكَ كما بعضُ السؤالِ يشينُ

فقال عبد الله لأمية: خذها، يعني الأخرى، فأخذهما جميعاً وانصرف[3].

قال الحسن المروزي[4]: سألت سفيان بن عيينة، فقلت: يا [أبا][5] محمد، ما تفسير قول رسول الله ﷺ: كان دعاء أكثر الأنبياء قبلي بعرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، وإنما هو ذكر وليس فيها من الرجاء شئ، فقال

(١) أمية بن أبي الصلت، الديوان: ١٥٢.

(٢) أمية بن أبي الصلت، الديوان: ٣٠٩.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤٩/٨ ـ ٤٥٠.

(٤) كذا في الأصل، وفي الأغاني الحسين بن الحسن المروزي.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

لي: أعرفت حديث مالك بن الحويرث، يقول الله جل ذكره: إذا شَغَلَ عبدي ثناؤه عليَّ عن مسألتي أعطيتُهُ أفضلَ ما أُعْطِي السائلين، قال: قلت: نعم، أنت حدثتنيه عن منصور عن مالك بن الحويرث، قال: فهذا تفسير ذلك، ثم قال: أعَلْمتَ ما قال أمية بن أبي الصَّلْتِ حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله؟ قلت: لا أدري، قال: قال فيه: [الوافر]

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤكَ إنَّ شيمتُكَ الحياءُ

إذا أثني عليكَ المرءُ يوماً كَفَاهُ من تعرُّضِه الثناءُ

ثم قال سفيان: فهذا مخلوق بسبب الجود، قيل له: يكفينا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي حاجتنا، فكيف بالحق عزوجل؟[1]

وكان ابن جدعان ممن حَرَّمَ على نفسه الخمر في الجاهلية، وذلك أن أمية شرب معه، فلما أصبح رأى بعين أمية أثراً، فقال: ما هذا، فعرفه أنه فعله به، فأعطاه عشرة آلاف درهم دية عينه، وقال: الخمر عليَّ حرام[2].

٢٩ ـ مُتَيَّم الهِشَامِيَّة[3]

وكانت مقيم سرورٍ، ومديم غرورٍ، لو مرت بأم خشْف سانح، سلبت منها ما في الجوانح، كانت لبني هاشم سُرَّةُ البطحاء، ومَسَرَّة أهل الرَّوْحاء، نشأت في تلك البيوت تمتع بحلولها، وتحدُّ لحاظها في غلولها، إذا غَنَّتِ تجدد صبوةَ الهرم، وتشب صفحة الماء فيضطرم لا تخلو أيادي سراةٍ لها من ذكرٍ لا ينصرف سُراه، ولايتفرقُ مجمعٌ إلا ولها فضل عليه بجمع وذامت.

قال أبو الفرج[4]: كَلَّمَ عليُّ بن هشام [٩٠] مُتَيَّماً بشئ فأجابتهُ جواباً لم يرضه فدفع في صدرها فغضبت ونهضت، وتثاقلت عن الخروج إليه، فكتب إليها[5]:

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٥١/٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤٥١/٨.

(٣) الأصل: مقيم الهاشمية والتصويب من الأغاني، وهي أحدى مولدات البصرة: انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٢١٢/٧ ـ ٢٢٣.

(٤) الأغاني: ٢١٦/٧.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢١٦/٧.

فليت يدي باتتْ غداةَ مدَدْتُها إليكِ فلم ترجعْ بكفٍّ وساعدِ
فإنْ يرجعِ الرحمنُ ما كان بيننا فلستُ إلى يوم التنادي بعائدِ

قال: فتمادى غضبُها وترضاها فلم ترضَ، فكتب إليها: الإدلال يدعو إلى الإملال، ورب هجر دعا إلى صبر، وإنما سمي القلب قلباً لتَقَلُّبِهِ، ولقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول[1]: [الخفيف]

ما أُراني إلا سأهجرُ من ليسَ يراني أقوى على الهِجْران
مَّلني واثقاً بحُسْنِ وفائي ما أضرَّ الوفاءَ بالإنسانِ

قال: مرت متيم في نسوة وهي متخفية بقصر علي بن هشام بعد أن قتل، فلما رأت بابه مغلقاً لا أنيس به، وقد علاه التراب، وقد طرحت في أفنيته المزابل، وقفت عليه وتمثلت[2]: [السريع]

يا منزلاً لم تبل أطلاله حاشا لأطلالكَ أن تَبْلَى
لمْ أبْك أطلالكَ لكنَّني بكَيْتُ عيشي فيكَ إذْ ولَّى
قد كان لي فيكَ هوىً مَرَّةً غَيَّبَهُ التُّرْبُ ما ملّا
فَصْرتُ أبكي بعدَهُ جاهِداً عند ادِّكاري حيثُما حلّا
والعَيْشُ أولَى ما بكاهُ الفَتى لُابدَّ للمحْزونِ أنْ يَسْلَى

قال: ثم بكت حتى سقطت من قامتها، وجعل النسوة يقلن لها: نفسك فإنك تُؤْخَذْينَ الآن، فبعد لأيٍ احتملت بين امرأتين، حتى جاوزت الموضع[3].

٣٠ ـ سَلّامة القَسَ[4]

وكانت شمس كواكب، وأُنْسَ لاعب، لو قابلت البدر لاستتر، أو هايَت النسيم لفتر، قد طالت مُنى، وطابت جَنَى، وعُرفت بالقس لأن بها لا يقاس، ولأن كل قلب بها ديرٌ أو كناس،

---

(١) العباس بن الأحنف، الديوان: ٢٦٢.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢١٩/٧.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢١٩/٧.
(٤) سلامة مولدة من مولدات المدينة، وهي مغنية مشهورة، اشتهرت بحب عبد الرحمن الجشمي القس لها، واشتراها يزيد فغلبت مع حبابة عليه. أنظر الأصفهاني، الأغاني: ٤٥٤/٨ ـ ٤٦٥.

أوقفت الغوادي، وبدت كالقمر البادي، إلى غناء يخلس[1] الجليس ويحتبس الطعـان [٩١] وقد شُدَّت العيسُ، يغنى عن مُنَّةِ الأوتار، ورَنَّة الإعلان عند بلوغ الأوطار.

قال أبو الفرج[2]: إنما سُمِّيَتْ سلامة القس، لأن رجلاً يعرف بعبد الرحمن بن عمار الجشمي من قُرَّاء أهل مكة، كان يلقب القس لعبادته، وأنه مَرَّ بمنزل أستاذ سلامة، فسمع غناءها فهواها وهَوِيتهُ، وشغف بها واشتهر، حتى غلب عليها لقبه، وفيها يقول[3]: [الوافر]

أهــابـك أن أقـولَ بـذلـت نـفـسـي ... ولـو أنّـي أُطـيـع الـقَـلْـبَ قـالا[4]

حَـيَـاءُ مـنـكِ سُـلّ جـسـمـي ... وشَـقَّ عـلـيَّ كـتـمـانـي وطـالا

قال إسحاق: كانت حبابة وسلامة من قيان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين ضاربتين ظريفتين، وكانت سلامة أحسنهما غناءً، وحبابة أحسنهما وجهاً، وكانت سلامة تقول الشعر، وكانت حبابة تتعاطاه فلا تحسنه[5].

قال أيوب بن عَبايَة: كانت سلامة أحسنهما غناءً، وهي المقدمة فلما صارتا إلى يزيد بن عبد الملك، ورأت حبابة إيثار يزيد لها، ومحبته إياها، استخفت بسلامة[6]، فقالت لها: يا أُخَيَّةُ، نسيت فضيلتي عليك، ويلك، أين تأديب الغناء؟ وأين خلق التعليم؟ أنَسِيْت قول جميلة وهي تطارحنا وتقول: خذي اتقان ما أطارحك من أختك سلامة ولا تزالي بخير ما بقيت لك، وكان أمركما مؤتلفاً، قالت: صدقت يا أخت والله لا عُدْتُ إلى شئ تكرهيه، فما عادت إلى مكروه، وماتت حبَّابة، وعاشت سلامة بعدها زماناً طويلاً[7].

قال: لما قدم عثمان بن حيان المري المدينة والياً عليها، قال لـه قوم من وجوه الناس: إنك وليت المدينة على كثرة من الفساد، فإن كنت تريد أن تصلح، فطهرها من الغناء والزنا،

(١) الأصل: تخليس.
(٢) الأغاني: ٨/٤٥٤.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٨/٤٥٤.
(٤) في الأصل: أهلا بك أن أقول، والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٨/٤٥٤.
(٦) الأصل: لسلامة.
(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٨/٤٥٨ ـ ٤٥٩.

فصاح في ذلك وأَجَّلَ أهله[١] ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة، وكان ابن أبي عتيق غائباً، فلما كان آخرَ ليلة من الأجل قدم، قال: لا أدخل على منزلي حتى أدخل على سلامة القس، فدخل عليها فقال: ما دخلت منزلي حتى جئتكم أسلم عليكم، قالوا: ما أغفلك عن أمرنا؟ وأخبروه الخبر، فقال: [٩٢] اصبروا الليلة، فقالوا: نخاف لا يمكنك شئ، قال: إن خفتم شيئاً فاخرجوا في السَّحر، ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان، فأذنَ له وذكر غيبته وأنه جاء لقضاء حقه، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزنا، وقال: لا تكون عملت عملاً هو خير لك من ذلك، قال عثمان: قد فعلت وأشار به عليَّ أصحابك، قال: قد أصبت، ولكن ما تقول ـ أكرمك الله ـ في امرأة كانت هذه صناعتها، وكانت تكره على ذلك، ثم تركته وأقبلت على الصوم والصلاة والخير، وإني رسولها إليك، تقول: أتوجه إليك وأدعو[٢] بك أن يخرجني من جوار رسول الله ﷺ ومسجده، قال: فإني أدعها لك ولكلامك، قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، ولكن تأتيك وتسمع كلامها وتنظر إليها، فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يترك تركتها، قال: نعم، فجاء بها وقال: احملي معك سُبْحَةً وتخشعي، ففعلت، فلما دخلت عليه حدثته، فإذا هي أعلم الناس بالأخبار والأحاديث، فأعجب بها، وحدثته عن آبائه وأمورهم ففكر[٣] لذلك، فقال لها ابن أبي عتيق: اقرئي على الأمير، فقرأت لـه، فقال: احدي للأمير، ففعلت، فكبر عجبه بها، فقال: كيف لو سمعتها في صناعتها، فلم يزل يزين لها شيئاً بعد شئ حتى أمرها بالغناء، فقال لها ابن أبي عتيق عند ذلك غني[٤]: [الطويل]

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لمّا دخَلْنهُ ... بكُلِّ لبَانٍ واضحٍ وجبينِ

فَغَنَتْهُ، فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها، ثم قال: لا والله ما مثل هذا من يَخرج، فقال لـه ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، يقولون: أقرَّ سلامة وأخرج غيرها، قال: فدعوهم جميعاً، فتركوا وأصبح الناس يتحدثون بذلك، يقولون: كَلَّم ابن أبي عتيق في سَلامة فتُرِكُوا جميعاً[٥].

---

(١) في الأغاني: أهلها.

(٢) في الأغاني: وأعوذ.

(٣) في الأغاني: ففكه.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٨/٤٥٩.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٨/٤٥٩.

قال ابن أبي أويس: كان يزيد بن عبد الملك [يقول](1): ما يَقرُّ بعيني ما أُتيتُ من أمر الخلافة، حتى اشتري(2) سلامة وحبابة فأرسل فأشتُريتا، فلما اجتمعتا عنده قال أنا والله كما قال الشاعر(3) [الطويل]

فَألقَتْ عَصَاها فاسْتَقَرَّ بها النَّوى ... كَمَا قَرَّ عيناً بالإيابِ الُمسَافِرُ

[٩٣] فلما توفي يزيد رثته سلامة وهي تنوح على قبره(4) [مجزوء الرمل]

لا تُلُمنا إنْ خَشِعْنا ... أو هَمَمْنا بخُشوعِ(5)

إذْ فقدنا سيِّدا كا ... ن لنا غيرَ مُضيعِ

قد لعَمْري بِتُّ ليلي ... كأخي الداءِ الوجيعِ

كُلَّما أبصرتُ رَبْعاً ... خالياً فاضتْ دموعي(6)

٣١ ـ عُبَيْدُ الله بن عَبْدِ الله بن طَاهِر(7)

تَوَشَّحَ بالأدب، وترشَّحَ للطلب، واقتنى الجواري وأخذهُنَّ بالإحسان، وألقى عليهن الأصوات، وأبقى لهن حياةً في الأموات، ولم يكن يذكر بالغناء إلَّا جواريه ولا يظهر، ولو فعل لم يكن أحد يباريه، وإنما كان كلفاً بالشعر والإحسان قريضه، ومحاسن تصريحه وتعريضه، وهو فرع من تلك الغضراء، وبقية من تلك الدولة الغراء.

قال أبو الفرج(8): قال جحظة: كان المعتضد بصوت الصنعة لشاجي(9)، فأرسل إلى

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(2) الأصل: اشتروا، والمثبت من الأغاني.
(3) الأصفهاني، الأغاني: ٤٦٢/٨.
(4) الأصفهاني، الأغاني: ٤٦٢/٨.
(5) الأصل: لا تملنا والمثبت من الأغاني:
(6) الأصل: كما أبصرت، والمثبت من الأغاني، والخبر في الأصفهاني، الأغاني: ٤٦٢/٨
(7) توفي سنة ٣٠٠هـ، وهو أحد أمراء الأسرة الطاهرية، أنظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٣٠/٩ ـ ٣٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٧٣/١.
(8) الأغاني: ٣٠/٩ ـ ٣١.
(9) العبارة مضطربة وفي الأغاني: كان المعتضد إذا استحسن شعراً بعث به إلى شاجي جارية عبيد الله بن طاهر.

عبيد الله يُقسِمُ بأن يأمرها بزيارته، ففعل، قال جحظة: فحدثني من حضر من المغنيات ذلك المجلس يخدمون المعتضد، قلن: دخلت علينا، وما مِنَّا إلَّا من يرفل في الحُلِيِّ والحُلَلِ، وهي في أثواب ليست كأثوابنا، فاحتقرناها، فلما غَنَّتْ احتقرنا أنفسنا، ولم يزل كذلك حالنا إلى أن صارت في أعيننا كالجبل، وصرنا كَلا شيءٍ، قال: ولما انصَرَفَتْ أمر لها المعتضد بمال وكسوة، ودخلت على مولاها، فجعل يسألها عن خبرها وما استظرفت مما رأت، وما استغربت مما سمعت، فقالت: ما استحسنت هناك ولا استغربته من غناء ولا غيره، إلَّا عوداً محفوراً من عود، فإني استظرفته، قال جحظة: فما قولك فيمن دخل إلى دار الخلافة فلم تمتد عينه إلى شئ استحسنه إلَّا عوداً.

قال بعضهم: كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وعنده أخوه محمد يأمره بإحضاري وتقليدي القضاء، وقد بلغت هذا السن وأتولى القضاء بعدها، وبعدما قد رويت: مَنْ وَلِيَ القضاء فقد ذُبِحَ بغير سكين [٩٤] فقال محمد: فتلحق أمير المؤمنين بِسُرَّ من رأى وتسأله إعفاءك، قال: أفعل، فأمر له بما ينفقه وبظهر يحمله ويحمل ثقله، ثم قال: إنْ رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا منك شيئاً قبل أن نفترق، قال: نعم، انصرفت من عمرةَ المحرَّم، فبينما أنا بالعرج إذ أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم، فإذا أنا برجل كان يتقنَّصُ الظِّباء، وقد وقع ظبي في حبائله، فذبحه فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فمات، وأقبلت فتاة كأنها المهاة، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت وقالت(١): [البسيط]

يا حصن جمَّعَ أحشائي وقَلْقَلَها	رَدَاكَ يا حصنُ لولا غِرَّةٌ جَلَلُ(٢)
أضحت فتاةُ بني نَهْدٍ علانيةٌ	وبَعْلُها فوقَ أيدي القوم مُحْتَمَلُ(٣)

قال: ثم شهقت فماتت، فما رأيت أعجب من الثلاثة؛ الظبي مذبوح، والرجل ميت جريح، والفتاة ميتة حرّى، قال: فأمر له عبيد الله بمالٍ آخر، ثم أقبل على أخيه محمد، فقال له: أما إن الذي أخذنا من الفائدة في خَبَر حُسْن، وفي وقولها:

أضحتْ فتاةُ بني نَهْدِ علانيةً

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٩/٣١.

(٢) في الأغاني: يا حسن... وأقلقها وذاك يا حسن لولا غيره.

(٣) في الأغاني: وبعلها بين.

تريد ظاهرة أكثر مما أعطيناه من الصلة[1].

ومن شعر عبيد الله بن طاهر[2]: [الطويل]

فـأنـفـق إذا أيـسَـرتَ غـيـرَ مُـقَـصِّـرٍ　　وأنـفـق إذا خـيِّـلْـتَ أنـك مُـعْـسِـرُ[3]

فلا الجودّ يفني المال والجَدُّ مُقْبِلُ　　ولا البُخْلُ يُبْقي المالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

٣٢ ـ مُحَمَّد بنُ الحارِث بن بُشْخُنَّر[4]

رئيس طرب يشجي صوته الورقاء إذا ناحت، وذات اللفاء إذا باحت، طالما صَبَّ الدموع دماً، وصَدَّ الشاكل أن يتذكَّرَ عدماً، لو باكى السيل لاستوقفه إذ جرى، أو شاكى المسهد لأشغله عن الكرى، راق الخلفاء كأس غنائه، واتخذوه لذماء الروح أجل غذائه، فكانوا لا يرون سروراً بغيره يتمُّ، ولا حبوراً بسواه يَلمُّ.

قال أبو الفرج[5]: كان قديماً يُغنَّي العزفة [٩٥] وكانت تحمل معه إلى دار الخلافة، فمر غلامه بها يوماً، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق: مع هذا الغلام مصيدة الفأر، فقال بعضهم: لا، هذا معزفة محمد بن الحارث، فحلف يومئذ بالطلاق والعتاق لا يغنَّي بمعْزفة أبداً، أنفةً أن تُشَبّه التي يغني بها بمصيدة الفأر، فصار يغّني مرتجلاً، وكان أحسن الناس أخذاً للغناء وأحسنهم أداءً.

قال أبو عبد الله الهاشمي، سمعت إسحاق المصعبي يقول للواثق: قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ما قدر أحد أن يأخذ شيئاً مستوياً إلَّا محمد بن الحارث، فقال له الواثق: حدثني إسحاق عن إسحاق الموصلي بكذا وكذا، قال: قد قال لي إسحاق مراراً، قال له الواثق: فأي شئ أخذت من صنعته أحسن عندك؟ فقال: هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما أخذته، وهو هذا[6]: [الطويل]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣١/٩ ـ ٣٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣١/٩.

(٣) في الأغاني: انفق....مقتر وأنفق على ما

(٤) انظر ترجمته: الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٨/١٢ ـ ٣٠٢، ٢٣/ ١٣١ ـ ١٣٣.

(٥) الأغاني: ٢٩٨/١٢.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٩/١٢ والشعر لإسحاق الموصلي.

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وأبيَضَّ رأسُهُ وثُلِّمَ تَثْليمَ الإناءِ جوانبُهْ
فليس له في العيش خيرٌ وإن بكى على العيشِ أو رَجَّى الذي هو كاذِبُهْ

فأمره الواثق أن يغنيه إياه، فأحسن واستعاده الواثق منه، فاستحسنه، وأمره برده مراراً حتى أخذه الواثق، وأخذه جواريه والمغنون[1].

وذكر يحيى المنجم أن إسحاق غَنَّى بحضرة الواثق[2]: [الطويل]

ذكرتُكِ إذْ مرت بنا أُمُّ شادنٍ أمامَ المطايا تشرئبُّ وتَسْنَحُ
من المؤلفات الرَّملَ أدماءُ حُرَّةٌ شُعَاعَ الضُحَى من مَتْنِها يَتَوضَّحُ

فأمره الواثق أن يعيده على الجواري، وأحلفه بحياته أن ينصح فيه، فقال: لا يستطعن الجواري أن يأخذنه مني، ولكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذه مني ويأخذنه الجواري منه، فأحضر وألقاه عليه، فأخذه منه، وألقاه على الجواري[3].

قال أحمد بن الحسن[4] بن هشام: جاءني محمد بن الحارث بن بسخنَّر يوماً، فقال لي: قم حتى أُطفِّل بك على صديق لي حُرٍّ، وله جارية أحسن خلق الله تعالى وجهاً وغناءً، فقلت: أنت طُفيليٌّ وتطفل بي؟ هذا والله [٩٦] أخس حال، وقمت معه فقصد بي دار رجلٍ من فتيان سُرٍّ من رأى كان لي صديقاً، ويكنى أبا صالحٍ، وقد غُيِّرت كنيته على سبيل اللقب، فَلُقِّبَ أبا الصالحات، وكان ظريفاً حسن المروءة ويضرب بالعود على مذهب الفرس ضرباً حسناً، ولم يكن منزله يخلو من طعام وشراب، لكثرة من يقصده من إخوانه، فلما طرق بابه، قلت: فرجت عني [هذا][5] صديقي، فدخلنا، وقدم إلينا طعاماً نظيفاً فأكلنا، وأحضر النبيذ وأحضر جاريته، فغنت غناءً حسناً، ثم غنت صوتاً كانت أخذته من محمد بن الحارث، من صنعته، والشعر لابن أبي عيينة[6]: [الكامل]

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٨/١٢ ـ ٢٩٩.
(٢) ذو الرمة، الديوان: ١١٩٧/١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني ٣٠٠/١٢.
(٤) في الأغاني: الحسين.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٣٠١/١٢.

ضَيَّعْتِ عَهْدَ فتى لعَهْدِكِ حافظٌ   في حفظِهِ عَجَبٌ وفي تضييعِكِ
إن تقتليه وتذهبي بفؤادِهِ   فبُحْسنِ وجْهِكَ لا بحسن صنيعك

فطرب محمد بن الحارث، ونقطها بدنانير مُسَيَّفة كانت في خريطته، ووجه بغلامة فجاءها ببرنية فيها غالية فغلفها منها، ووهبها الباقي، وكان معنا أخ لمحمد بن الحارث يكنَّى أبا هرون ظريف طيب، فطرب ونعر ونخر، وقال لأخيه: والله إني أريد أن أقول لك شيئاً في السر، وأسألك أن تخبرني هل فيه حرج، قال: قُلْهُ علانية، قال: لا يصلح، قال: والله ما بيني وبينك شئ أبالي[1] أن أقُوْلهُ جهراً، فقله، قال: أشتهى ان تسأل أبا الصالحات أن ينيكني، فعسى صوتي أن ينصلح ويطيب غنائي، فضحك أبو الصالحات، وخجلت الجارية وغطت وجهها[2].

فقال أبو العباس: حدثني محمد بن الحارث بن بُشخَنُّر عن أبيه قال: قال لي الرشيد: أنا علي أن أتغدَّى عندك في غد، قال: فضاق عليّ من الأرض العريض، فجئت إلى عبد الملك بن صالح وقلت له: قد وقعت في بلية، قال: وما هي؟ قلت: زعم الرشيد أنه يتغدَّى عندي غداً، فقال: أذهب ففرِّغ جهدك للقلايا والمعلكة ولا تحفل بسوى ذلك، قال: ففعلت، فلما جاءني قال: دعني من تخليطك وهلم إليَّ بقلايا ومعلكة، قال: فجئت بها، فقال: ضع يدك على رأسي، واحلف لتصدقني، قال: فوضعت يدي على رأسه وحلفت [٩٧]، قال: من أشار عليك بهذا؟ قلت: عبد الملك بن صالح، قال: أما والله لو كان طولب بالعشرة آلاف التي عليه، لما تفرغ لفضول الرأي.

قال محمد بن الحارث: كنت مع المأمون وهو يريد بلاد الروم، ومعه عدة من المغنيين، فجلس يوماً والمعتصم والعباس، فبعث إلى المأمون بأصل شاهسفوص وقد لُفَّ على رأسه حريرٌ، فجاءني الغلام، وقال: أعد الصوت، فأخذته وشممته، ووثبت فغنيته قائماً، ووضعت الأصل بين يدّي، وقلت للمغنين: حكم لي أمير المؤمنين عليكم بالحذق بالغناء، قالوا: وكيف؟ [قال][3]: قد دفع إليَّ لواء الغناء من بينكم، قالوا: ليس كما ذكرت، ولكن حَيَّك إذ أطربته، والرسول قائم، فانصرف بالخبر، فما لبث أن رجع فقال: كما قلت.

(١) الأصل: أني والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصفهاني:الأغاني: ١٢/٣٠٠ ـ ٣٠١.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة ليستقيم المعنى.

قال: صنع محمد بن الحارث لحناً في[1]: [مجزوء الكامل]

أصبحتُ عَبْداً مُسْتَرَقَّا أبْكي الأُلى سَكَنُوا دِمَشْقَا
أعطيتُهُمْ قلبي فَمَنْ يَبْقَى بلا قلبٍ فَأبْقَى

وطرحه على المسدودي[2] الطنبوري، فوقع له موقعاً حسناً، واستحسنه محمد بن الحارث منه، فقال له: أتحبُّ أن أهبه لك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، وكان يغنيه ويدعيه، إنما هو لمحمد بن الحارث[3].

قال: دعا إسحاق بن إبراهيم المصعبي المأمون، فصار إليه معه المعتصم وعبد الله بن طاهر وسائر جلسائه ومغنيه، فلما جلس المأمون على شرابه، كان ممن حضر المجلس من المغنين محمد بن الحارث، وقد شاع في المأمون الطرب، فغناه[4]: [المنسرح]

لو كَانَ حَولِي بَنو أُمَيَّة لم يَنْطِقْ رِجَالٌ أراهُمُ نَطَقُوا

قال: فغضب المأمون، ودارت عينه في رأسه، وكان لا يكاد يغضب، فإذا غضب بلغ غاية الغضب، ثم التفت إليه فقال: تُغنِّيني في وقت سروري، وساعة طربي في شعر تمدح فيه أعدائي، وأنت مولاي، وربيب نعمتي؟ أدعوا أحمد [٩٨] بن هشام، وكان على حرسه، وكان المأمون لا يمضي إلى موضعٍ، إلّا ومعه صاحب شرطته وحرسه، وكان أحمد قاعداً في حراقةٍ على باب إسحاق في دجلة، فجاء أحمد حتى مثل بين يديه، وكان عبد الله بن طاهر قد قام ليجدد وضوءاً، فقال: أحمد خذه إليك فاضرب عنقة وانتسفه من الأرض، ومَرَّ به مبادراً لينفذ أمره فيه، ولم يتهيأ لإسحاق كلام المأمون فيه، وعدل إلى عبد الله بن طاهر فأخبره الخبر وقال: إن تهيأ هذا في منزلي يوم فخري وسروري كانت سبَّة عليَّ وعلى أهلي، فهدأ أحمد، فاسأله أن يتوقف ويبادر إلى أمير المؤمنين يسأله العفو عنه، فقال عبد الله بن طاهر لأحمد في التوقف عنه، وجاء حتى قام بين يدي المأمون وهو على غضب، فأمره بالجلوس، فأبى، فقال: ولم؟ قال: يا أمير المؤمنين، نعمك عليَّ جليلة، ومننك لديَّ نفيسة، وفي نفسي وأهلي عظيمة، وهذا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٣٢/٢٣.
(٢) في الأغاني: المسدود.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٣٢/٢٣.
(٤) الشعر لابن قيس الرقيات، الديوان: ٧٢.

يوم شَرَّفْتَ فيه ابن عمي إسحاق بزيارته، ورفعت بذلك من قدره، وأعليتَ من ذكره، وقد كان من هذا الجاهل ما كان، فله في سعة خلق أمير المؤمنين، وكرم عفوه، أن يعود عليه بفضله، والطول بصفحه، ولا يخرجه إلى ما خرج من الأمر بقتله، فإن هذا شيئاً إن تهيأ في منزل خادمه كان سُبةٌ عليه وعلينا إلى آخر الدهر، هذا إلى حرمة محمد وخدمته، وإن الذي تَمّ عليه كان بسوء الاتفاق لا العمد، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعود بحلمه ويراجع ما عود الله خدمه من العفو والإقالة، قال: قد فعلت، وأمر برده إلى مجلسه، فجاء فوقف بين يديه فقال: إياك ومعاودة مثل ما كان منك، وأخذ في لهو ولعب وسرور.

٣٣ ـ عَبْدُ الله بن طَاهِر [١]

ملك علا علو النجوم،وجاد جواد الغيوم، وأجاد في كل ضرب من الإحسان، وكانت أيامه الورد في نيسان، مُحِلى النجاد بأدبٍ حل منه النجاد، ووقارٍ رأى الطود إليه الافتقار، وهو من أبناء الشيعة العباسية في رأس فرقها، ومجمع طرفها، صعدت فيها جدوده الذروة، وسعدت لتمسكها بالعروة، وكان عبد الله يتكلم الغناء وهو معبده وغريضه، ويده فيه لا تقصر به ولا تهوضه [٩٩] إنما كان يخاف به الأزراء، وتُعدُّ أصواته المنسوبة إليه الأرزاء.

قال أبو الفرج[٢]: ذكر المبرد أن المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مَالَ مصر لسنة، خراجها وضياعها، فوهبه كله وفرقه على الناس، ورجع صفراً من ذلك، فغاظ المأمون فعله، فدخل إليه يوماً بعد مقدمه فأنشده[٣] [البسيط]

نفسي فِداؤكَ والأعناقُ خاضعةٌ	للنائبات أبيًّا غيرَ مُهْتَضَم
إليكَ أقبلتُ من أرضٍ أقمتُ بها	حولين بعدَك في شوقٍ وفي ألم
أقفو مساعِيكَ اللاتي خُصصْتَ بها	حَذْو الشِّراكِ على مِثْلٍ من الأدم
فكان فَضْليَ فيها أنَّني تَبَعٌ	لما سَنَنْتَ من الأحسانِ و الكرمِ

فضحك المأمون وقال: أما والله ما نفست عليك مكرمة نلتها، ولا أحدوثة حسن عنك

---

(١) أحد أمراء الدولة الطاهرية، ولي مصر ثم خراسان، توفي سنة ٢٣٠هـ أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٦٠/١، الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٨/١٢.

(٢) الأغاني: ٣٣٨/١٢.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٨/١٢.

ذكرها، ولكن هذا شيء إذا عودته نفسك افتقرت ولم تقدر على لم شعثك ولا إصلاح حالك، وزال ما كان في نفسه.

وقال غيره: لما افتتح عبد الله بن طاهر مصر، سوغه المأمون خراجها، فصعد المنبر، فلم يزل حتى أجاز بها ثلاثة آلاف ألف دينار ونحوها، فأتاه مَعَلّى الطائي وقال: اعلموه ما صنع، وكان واجداً عليه، فوقف بين يديه تحت المنبر وقال: أصلح الله الأمير، أنا مُعَلّى الطائي، وقد بلغ مِنّي ما كان منك من جفاء وغلظة، فلا يغلظن عليَّ قلبك، ولا يستخفنك الذي بلغك، أنا الذي أقول[1]: [البسيط]

يا أعظم الناسِ عفواً عندَ مقدرةٍ	وأعظم النّاسِ عند الجود للمالِ
لو أصبحَ النيلُ ماؤه ذهباً	لما أشَرْتَ إلى خزنٍ بمثقالِ

وهي عدة أبيات، فضحك عبد الله بن طاهر وقال: يا أبا السمراء، أقرضني عشرة آلاف دينار، فما أمسيت أملكها، فأقرضه فدفعها إلى مُعَلَى الطائي[2].

قال محمد[3] بن الفضل الخراساني أحد قواد عبد الله بن طاهر: لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبية وأهله، ويفخر بفضلهم وقتلهم المخلوع، عارضه محمد بن زياد[4] الأموي الحصني من ولد مسلمة بن عبد الملك، فأفرط في السب وتجاوز قبح الرد، وتوسط بين القوم وبين بني هاشم [١٠٠] فأربى في التوسط، وكان فيما قال فيه[5]: [المديد]

يا بنَ بيت النارِ موقِدُها	ما لحاديهِ سراويلُ
مَنْ حُسَيْنٌ من أبوكَ ومَنْ	مُصْعَبٌ عالتْكُم غُولُ
نَسَبٌ في الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ	وأُبُوّاتٌ أراذيل

وهي قصيدة طويلة، فلما ولي عبد الله بن طاهر، وَرُدَّ إليه أمر الشام علم الحصني أنه لا يفلت منه إن هرب، ولا ينجو من يده، فثبت في موضعه، وأحرز حرمه، وترك أمواله ودوابه،

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٨/١٢.
(٢) الأصفاني، الأغاني: ٣٣٨/١٢.
(٣) في الأغاني: العباس
(٤) في الأغاني: يزيد.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٣٤٠/١٢.

وكل ما يملك في موضعه، وفتح باب حصنه وجلس عليه يتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به، فلما شارفنا بلده وكنا على أن نُصبحه، دعاني عبد الله في الليل، فقال: أنت عندي الليلة، ولتكن فرسك عندك لا تُرَدُّ، فلما كان في السحر أمر غلمانه وأصحابه أنْ لا يرحلوا حتى تطلع الشمس، وركب في السحر، أنا وخمسة من خواص غلمانه، وسار حتى أصبح الحصني، فرأى بابه مفتوحاً، ورآه جالساً مسترسلاً، فقصده وسلم عليه، ونزل عنده، وقال: ما أحَلَّكَ ها هنا على أن فتحت بابك ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل، ولم تَتَنَحَّ عن عبد الله بن طاهر، مع مافي نفسه عليك، وما بلغه عنك؟ فقال: إن الذي قلت لم يذهب عليَّ، وإنما تأملت أمري وعلمت أني قد أخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب وغرة الحداثة، وإني إن هربت لم آمنه، فباعدت البنات والحرم، واستسلمت نفسي وكل ما أملك، فإني [من][1] أهل بيت قد أسرعَ القتل فينا، ولي فيمن مضى أُسوةٌ، فإن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي وشفى غيظه، لم يجاوز ذلك إلى الحرم، ولا له فيهن أرب، ولا يوجب جرمي إليه أكثر مما بذلته، قال: فوالله، ما اتقاه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيته، ثم قال: أتعرفني؟ قال: لا والله، قال: أنا عبد الله بن طاهر، وقد أمَّن الله خوفك، وحقن دمك، وصان حريمك، وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك، وما تعجلت إليك وحدي إلَّا لتأمن حوم وأن لا يخالط عفوي عنك روعة، فبكى الحصني وقام فقبل رأسه، وضَمَّهُ إليه عبد الله وأدناه، ثم قال: أما الآن فلا بد من عتاب، يا أخي جعلت فداك، قلت شعراً في قومي أفخر بهم [١٠١] لم أطعن فيه على حسبك، ولا ادعيت فضلاً عليك، وفخرت بقتل رجل، وهو وإن كان من قومك، فهم القوم الذين ثأرك عندهم، وكان يَسَعُكَ السكوت. وإن لم تقترف لم تسرف، فقال: أيها الأمير، فإن عفوت، فاجعله العفو الذي لا يخالطه تثريب، ولا يكدر صفوه تأنيب، قال: قد فعلت، فقم بنا ندخل منزلك حتى نوجب عليك حقاً بالضيافة، فقام مسروراً، فدخلنا منزله، ودعا بالطعام الذي كان أعدها لنفسه، فأكلنا وجلسنا نشرب في مشترف لــه، وأقبلَ الجيش، وأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأُرَحِّلَهم، ولا يترك أحد منهم في البلدة، ثم دعا بدواة، فكتب له يسوغه خراجه سبع سنين، وقال: إن نشطت لنا فالحق بنا، وإلا فأقم مكانك، فقال: أنا أتجهز وألحق الأمير، ففعل ولحق بمصر، ولم يزل عبـــد الله بن طاهر لا يفارقه حتى دخل العراق، فودعه وأقام ببلده[2].

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٩/١٢ ـ ٣٤١.

قال ابن خرداذبة: كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر، وكان نديمه، وجليسه، وكان له مؤثراً مقدماً، فأصاب معه معروفاً كثيراً، وأجازه جوائز سنية، ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر فجفاه، فرجع موسى إلى بغداد، فكتب إليه[1]:

إنْ كانَ عبدُ اللهِ خلانا لا مُبْدياً عُرْفاً وإحسانا

فَحَسْبُنَا اللهِ رضِينَا به ثم بعبدِ اللهِ مولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون، وتغنت فيه جاريته لحناً من الثقيل الأول، وسمعه المأمون منها، فاستحسنها، ووصله وإياًّها، فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر، فغاظه، وقال: أجَلْ، صنعنا المعروف إلى غير أهله فضاع[2].

٣٤ ـ مَعْبَد اليَقْطِيْنِي[3]

مطرب كم أُخِذَ عنه صوت، ومجيد كم استدرك به لمعبد الأول فَوْت، وإن قيل «وما قصبات السبق إلا لمعبد»، وعنى الأول أنه أعرب قيل ذلك لـه وللثاني منه ما أطرب، ثم ختل لبيباً وقتل كئيباً وفعل بالغناء ما يفعل بالناي، كان أطيب من العود أنفاساً، وأقرب إيناساً، يختلب الألباب، ويستلب العقول للأحباب، ويجتلب [١٠٢] الهوى لذكر زينب اجتلاب الرباب.

قال أبو الفرج[4]: قال عبد الله بن أبي سعيد: حدثني معبد غلام ابن يقطين قال: كنت منقطعاً إلى البرامكة، آخذ منهم وألازمهم ولا أفارقهم، فبينا أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يدق، فخرج غلامي ثم رجع فقال: على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك، فأذنت له، فدخل عليَّ شاب ما رأيت أحسن وجهاً، ولا أنظف ثوباً، ولا أجمل زياً منه، عليه آثار السقم ظاهرة، فقال لي: إني أخاف لقاءك مذ مدَّةٍ، فلا أجد إليه سبيلاً، إنَّ لي حاجةً، قلت: وما هي؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي، ثم قال: أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحناً

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٩/١٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٩/١٢.

(٣) معبد اليقطيني، مغنى من العصر العباسي، توفي في خلافة هارون الرشيد، انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٠/١٤ ـ ٣٣٢.

(٤) الأغاني: ٣٣٠/١٤ ـ ٣٣٢.

تغنيني به، قلت: هاتها، فأنشدني[1]: [البسيط]

والله يا طْرفيَ الجاني على بَدَني ... لَتُطْفِئَنَّ بدمعي لَوْعَةَ الحَزَنِ
أو لأبوحَنَّ حتى يحجِبُوا سَكَني ... فلا أراهُ ولو أُدْرِجْتُ في كَفَني

قال: فصنعت فيهما لحناً ثم غنيته إياهما فأُغْمِيَ عليه، حتى ظننته قد مات، ثم أفاق فقال: أعِد فَدَيْتُكَ، فناشدته الله في نفسه، وقلت: اخشى أن تموت، فقال: هيهات، أنا أشقى من ذلك، وما زال يخضع ويتضرع[2] حتى أعدته، فصعق صعقة أشد من الأولى، حتى ظننت أن نفسه قد فاضت، فلما أفاق رددت عليه الدنانير ووضعتها بين يديه، وقلت له: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني، فقد قضيت حاجتك وبلغت طرفاً مما أردته، ولست أحب أن أشرك في دمك، فقال: يا هذا، لا حاجة لي في الدنانير، وهذه مثلها لك، وأخرج مثلها ثلاثمائة دينار أخرى فوضعهما بين يدي، وقال: أعد الصَّوْتَ عليَّ مرة أخرى وخلاك ذم، فشرهت نفسي إلى الدنانير، فقلت: لا والله ولا بعشرة أمثالها، إلا على ثلاث شرائط، قال: وما هن؟ قلت: أولهن أن تقيم عندي، وتَتَحَرَّم بطعامي، والثانية أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشد قلبك ويسكن مما بك، والثالثة أن تحدثني بقضيتك، قال: أفعل ما تريد، فأخذت الدنانير ودعوت بالطعام فأصاب منه إصابة مُعْذِر، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحاً، وغنيته بشعر غيره في نحو من معناه، فجعل يبكي أحر بكاء وينشج [١٠٣] أشد نشيج، فلما رأيت النبيذ قد شد قلبه، كررت عليه صوته مراراً، ثم قلت: حدثني حديثك، قال: أنا رجل من أهل المدينة، وخرجت متنزها في ظاهرها، وقد سال العقيق في فتيةٍ من أترابي، فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا لمثله إليه فجلسن حجزة منا، وبصرت بفتاة كأنها قضيب قد طله الندى، فأطلنا وأطلن حتى تفرق الناس، وانصرفت وقد أثبتت في قلبي جرحاً بطيئاً اندماله، فعدت إلى منزلي وأنا وقيذ، وخرجت من الغد إلى العقيق وليس به أحَدٌ، فلم أر لها أثراً، فجعلت أتبعها في طريق المدينة وأسوقها، فلم أحسَّ لها بعين ولا أثر، وسقمت حتى أيس مني أهلي، وخَلَت بي ظِئرٌ لي واستعلمتني وضَمِنَتْ لي كتمانها والسعي فيما أحبه منها، فأخبرتها بقضيتي، فقالت: لا بأس عليك، هذه أيام الربيع، وهي سنة خصب وأنواء، وليس يبعد عنك المطر، فأخرج أنا وأنت إلى العقيق، فإن النسوة

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٤/٣٣٠.
(٢) الأصل: ويترضع والمثبت من الأغاني.

سيجئن، فإذا فعلن فرأيتها عرفتها حتى أتبعها فأعرف موضعها فأتبعها وأصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها، فكأن نفسي اطمأنت إلى ذلك، ووثقتُ به، وسكنتُ إليه، فقويت نفسي وتراجعت، وجاء مطر بعقب ذلك، فسال العقيق، وخرج الناس وخرجت مع إخواني، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه كما كنا والنسوة أقبلن، فأومأت إلى ظئري فجلست حجزة منا ومنهن وأقبلت إلى إخواني فقلت: لقد أحسنَ القائل(١): [الطويل]

رَمَتْني بسهم أقصَدَ القلبَ وانثنت   وقد غادَرَتْ جُرْحاً به وندوبا

فأقبلت على صويحباتها وقالت: أحسن والله القائل يقول(٢): [الطويل]

بنِا مثلُ ما تشكو فصبراً لعَلّنا   نرى فَرَجاً يَشْفي السَّقامَ قريبا

فأمسكتُ عن الجواب خوفاً أن يظهر ما يفضحني وإياها، وعرفتُ ما أرادت، ثم تفرق الناس وانصرفنا، فتبعتها ظئري حتى عرفت منزلها، وصارت إليَّ فأخذت بيدي ومضينا إليها، فلم تزل تتلطف حتى وصلت إليها فتلاقينا على حال مجالسة، فشاع حديثنا، فحجبها أهلها، فسألت أبي أن يخطبها، فمضى أبي ومشيخة أهلي إلى أبيها، فخطبوها، فقال: لو كان فعل هذا قبل أن يفضحها لأسعفته بما التمس، فأما الآن وقد عَرَّها فما [١٠٣] كنت لأحقق ظن الناس بتزويجها إيَّاه، فانصرفت على يأس منها ومن نفسي. قال معبد: فسألته أين تنزل فخبرني، وصارت بيننا عشرة، ثم جلس جعفربن يحيى للشرب، فأتيته وكان أول صوت غنيته في شعر الفتى، فطرب عليه طرباً شديداً، فقال: ويحك، ما سمعت هذا منك قط، فقلت: إن لهذا الصوت حديثاً، قال: فما هو؟ فحدثته، فأمر بإحضاره، فَأُحْضِرَ الفتى بين يديه، فاستعاده الحديث، فأعاده عليه، فقال: هي في ذمتي حتى أزوجك إيَّاها، فطابت نفسه، فأقام معنا حتى أصبح وغدا جعفر إلى الرشيد، فحدثه الحديث العجيب، فأعجب منه، وأمر بإحضارنا جميعاً، فأحضرنا وأمر أن أغنيه الصوت، فغنيته فشرب وطرب، وأمر من وقته بكتاب إلى عامل المدينة بأشخاص الرجل وأمر ابنته وجميع أهله إلى حضرته، فلم يمض إلا مسافة الطريق، فأُحْضِرُوا، فأمر الرشيد بإيصاله إليه، فأوصل وخطب الجارية للفتى، وأقسم لا يخالف أمره، فأجابه أبوها، وحمل إليه الرشيد ألف دينار لنفقة الطريق، وألف دينار لجهازها وأمر للفتى بألفي دينار، ولي

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣١/١٤.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣١/١٤.

بألف دينار، وأمر لنا جعفر بألفي دينار لي وله، وكان الفتى بعد ذلك من ندماء جعفر بن يحيى.

٣٥ ـ محمد الزَّف[١]

سابق لا يكر معه في جولة، ولا يقر معه لصولة، ولا يذكر مع بوارقه برقة ثَهْمَد ولا خَوْلة،[٢] ما أبو كامل عنده إلا ناقص، ولا الكميت المذكور في صوت ابن سريج عنه إلا ناكص، ولا ابن محرز معه ممن تحرَّز، ولا ابن ميمون الموصلي إلا ممن تَغَنى وما نسج مثل نسجه ولا طرَّز.

قال أبو الفرج الأصفهاني[٣]: كان أسرع خلق الله أخذاً للغناء من جميع خلقه وأصحه أداءً له، وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم وابنه، فكانا يرفعان منه ويقدمانه، ويجلبان له الصلات من الخلفاء، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقتدر معه أن يسعفه ببر، وقد كان ابن جامع إذا غنى صوتاً أصغى إليه حتى يحكيه ويلقيه على جماعة المغنين، فغنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد[٤]: [الخفيف]

أرسلت تُقْرِء السلامَ الرَّبابُ   في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ[١٠٥]
فيه لو زرتنا لزرناك ليلاً   بمنى حيثُ تَشْتَقِلُّ الرِّكابُ

قال إسحاق: ونظر إليّ الزَّفٌ فغمزته، وقمت إلى الخلاء، فإذا هو قد جاءني، فقلت: أي شئ قد عملت؟ قال: قد فرغت لك منه، فقلت: هاته، فرده عليَّ ثلاث مرار حتى عرفت مقاطعه وفهمته وصح لي، فأخذته وعدت إلى مجلسي وأنا مسرور، وغمزت عقيداً ومخارقاً فقاما وتبعهما، فألقاه عليهما، وابن جامع لا يعرف الخبر، فلما عاد إلى المجلس، أومأت إليهما أسألهما عنه، فعرفاني أنهما أخذاه، فلما بلغ الدور إلي كان الصوت أول ما غنيته، فحدد الرشيد نظره إليَّ، ومات ابن جامع وأسقط في يده، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟ قلت: أنا أرويه قديماً، وقد أخذه عني مخارق وعقيد، فقال: غنياه، فوثب ابن جامع، فجلس بين يديه، وحلف

---

(١) محمد بن عمرو مولى تميم، كوفي الأصل، وهو أحد المغنين في العصر العباسي، توفي أواخر خلافة الرشيد أو أوائل خلافة الأمين أنظر: الأصفهاني: الأغاني: ٣٧٨/١٤ ـ ٣٨١.

(٢) الأصل: ولا لخلوة، والتصويب يقتضية السياق.

(٣) الأغاني: ٣٧٩/١٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧٩/١٤.

بالطلاق ثلاثاً أنه صنعه في ليلته الماضية، ما سبقه إليه أحد من الناس، فنظر إليَّ الرشيد فغمزته بعيني أنه صدق، وَجَدَّ الرشيد في العبث به بقية يومه، ثم سألني بعد ذلك في الخبر فصدقته، فجعل يضحك ويقول: لكل شئ آفة، وآفة ابن جامع الزف.

ومن مشهور صنعته في طريقة الرمل[1] [البسيط]

بانَ الحبيبُ فلاحَ الشيبُ في رأسي ... وبِتُّ منفَرِداً وحدي بوِسْواسِ

ماذا لَقِيتُ فدَتْكَ النفسُ بعدكُمُ ... من التَّبَرُّم بالدنيا وبالناس

لو كان شئٌ يسلي القلب عن شَجَنٍ ... أسلت فؤادي عنكم لذَّةُ الكاسِ[2]

ما دارتِ الكأسُ إلا كانَ ذِكْرِكُمُ ... مجازَ كأسي وأنسي بين جُلاسي[3]

٣٦ ـ عَثْعَث[4]

برز في تصاريف العقلاء، وتبرأ من تكاليف الثقلاء، واطَّرَحَت الخلفاء معه الاحتشام، وجعل بوارق السرور متى لاح تُشام، وكان قمر تلك المجالس وقمري تلك الرحان الأوانس، لا تُرقَلُ ركائب المدام إلا على حدائه، ولا تطل حدود الكؤوس إلا بإدنائه، تترنح به المعاطف ترنح الأغصان بالنسيم، وتهتز القلوب اهتزاز المفارق للمعهد القديم.

قال أبو الفرج[5]: قال ابن حمدون [١٠٦] قال لي عثعث: دخلت يوماً على المتوكل، وهو مصطبح وابن المارقي يغنيه شعره[6]: [الطويل]

أَقَاتِلَتي بالجيدِ والخَدِّ والقد ... وباللونِ في وجهٍ أرقّ مِنَ الوردِ[7]

وهو على البركة جالس، وقد طرب فاستعاد الصوت مراراً، وأقبل عليه، فجلست ساعة،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٨١/١٤.

(٢) في الأغاني: يسلي النفس.... سلت،

(٣) البيت لم يرد في الأغاني.

(٤) عثعث مملوك محمد بن يحيى بن معاذ: أحد المغنيين في العصر العباسي: انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٥/١٤ ـ ٣٩٨.

(٥) الأغاني: ٣٩٦/١٤.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٦/١٤.

(٧) في الأغاني: بالجيد والقد والخد.

ثم قمت لأبول فصنعت هزجاً في شعر البحتري يصف البركة[1]: [البسيط]

إذا النجومُ تراءتْ في جوانبها ... ليلاً حَسِبْتَ سماءً رُكِّبَتْ فيها

وإن عَلَتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكاً ... مثلَ الجواشنِ مصقولاً حواشيها

قد زانها زينة من بعد زينتها ... إن اسمه حين يدعى من أساميها

فلما سكت ابن المارقي مستوفياً، اندفعت أغنى هذا الصوت، فأقبل علي قال: أحسنت، وحياتي أعد، فأعدت فشرب ولم يزل يستعيده ويشرب حتى اتكأ ثم قال للفتح بن خاقان: بحياتي ادفع إليه السّاعة ألف دينار وخِلْعَةً تامة، واحمله على شهري فاره بسرجه ولجامه، فانصرفت بذلك أجمع.

قال ابن[2] جامع: كنا مجتمعين في منزل أبي عيسى ابن المتوكل، وقد عزمنا على الصبوح، ومعنا جعفر بن المأمون، وسليمان بن وهب، وإبراهيم بن المدبر، وحضرت عريب وشارية وجواريهما، ونحن في أتم سرور، وكان أهل الظرف والمتعانون في ذلك الوقت ضربين، عريبيّة وشرويّة فمال كل حزب إلى من يتعصب له منهما في الاستحسان والظرف والإفراج، وعريب وشارية ساكتتان لا تنطقان، وكل واحدة من جواريهما تغني صنعة ستها لا تجاوزها، حتى غنت عرفان[3]: [المديد]

بأبي مَنْ زَارَنِي في مَنَامِي ... فَدَنَا مِنِّي وفيهِ نِفَارُ

فأحسنت ما شاءت، وشربنا جميعاً، فلما أمسكت، قالت عريب لشارية: يا أختي لمن هذا اللحن؟ قالت: لي كنت صنعته في حياة سيدي، تعني إبراهيم بن المهدي فاستحسنه وعرضه على إسحاق وغيره فاستحسنوه، وامسكت عريبُ، ثم قالت لأبي عيسى: أحب [١٠٧] يابُنيَّ فديتك أن تبعث الساعة إلى عثعث الأسود من يجيئني به، فوجه إليه فحضر، وجلس، فلما اطمأن وشرب وغنى، قالت له عريب: يا أبا دليجة، أتذكر صوتاً غناه زبير [بن][4] دحمان عندي وأنت حاضر فسألتني، فسألته أن يطرحه عليك؟ فقال: وهل الغواني لها

---

(١) البحتري، الديوان: ١/٢٩.

(٢) في الأغاني: حدثني ابن حمدون قال: كنا.

(٣) الأصفهاني: الأغاني: ١٤/٣٩٥.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

عذرها، نعم والله، إني لذاكره، حتى كأننا أمس افترقنا عنه، قالت: غَنِّهِ، فاندفع يغني الصوت الذي ادَّعتهُ شارية حتى استوفاه، وتضاحكت الأخرى عريب، ثم قالت لجواريها: خذوا في الحق ودعوا الباطل، وغنوا الغناء القديم، فغنت بدعة وسائر جواريها غناء عريب، وخجلت [شارية][1] وسائر جواريها وأطرقت وظهر الأنكسار فيها، ولم تنتفع هي يومئذ ولا أحد من جواريها، ولا متعصبيها بأنفسهم[2].

٣٧ ـ بَصْبَص جَارية ابن نَفِيْس[3]

جارية سمراء تهزأ بالأسمر، وترسل في طرفها الأسود الموت الأحمر، انغمست في ماء الدلال، وطُبعت على صورة الهلال، بحمرة دبت في وجناتها، وأمكنت بواكير الورد من جناتها، وذبلت نرجس العيون وأقاح المقل من جناتها، وروّقت في رضابها الرحيق، وأشعلت فيما تحت نقابها الحريق، وجلتها كالبدر يعلوه تحت الشفوف غيم رقيق، كَلِفَ بها المهدي على عفاف مضاجعه، وكف مطامعه وصارت إلى ملك حيث الملوك إلى أبوابه وافدة، والأقدار له على عدوه مرافدة، واختصها بأنسه، واستخلصها لنفسه، وأولدها عُلَيَّةُ بنت المهدي، ولهذا نزعت إلى أمها، واغترفت الغناء من يمها، وكانت قد أدَّبها ابن نفيس فمهرت، وحجبها مدة مقصورة على التعليم حتى ظهرت.

قال أبو الفرج[4]: كان يحيى بن نفيس مولاها صاحب قيان تغشاه الأشراف، ويسمعون غناء جواريه، وكان فيمن [يغشاه][5] عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، فحج أبو جعفر في بعض السنين، ومر بالمدينة، فقال عبد الله بن مصعب، تذكر[6]: [السريع]

أراحــــلٌ انـــت يـــا جـــعـــفـــرٍ   مـن قبـل أن تَـسْمَـعَ مـن بَـصْبَـصَـا[7]

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٥/١٤ ـ ٣٩٦.

(٣) بصبص مغنية عباسية مشهورة، وهي مولدة من مولدات المدينة انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٢٢/١٥ ـ ٣٨.

(٤) الأغاني: ٢٣/١٥.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة، في الأغاني.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣/١٥.

(٧) في الأغاني: أبا جعفر.

لـو أنَّـهـا تـدعـو إلـى بَـيْـعَـةٍ   بـايـعَـتُـهـا ثـم شَـقَـقْـتُ الـعَـصَـا

[١٠٨] فبلغت أبا جعفر، فدعا به فقال: أما أنكم يا آل الزبير قديماً قادتكم النساء[(١)] وشققتم العصا، حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع النساء المغنيات، فدونكم يا آل زبير هذا المرتع الرخم، قال: ثم بلغ المنصور بعد ذلك أن عبد الله بن مصعب قد اصطلح مع بصبص وهي تغنيه[(٢)]: [السريع]

إذا تـمـزَّزْتُ صُـراحـيَّـةً   كـمـثِـلِ ريـحِ الـمِـسْـكِ أو أطـيـبُ
ثـم تَـغَـنَّـى لـي بـأهْـزَاجِـه   زيـدٌ أخـو الأنـصـارِ أو أشـعـبُ
حَـسِـبْـتُ أنـي مـلـكَ جـالـسٌ   حَـفَّـتْ بـه الأمـلاكُ أو مـوكـبُ[(٣)]
ومـا أُبـالـي والـه الـورى   أشـرق الـعـالـم أم غـربـوا

قال أبو جعفر: لكن العالم لا يبالون كيف أصبحت، ولا كيف أمسيت، ثم قال أبو جعفر: لكن الذي يعجبني الليلة أن يحدوني الحادي بشعر طريف العنبري فهو ألذ في سمعي من غناء بصبص، ثم دعا الحادي، وكان إذا أحدّ أصغت الإبل إلى صوته وانقادت انقياداً عجيباً، فسأله المنصور: ما بلغ من حسن حدائه؟ [قال][(٤)]: تعطشُ الإبل خمساً وتدْنى من الماء، وأحدو أنا، فَتَتْبَعُ كُلُّها صوتي ولا تقرب الماء، فحفظ الشعر، وهو[(٥)]: [الكامل]

أَنِّـي وإنْ كـان ابـنُ عَـمِّـي كـاشِـحـاً   لـمـزاحِـمٌ مـن دونـه وورائـه
ومُـمِـدُّهُ نَـصْـري وإنْ كـان أمـراً   مـتـزَحْـزحـاً فـي أرضِـهِ وسـمـائِـهِ
وأكـونُ مـأوى سِـرِّهِ وأصـونُـهُ   حـتَّـى يـحـقَّ عـلـيَّ يـومُ أدائِـهِ
وإذا أتـى مـن غـيـبـةٍ بـطـريـفـةٍ   لـم أطَّـلِـع مـاذا وراءَ خِـبَـائِـهِ
وإذا تْـحـيَّـفَـتِ الـحـوادِثُ مَـالَـهُ   قـرنَـتْ صَـحِـيـحـتُـنَـا إلـى جربـائِـهِ

---

(١) إشارة إلى معركة الجمل ونسب القيادة فيها إلى عائشة رضوان الله عليها وأن الزبير بن العوام وابنه عبد الله كانا تحت قيادتها.
(٢) الأصفهاني: الأغاني: ١٥/٢٤.
(٣) من الأغاني: مالك جالس.
(٤) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٢٤.

وإذا تَـرَيَّـشَ فـي غِـنـاهُ وفَـرْتُـهُ — وإذا تـصَـعْـلَـكَ كـنـتُ مـن قُـرَنـائِـهِ
وإذا غَـدا يـومـاً لـيـركـبَ مـركـبـاً — صـعـبـاً قـعـدتُ لـه عـلـى سِـيـسـائِـه

قال: فلما كان الليل حدا به الحادي بهذه الأبيات، فقال: هذا والله أحثُّ [١٠٩] على المروءة، وأشبه لأهل الأدب من غناء بصبص، قال: فحدا به ليله أجمع، فلما أصبح قال: يا ربيع، أعطِهِ درهماً، قال: يا أمير المؤمنين، حدوت لهشام بن عبد الملك فأمر لي بعشرين ألفاً، تأمر لي أنت بدرهم! قال: إنا لله، ذكرت مالم نحب أن تذكره، وصفت رجلاً ظالماً أخذ مال الله من غير حله، وأنفقه في غير حقه، يا ربيع، اشدد يديك به حتى يرد المال، فبكى الحادي وقال: يا أمير المؤمنين، قد مضت به السنون، وقضيت به الديون، ولا والذي أكرمك بالخلافة ما بقي منه شيء، فلم يزل به أهله وخاصته يسألونه في أمره حتى كف عنه، وشرط عليه أن يحدو به ذاهباً وراجعاً، ولا يأخذ منه شيئاً.

قال[1] هَوِىَ محمد بن عيسى الجعفري[2] بصبصاً جارية ابن نفيس، فهام بها، وطال عليه ذلك، فقال لصديق لـه: لقد شغلتني هذه عن ضيعتي وكل أمري، وقد وجدت مَسَّ السُّلوِّ عنها، فأذهب بنا حتى أكاشفها وأستريح، فأتيتها، فلما غنت لهما، قال محمد بن عيسى: أتغنين[3]: [الوافر]

وكـنـتُ أحِـبُّـكـم فـسـلـوتُ عـنـكـم — عـلـيـكـم فـي ديـاركـمُ الـسَّـلامُ

قالت: لا، ولكني أغني[4]: [الوافر]

تَـحَـمَّـلَ أهـلُـهـا عَـنَّـا فَـبَـانـوا — عـلـى آثـارِ مـن ذهـب الـعـفـاءُ[5]

قال: فاستحسنها، ثم زاد بها كلفاً، فأطرق ساعة، ثم قال لها: أتغنيني[6]: [الطويل]

وأخـضـعُ بـالـعُـتْـبَـى إذا كـنـتُ مـذنـبـاً — وإن أذنـب كـنـتُ الـذي أتـنـصَّـلُ

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧/١٥.
(٢) الأصل: الجعبري والتصويب من الأغاني.
(٣) الأصفهاني: الأغاني: ٢٧/١٥
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧/١٥ والبيت لزهير بن أبي سلمى.
(٥) في الأغاني: أهلها عنها.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧/١٥.

قالت: نعم، وأغني[1]: [الطويل]

فإن تُقْبِلُوا بالودِّ نُقْبِلْ بمثله ... وننزلكُم مِنَّا بأقربِ مَنْزِلِ

قال: فتقاطعا في بيتين، وتواصلا في بيتين.

وفي بصبص هذه يقول ابن أبي الزوائد[2]: [السريع]

بصبص أنتِ الشمسُ مزدانة ... فإن تبدَّلت فأنتِ الهلالْ

سبحانكَ اللهمَّ ما هكذا ... فيما مَضَى كان يكونُ الجمالْ

[١١٠] إذا دَعَتْ بالعودِ في مشهدٍ ... وعَاوَدتُ يُمْنى يديها الشمالْ[3]

غَنَّت غنَاءً يستفِدُهُ الفتى ... حِذْقَاً وزاد الحذقَ منها الدلالْ[4]

٣٨ ـ الزَّرْقَاءُ جَارِيَةُ ابنِ رَامِيْن[5]

أنست ذكر زرقاء اليمامة، وغنت فأغنتْ عن الورقاء والحمامة، لم يبق معها لليمامية ولو أنها أفضل عين ولا أثر، ولا الزرقاء أم بني أمية خبر يقع عليه الطرف إذا عثر، أبدعت في تكميل الغناء وتحصيل ما لا ينصرف عنه للاستغناء، ثم أصبحت والحجب تضرب عنها دونها، والستر يسبل عنها مصونها، والنجوم لا ترمقها، والشموس تشهد منها مشرقها.

قال أبو الفرج[6]: قال إسحاق، كان روح بن حاتم المهلبي كثير الغشيان لمنزل ابن رامين، وكان يختلف إلى الزرقاء، وكان محمد بن جميل يهواها وتهواه، فقال لها: روح بن حاتم قد ثقل علينا، قالت: فما أصنع، قد غمر مولاي ببره، قال: احتالي لـه، فبات عندهم روح ليلةً، فأخذت سراويله وهو نائم فغسلته، فلما أصبح سأل عنه، فقالت: غسلناه، فظن أنه أحدث فيها فاحتيج إلى غسله، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها، وخلا وجهها لابن جميل.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧/١٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٦/١٥.

(٣) في الأغاني: وعاونت يمنى.

(٤) في الأغاني: يستفز الفتى...... وزان الحذق.

(٥) سلامة الزرقاء، احدى مغنيات العصر العباسي، انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤١/١٥ ـ ٥٤.

(٦) الأغاني: ٤٤/١٥.

قال[1]: واشترى جعفر بن سليمان الزرقاء بثمانين ألف درهم، فلما مضت لها مدة عنده، قال لها يوماً: هل ظفر احد منك ممن كان يهواك بخلوة أو قبلة، فخشيت أن يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة، أو يكون قد بلغه، فقالت: لا ولالله، إلا يزيد بن عون العبادي قبلني قبلة وقذف في فمي لؤلؤة بعتها بثلاثين ألف درهم، فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع في يده، فضربه بالسياط حتى مات.

قال إسحاق: شربت الزرقاء دواء فأهدى لها ابن المقفع ألف دُرَّاجة على جمل قُراسيٍّ[2].

قال محمد بن سلام: اجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة، وروح بن حاتم، وابن المقفع، فلما غنت بعث معن إليها بَدْرةً فصبها بين يديها، وبعث روح إليها أخرى فصبها بين يديها، ولم يكن عند ابن المقفع دراهم، فجاء بصك ضيعته وقال: هذه عهدة ضيعتي خذيها، فأما الدراهم [١١١] فما عندي منها شئ[3].

قال إسماعيل بن عمار: كنت أختلف إلى منزل ابن رامين فأسمع جاريته الزرقاء وسعدة، وكانت سعدة أظرف من الزرقاء، فأعجبت بها، وعلمت ذلك مني، وكانت كاتبة، فكتبت إليها أشكو ما ألقى بها، فوعدتني، فكتبت إليها رقعة مع بعض خدمهم فيها[4]: [البسيط]

يا ربِّ إنَّ ابنَ رامينٍ له بَقَرٌ ... عينٌ وليس لنا عيرُ البراذينِ

لو شِئْتَ أعطيتَهُ مالاً على قَدَرٍ ... يرضَى به منك غيرَ الخُرَّدِ العِينِ

فإنْ تجودي بذاك الشئ أحْيَا بِهِ ... وإنْ بَخِلْتِ به عنِّي فزنِّيني

قال: فجاءني الخادم فقال: ما زالت تقرأ رقعتك وتضحك، وكتبت إلي: حاشاك من أن أُزَنيِّكَ، ولكني أصير إليك وأغنيك وألهيك، وأرضيك، وصارت إلي فأرضتني بعد ذلك[5].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٤٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٤٨.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٤٨.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٤٤ ـ ٤٥.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٤٦.

قال ابن عمار[1]: [الخفيف]

لابن رامين خرد كملها الوحـ ـش حسان وليس لي غير بغل[2]

رب فضلته علي ولو شئـ ـت لفضلتني عليه بفضل

وقال محمد بن الأشعث بن نجوة الكاتب الكوفي[3]: [البسيط]

أمسى لسلَّامة الزَّرقاء في كَبِدي صدعٌ مقيمٌ طوال الدَّهر والأبدِ

لا يستطيع صَنَاعُ القوم يشعبه وكيف يُشعب صَدعُ الحبِّ في الكبدِ

٣٩ ـ حَبَّابَةُ جَارِيَةُ يَزِيدبن عَبْدِ المَلِكِ[4]

أمةٌ غلبت على الحرائر، وفتنت بإطرابها، وحسنت بين أترابها، وسفرت فَرَابَ البُدورَ سفُورُها، وملأ الصدور سرورها، ووصلت إلى حجب يزيد، وكان حب شغفه لها يزيد، فكان لو خُيِّر بَينها وبين الخلافة لاختارها، أو شهيّ هي والشهد لتـرك الشهدا واستشارها، وكانت هي سبب الطعن عليه حتى أنفدته الرماح ونبذته لقىً في مهبات الرياح، صارت إليه هي وسلامة القس، ونعم بهما طوال مدته مثل ليلة العرس، إنَّ هوى حبابة سكن حبه وقلبه، وأشعله حتى ذهب بلبه، ثم وهبها سلامة ورضي بها، ولم يسخطه ملامة.

[١١٢] قال أبو الفرج[5]: أول ما ارتفعت منزلة حبابة عند يزيد أنه أقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه، فقام من وراء الستر، فسمعها تترنم وتغني[6]: [الخفيف]

كان لي يا يزيدُ حُبُّك حينا كادَ يقضي عليَّ لما التَقَينَا

والشعر كان يا شقير،[7] فرفع الستر، فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار، فعلم أنها لم تعلم به، فألقى نفسه عليها وخزلت منه.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٥/١٥.
(٢) في الأغاني: خرد كمها الرمل
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٠/١٥.
(٤) حبابة جارية يزيد بن عبد الملك، مولدة من موالدات المدينة، وغلبت على يزيد وماتت سنة ١٠٥هـ أنظر: الأصفهاني، الأغاني ٨٥/١٥.
(٥) الأغاني: ٨٨/١٥.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٨٨/١٥ وهو لعمر بن أبي ربيعة.
(٧) الأصل: لأبي سفيان والمثبت في الأغاني.

قال ابن شبه: لما ألح يزيد على الشرب وسماع الغناء، أقبل مسلمة عليه يلومه ويقول لـه: إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدلـه، وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في أمور المسلمين، الوفود ببابك وأصحاب الولايات والظلامات يضجون، وأنت غافل عنهم، فقال: صدقت والله، وأعتبه وهمَّ بترك الشراب أيَّاماً، ولم يدخل على حبابة مدة، فدست حبابة إلى الأحوص أن يقول بيتاً في ذلك، وقالت: إن رددته عن رأيه فلك ألْفُ دينار، فدخل الأحوص على يزيد، فاستأذنه، فأذن له فقال[1]: [الطويل]

إلا لا تـلُـمْـهُ الـيــوم أن يـتـبـلَّـدا ... فقد غُلِبَ المحـــزونُ أنْ يتجلَّدا

بكيتُ الَّصبا جهدي فمن شاء لامني ... ومن شـــاءَ آسى في البكاءِ فأسْعَدا

وإنِّي وإنْ قدرت في طلب الصبـــا ... لأعلـــمُ أنَّي لستُ في الحُبِّ أوحدا

إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تَدْرِ ما الهوى ... فكنْ حجراً من يابسِ الصَّخْرِ جَلْمَدا

فمـــا العشـــق إلا ما تلـــذُّ وتشتهي ... وإن لامَ فيـــه ذو الـشَّـنَـارِ وفـــنَّـدا

وحفظت حبابة الأبيات، وعملت فيها لحناً، وكان يزيد قد أقام جمعة لا يدخل إليها، فلما كان يوم الجمعة، قالت لبعض جواريها: إذ خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني، فلما أراد الخروج أعلمتها، فتلقته والعود في يدها، فغنت البيت الأول، فغطى وجهه وقال: مَهْ، لا تفعلي، ثم غَنَّتِ الأبيات، فلما بلغت إلى:

فـمـــا الـعـيـــش إلا مـــا تـلـــذ وتـشـتـــهـي

عَدَلَ إليها وقال: صَدَقْتِ، قَبَّحَ اللهُ مَنْ لامني فيك، يا غلام مُرْ مسلمة [١١٣] فليصل بالناس، وأقام معها وعاد إلى حاله[2].

وذكر ابن عياش[3] أن سلامة وحبابة اختلفا في صوت معبـــد[4]: [الوافر]

ألا حـــيِّ الـــديـــارَ بِـشـعْـــدَ إنِّـــي ... أُحِـبُّ لـحُـبِّ فـاطــــمـةَ الـديـــارا

إذا مـــا حـــلَّ أهْـلُـــكِ يـــا سُـلـيـمـــى ... بـدارةِ صُـلْـصُـلٍ شَـحَـطـوا الـمـزارا

---

(١) الشعر للأحوص، الديوان: ١١٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٨٩/١٥ ـ ٩٠.

(٣) الأصل: عباس والتصويب من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٩٣/١٥.

فبعث يزيد إلى معبد فأتى، فسأل: لِمَ بعث إليه؟ فأُخْبر، فقال: لأيتهما المنزلة عند أمير المؤمنين؟ قالوا: لحبابة، فلما عرضتا عليه الصوت، حكم لحبابة، فقالت سلامَةُ: والله يا ابن الزانية إنك لتعلم وتتحقق أن الحق والصواب ما قلت، ولكنك سألت: أيتهما آثر عند أمير المؤمنين، فقيل لك حبابة، فاتبعت هواه ورضاه، فضحك يزيد وطرب، وقالت سلامَةُ: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في صلة معبد، فإن له عليَّ حقاً، قال: قد أذنت، فوصلته بما لم تصله به حبابة[1].

وقال الزبير بن بكار: حدثتني ظبية، أن حبابة أنشدت يوماً يزيد بن عبد الملك[2]: [الوافر]

لـعَـمْـرُكَ إنــنــي لأحــبُّ سَــلْــعــاً ... لــرؤيـتِـهَــا وَمَــنْ بــجَــنُــوبِ سَــلْــعِ

ثم تنفست شديداً فقال لها: مالك؟ أنت في ذمة أبي، لئن شئت لأقلعنه[3] إليك حجراً حجراً، فقالت: وما أصنع به، ليس إياه أردت، إنما أردت ساكنه[4].

قال الزبير: وحدثتني ظبية، أنَّ يزيد قال لحبابة وسلامة: أيَّتكُما غنتني ما في نفسي، فلها حكمها، فغنت سلامة فلم تصب ما في نفسه، وغنته حبابة:

حـلـق مـن بـنـي كـنـانـة حـولـي ... بـفـلـسـطـيـن يـسـرعـون الـركـوبـا

فأصابت ما نفسه، فقال: احتكمي، فقالت: سلامة، تهبها [لي][5] ومالها، قال: اطلبي غير هذا، فأبت، فقال لها: قد وهبتها لك، فلقيت سلامة من ذلك أمراً عظيماً، فقالت لها حبابة: اطمئني فإنك لا ترين إلا خيراً، فجاءها يزيد يوماً فسألها أن تبيعه إياها بحكمها، قالت: أشهد أنها حرة، فاخطبها حتى أزوجك مولاتي[6].

قال المدائني: كانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال: أطير؟ فتقول: إلى من تدع أمور المسلمين؟ فيقول: إليك[7].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٩٣/١٥.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٩٥/١٥.
(٣) في الأغاني: لأنقلنه.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٩٥/١٥.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٩٨/١٥.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٩٨/١٥.

قال الزبير: وحدثتني ظبية: أن حبابة غنت يوماً فطرب يزيد ثم قال لها: هل رأيت أطْرَبَ [١١٤] مني؟ قالت: نعم، مولاي الذي باعني،[١] فغاظه ذلك، فكتب في حَمْلِهِ مقيداً، فلما قدم أمر بإدخاله إليه، فأُدْخِلَ يَرْسفُ[٢] في قيده، وأمرها بالغناء، فغنت[٣]: [المتقارب]

تَـشِـطُّ غـداً دارُ جِـيْـرَانِـنَـا ... ولـلـدَّارُ بـعـدُ غـدٍ أبـعـدُ[٤]

فوثب فألقى نفسه على الشمعة، فأحرقت لحيته، وجعل يصيح: الحريق يا أولاد الزنا، فضحك يزيد وقال: لعمري إن هذا لأطرب مني، وأمر بحل قيوده ووصله بألف دينار، ووصلته حبابة بمثلها، وزودته إلى المدينة[٥].

قال: نزل يزيد بيت ديرانية[٦] بالشام، ومعه حبابة فقال: زعموا أنه لا يصفو لأحد عيشه إلى الليل لا[٧] يكدره شيء، وسأجرب ذلك، ثم قال لمن معه: إذ كان غداً فلا تخبروني بشيء، ولا تأتوني بكتاب، وخلا بحبابة، فأتيا بما يأكلان، فأكلت رمانة فشرقت بحبة فماتت، فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى نتنت، وامتنع من الأكل والشرب وخطاب الناس، وجعل يَشْتَمُها[٨] ويترشفها، فعاتبه أقرباؤه وقالوا: قد صارت جيفةً بين يديك، ولم يزالوا به حتى أذن لهم في دفنها، وأمر فأُخْرِجَتْ في نطع، وخرج لا يتكلم حتى جلس على قبرها، قال: أصبحت والله كما قال كثير[٩]: [الطويل]

فإنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أو تدع الصِّبا ... فباليأسِ يسلوا عَنْكِ لا بالتَّجَلُّد
وكلُّ خليلٍ زارني فهـو قائلٌ ... من أجِلكِ هامةُ اليوم أو غدِ[١٠]

---

(١) الأصل: عني، والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصل: يوسف، والمثبت من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٩٨.
(٤) الأصل: فشط غداً والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٩٨.
(٦) في الأغاني: بيت رأس وهو الصواب.
(٧) في الأغاني: إلّا.
(٨) الأصل: يشمها، والمثبت من الأغاني.
(٩) الديوان: ١٣٣.
(١٠) في الديوان: وكل خليل راءني.

قال: فما أقام إلا خمسة عشر يوماً حتى مات، ودفن إلى جانبها[1].

وروى المدائني: أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنها، فأمر بنبشها فنبشت، فكشف عن وجهها وقد تغير تغيراً قبيحاً فقيل لـه: اتق الله ألا ترى كيف صارت، فقال: ما رأيتها قط أحسن من هذا اليوم، أخرجوها فجاء مسلمة ووجوه قومه وأهله، فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك، ودفنوها[2].

٤٠ ـ بُدَيْح مَوْلى عَبْدِ الله بنِ جَعْفَر[3]

[١١٥] صاحب فكاهة يحلو مذاقها، ومحاسن تعرو بها البدور محاقها، وكان لا يعاصيه احتيال ولا يلاويه اختيال، لو رقي بالجندل لاستخرج ماءه، أو لاطف الدجى لجلّى ظلماءه، وأعرق في شرف الولاء، وأجزل لـه طرف الآلاء، ولم تنقص لـه عطيه، ولا قصَّرت به رتبة عليّه.

قال أبو الفرج[4]: روى الحديث عن عبد الله بن جعفر، وقيل إنَّ عبد الله بن جعفر دخل على عبد الملك بن مروان، وهو يتأوَّه من عرق النَّسَا، فقال: يا أمير المؤمنين، مالك؟ قال: قد هاج بي عرق النَّسَا في ليلتي هذه فبلغ مني، فقال: إن بديحا مولاي يرقي منه، فوجه إليه عبد الملك بن مروان، فلما مضى الرسول، قال عبد الله في نفسه: كذبة قبيحة عند خليفة، وأُسْقِطَ في يده، فما كان أسرع من أن طلع بديح، فقال لـه: كيف رقيتك عرق النَّسَا؟ قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين، قال: فَسُرِّيَ عن عبد الله بن جعفر، لأن بديحاً كان صاحب فصاحة وفكاهة يعرف بها، فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبد الملك، الله أكبر، وجدت والله خفّاً، يا غلام، ادع فلانة حتى تكتب الرقية، فإنا لا نأمن هيجانها بالليل، فلا ندع[5] بديحاً، فلما جاءت الجارية، قال بديح: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق إن كتبتها حتى تعجل حبائي، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صارت بين يديه قال: امرأته طالق أو يصير المال في منزله، فأمر فحمل، فلما أحرزه قال: يا أمير المؤمنين امرأتي طالق إن كنت قرأت عليك وعلى

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٩٩/١٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٩٩/١٥.

(٣) بديح مولى عبد الله بن جعفر، مغنى من العصر الأموي، كان يغني أغاني غيره مثل سائب خاثر وطويس أنظر، الأصفهاني، الأغاني: ١١٨/١٥ ـ ١٢٠.

(٤) الأغاني: ١١٨/١٥ ـ ١١٩.

(٥) في الأغاني: نذعر.

رجلك إلا أبيات نصيب[1]: [الطويل]

ألا إنَّ العامريةَ أصبحت ... على النأي عني ذنب غيري تنقمُ
وما ذاك عن ذنب أكون اجترمته ... إليها لتَجْزيني بها حيث أعلم[2]
ولكنَّ إنساناً أذا مَلَّ صاحباً ... وحاول صرماً لم يزل يتجرَّمُ

قال: ويلك ما تقول، قال: امرأته طالق إن كان رقاك إلا بما قال، قال: [١١٦] فاكتمها، قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر، فطفق عبد الملك ضاحكاً.

٤١ ـ هَاشِم بنُ سُلَيْمَان[3]

محصل ثروة ومحصن ذروة، بفطانة تقطع على ما في النفوس، وتدرك منه مالا يدرك بالمحسوس، بحدسٍ كأنما كان به يتكهن، ويقوى لديه ولا يتوهن، وله في صناعة الغناء يد لا تطيش، وسهم له في القلوب تسويداً وأنها تريش، يجني المسامع تمراً، ويخيل للسامع أنه ازداد عمراً.

قال أبو الفرج[4]: قال هاشم بن سليمان: أصبح موسى الهادي يوماً وعنده جماعة منا، فقال: غنّنا[5]: [الكامل]

أبهارُ قَدْ هَيَّجَتِ لي أوْجَاعا ... وتَرَكْتِنِي عَبْداً لَكُم مِطْواعَا

فإن أصبت حاجتي فلك حاجة مقضية، فغنَّيتُهُ فقال: أصبت وأحسنت، سَلْ تُعْطَ حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، تأمر بأن يملأ هذا المكان دراهم، وكان بين يديه كانون عظيم، فأمر به فَمِلئَ، فلما حصلها قال: يا قصر الهمة، والله لو سألت أن أملاها دنانير لفعلت، فقلت: أقلني يا أمير المؤمنين، قال: لا سبيل إلى ذلك، ولم يسعدك الجد به، وتمام الصوت الذي اقترحه موسى الهادي على هاشم بن سليمان[6]: [الكامل]

---

(١) شعر نصيب: ١٢٣.
(٢) في الأصل: ذنب يكون، والمثبت من شعر نصيب.
(٣) أبو الغريض هاشم بن سليمان مولى بني أمية ممن برع في الغناء في العصر العباسي. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٦٦/١٥ ـ ١٧٥.
(٤) الأغاني: ١٦٧/١٥.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٧/١٥.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٧/١٥.

بحديثك الحسن الذي لو حلفت وحش الفلاة به لجئن سراعا[1]
وإذا مررت على البهار منضداً في السوق هيج [لي] إليك نزاعاً[2]
والله لو علم البهار بأنها أضحت سميته لطال ذراعاً[3]

٤٢ ـ عَمْرو بن بَانَة[4]

مفيد في طرب، ومجيد إذا ضرب، طالما غَنَّى فخرق كُلَّ حجاب، واستنفق العبرة بغير حساب، كم لـه في الطرب دقه داخلة، ويد غير باخلة، بكل إشارة وافية، وعبارة للعود الأعجم بما يتخير من معاني العرب كافية، كم حضر في مجلس فقال السرور ما غبت، وانجحَ فقال الاستحقاق[5] ما خبت [١١٧] وكان مهما حضر دار الخلافة، استقله معروفها، ودبت إليه قطوفها، فكان أنَّى أمر الدهر ائتمر، ومهما غرس الطرب في سمع اجتنى الثمر.

قال أبو الفرج[6]: كان تائهاً معجباً، وكان ينادم الخلفاء على ما فيه من الوضح، وفيه يقول الشاعر[7]: [المتقارب]

أقول لعمرو وقد مرَّ بي فَسَلَّمَ تسليمَةً جافِيَةْ[8]
لئن فَضَّلُوكَ بِحُسْنِ الغِناءِ لقد فضَّلَ الله بالعافيَةْ

قال أبو معاوية الباهلي: سمعت عمرو بن بانة يقول لإسحاق في كلام جرى بينهما: ليس كمثلي يقاس بمثلك، لأنك تعلمت الغناء تكسباً، وتعلمته تطرباً، وكنت أضرب لئلا أتعلمه، وأنت تضرب لأن تتعلمه[9].

---

(١) في الأغاني: لو كلمت.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) في الأغاني: لصار ذراعا.
(٤) عمرو بن محمد بن سليمان مولى ثقيف، ينسب لامه بانة بنت روح، أحد مغني العصر العباسي، توفي سنة ٣٧٨هـ، انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٥/١٧٨ ـ ١٨٩.
(٥) الأصل: لا استحقاق.
(٦) الأغاني: ١٥/١٧٨.
(٧) الأصفهاني: الأغاني: ١٥/١٧٨.
(٨) في الأصل: أقول لعمر.... خافيه، والمثبت من الأغاني.
(٩) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/١٧٩.

قال: اجتمع عمرو بن بانة والحسين بن الضحاك في منزل ابن شعوف،[١] وكان له خادم يقال لــه مقحم،[٢] وكان عمرو يتهم به، فلما أخذ منهم الشراب، سأل عمرو بن بانه الحسين بن الضحاك أن يقول شعراً يغنى، فقال[٣]: [بالمنسرح]

وآبــأبــي مُـقْـحَـمٌ بـــغِـرَّتِـهِ ... قـلـتُ لـه إذا خـلـوتُ مُـكْـتَـتِـمـا[٤]

تُـحِـبُّ بـالـلـه مـن يـخُـصُّـكَ بـالــ ... ـحُـبِّ فـمـا قـال لا ولا نـعـمـا[٥]

فغنى فيه عمرو بن بانة، ولم يزل هذا الشعر غناءهم، وفيه طربهم، فأتاهم في عشيتهم إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فسألوا ابن شعوف[٦] أن لا يأذن لــه، فحجبه، وأنصرف إسحاق إلى منزله، فلما تفرقوا، مر به الحسين بن الضحاك، فأخبره بجميع ما دار في مجلسهم، فكتب في ذلك إسحاق إلى ابن شعوف[٧]: [المنسرح]

يـا ابـن شـعـوف أمـا عـلـمـت بـمـا ... قـــد صارَ في النَّاسِ كلُّهم عَلَما

آتـاكَ عـمـروٌ فـبـــاتَ لـيـلـتَـهُ ... فـــي كلِّ ما يشتهي كما زَعَمـــا

حـتـى إذا مـا الـظـلامُ خـالـطَـهُ ... سَـــرَى دبيباً يُجَامِعُ الخَدمـــا

ثُـمَّـتَ لـم يـرضَ أنْ يـفـوزَ بـذا ... سِرّاً ولكـــن أبدى الذي كتمـــا

حـتَّـى تـغـنـى لـفـرط صـبـوتـه ... صوتاً شفى من فؤاده سقَمَا[٨] [١١٨]

وآبـأبـــي مُـقْـحَـمٌ بـغُـرَّتِـهِ ... قـــلتُ لــه إذْ خَلَوْتُ مُكْتَتِما[٩]

تـحـب بـالـلـه [مـن] يـخـصـك بـالــ ... ـحب فمــــا قال لا ولا نعما[١٠]

---

(١) الأصل: أبو شعروف والمثبت من الأغاني.
(٢) في الأغاني: مفحم.
(٣) شعر الحسين: ١٠٧.
(٤) في شعر الحسين: مفحم.
(٥) الأصل: فلا قال والمثبت من شعر الحسين.
(٦) الأصل: ابن عسوف، والمثبت من الأغاني.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/١٧٩.
(٨) في الأغاني: السقما
(٩) في الأغاني: مفحم.
(١٠) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة حسب ما ورد سابقاً.

قال: فهجر ابن شعوف ابن بانة وقطع عشرته(1).

قال: جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين، وأراد أن يمتحنهم، وأخرج بدرة دراهم سبقا لمن تقدم منهم وأحسن، فحضر مخارق وعلوية وعمرو بن بانة ومحمد بن الحارث، فغنى علوية، فلم يصنع شيئاً، وتبعه محمد بن الحارث، فكانت هذه سبيله، وامتدت الأعين إلى مخارق، فبدأ مخارق فغنى(2): [مجزوء الكامل]

إنِّـي امـرؤٌ مِـنْ جُـرْهُـم   عَـمِّـي وخَـالـي مِـنْ جُـذَامِ(3)

فما نهاه(4) عمرو بن بانة من انقطاع نفسه حتى غنّى(5): [السريع]

يـا رَبْـعَ سَـلامـةَ بـالُـمـنْـحَـنَـى   بِـخَـيْـفِ سَـلْـعٍ جَـادَكَ الـوابـلُ

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً، فبكى طرباً، وقال: أحسنت والله استحقيت السبق، فإن أعطيته وإلا فخذه من مالي، يا حبيبي عني أخذت هذا الصوت، وقد والله زدت عليَّ فيه وأحسنت على غاية الإحسان، ولا يزال صوتي عليك أبداً، فقال عبد الله بن طاهر: من حكمت له بالصوت لسبق فقد حصل له، وأومأ بالبدرة فَحُمِلَتْ إلى عمرو. وقال: فلقي إسحاق، ابن راشد(6) الخناق فقال له: بلغني خبر المجلس الذي جمع فيه عبد الله بن طاهر المغنين ليمتحنهم، ولو شاء كفيته، قال: [وكيف]؟(7) قال: أما مخارق فأحسن الناس غناء إذا اتفق له أن يحسن، وقلما يتفق له ذلك، وأما محمد بن الحارث فأحسنهم شمائل وأملحهم إشارةً بأطرافه ووجهه في الغناء، وليس عنده غير ذلك، وأما عمرو بن بانة، فإنه أعلم القوم وأوفاهم، وأما علويه فمن أدخله مع هؤلاء؟(8)

---

(1) الأصفهاني، الأغاني: ١٧٩/١٥ ـ ١٨٠.
(2) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٣/١٥.
(3) في الأغاني: خيرهم بدلا من جرهم.
(4) في الأغاني: نهنهه.
(5) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/ ١٨٣.
(6) الأصل: ابن أسد والمثبت من الأغاني، وهو عمرو بن راشد الخناق.
(7) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والأضافة من الأغاني.
(8) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٣/١٥.

٤٣ ـ وَجْهُ القَرْعَة[1]

وجْه كلهُ أسارير، وصباح كُله تباشير، ورسيل قيان يقال له رفقاً سيرك بالقوارير، جار على قديم، وسار على طريق قويم، وسبق وما تخلف، وجَدَّ وما تكلفَّ، وقال كلٍّ قول يشق المسامع ويلجها، ويقع على الخواطر ويلجها[١١٩].

قال أبو الفرج الأصفهاني[2]: قال محمد بن حية: دخلنا على إسحاق الموصلي نعوده من عله كان وجدها، فصادف عنده مخارقاً وعلوية وأحمد بن [المكّي ومحمد بن][3] حمزة وجه القرعة، فعرض عليهم إسحاق أن يقيموا عنده ليفرح بهم، ويخرج إليهم ستارة يغنون من ورائها، ووضع النبيذ، فغنَّى مخارق صوتاً من الغناء القديم، فخالفه محمد بن حمزة في صناعته [وطال][4] مراؤهما[5] في ذلك، وإسحاق ساكت، ثم تحاكما إليه، فحكم لمحمد، فراجعه مخارق، فقال له إسحاق: حسبك، فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسه منه، فقال: ثم غَنَّى أحمد بن يحيى المكي[6]: [البسيط]

قُـلْ لـلـحَـمَـامَـةِ لا تَـعْـجَـلْ بـإِسـراجِ[7]

فقال محمد: هذا اللحن لمعبد، ولا يعرف له هزج غيره، فقال أحمد: أما على ما شطر أبو محمد آنفاً من أنه ليس في الجماعة أدرى بما يخرج من رأسه منك، فلا معارض لك، فقال له إسحاق: يا أبا جعفر، ما غنيتك والله فيما قلت، ولكن قد قال إنه لا يعرف لمعبد هزج[8] غيره، فأكذبه أنت بهزج آخر له مما لا يشك فيه، فقال أحمد: لا اعرف. وتمام الصوت: [البسيط]

---

(١) محمد بن حمزة بن نصير مولى المنصور الملقب بوجه القرعة، أحد المغنيين المشهورين في العصر العباسي أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٢٣٧ ـ ٢٤٠.

(٢) الأغاني: ١٥/٢٣٩.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٥) الأصل: مدامها والمثبت من الأغاني.

(٦) الأصل: الملكي والمثبت من الأغاني.

(٧) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/٢٣٩ وفيه: قل للجمانة.

(٨) الأصل: هجز والمثبت من الأغاني.

قُلْ لِلْحَمَامَةِ لا تَعْجَلْ بإسراجِ ليس الجوادُ بذاكَ السابح النَّاجي
لما دَعَا دعوةً أخرى فَأَسْمَعَني أخذتُ قَولي واستَعْجَلْتُ إدلاجي

٤٤ ـ شَارِيَة[١]

جارية بيضاء مذكورة، هيفاء ممكورة، باهت بالغناء، وتاهت تيه الحسناء، وأربت على كل مجيد، وأبرّت على كل ذات سالفة وجيد، يقال إنها ريحانة من رياحين مخزوم، وممن حار بحبها اللزوم، فكانت درة تقلدها ملك فخر بأجداده، وجمع النقيضين ببياضها وسوادِه، وكانت تفوق كل جارية، وتفوت الكواكب وهي سارية.

قال أبو الفرج[٢]: قال عيسى بن هارون المنصوري: إنَّ مولاة شارية[٣] قدمتها ببغداد لتبيعها، فعرضتها على إسحاق بن إبراهيم [١٢٠] الموصلي، فأعطى بها ثلاثمائة دينار ثم استعادها بذلك ولم يُردَّها، فَجيَ بها إلى إبراهيم بن المهدي، فعرضت عليه، فساوم بها، فقالت مولاتها: قد بذلتها لإسحاق بثلاثمائة دينار، والأمير أعزه الله أحق بها، فقال: زنوا لها ما قالت، ثم دعا بقيِّمتِهِ فقال لها: خذي هذه الجارية ولا تُرينيها سنة، وقولي للجواري يطرحن عليها، فلما كان بعد سنة، أخْرِجَتْ إليه فنظر إليها وسمعها، فأرسل إلى أسحاق وأراه إيَّاها، وأسمعه غناءها، قال: هذه جارية تباع فبكم تأخذها لنفسك؟ فقال إسحاق: آخذها بثلاثة آلاف دينار[٤] وهي رخيصة، فقال إبراهيم: أتعرفها؟ قال: لا، قال: هذه الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلاثمائة دينار فَلَمْ تقبلها، فبقي إسحاق متعجباً من حالها وما انقلبت إليه.

قال ابن المعتز: ذكر أبو يوسف بن إبراهيم المصري صاحب إبراهيم بن المهدي، أن إبراهيم وجه إلى عبد الوهاب بن عليٍّ في حاجة كانت له، قال: فلقيته وانصرفت من عنده، فلم أخرج من دهليزه حتى استقبلتني[٥] امرأة، فلما بُصرت سترت وجهها عني، فأخبرني بعض الشاكرية أن الامرأة أم شارية جارية إبراهيم، فبادرت إلى إبراهيم، وقلت : أدرك أم شارية في دار

---

(١) شارية جارية إبراهيم بن المهدي، أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٢٧١/١٦ ـ ٢٧٩.
(٢) الأغاني: ٢٧٢/١٦.
(٣) الأصل: سارقة والمثبت من الأغاني.
(٤) الأصل: بثلاثمائة دينار، والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصل: استقبلني، والمثبت من الأغاني.

عبد الوهاب، وهي من تعلم، فقال لي في جواب ذلك: أشهدتك أن جاريتي شارية صدقة مني على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد ابنه على مثل ذلك، وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دُؤَاد وإحضار من قدرت عليه من الشهود، فأحضرتهم وكانوا أكثر من عشرين شاهداً، وأمر بإخراج شارية، فأُخرجت، فقال: اسفري، فجزعت من ذلك، فأعلمها أنما أمرها بذلك لخير يريده لها، ففعلت، فقال: تسمي، فقالت: أنا شارية أَمَتُكَ، فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا، فقال: أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى، وأني قد تزوجتها وأصدقتها عشرة آلاف درهم، يا شارية مولاة إبراهيم المهدي أرضيت؟ قالت: نعم قد رضيت، والحمد لله على ما أنعم عليَّ، وأمرها بالدخول [١٢١]، وأطعم الشهود وطيبهم وانصرفوا، فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دؤاد، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي فأقراه السلام من[1] المعتصم، ثم قال لـه: يقول لك أمير المؤمنين المفترض عليَّ طاعتك، وصيانتك من كل ما يعودك،[2] إذ كنت عمي وصنو أبي، وقد رفعت امرأة من قريش قصة ذكر فيها أنها من بني زهرة صليبةً، وأنها أم شارية أمتك، وكيف تكون امرأة من قريش أمةً، فإن كانت هذه المرأة صادقة في أن شارية ابنتها، وأنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية امةً، والأصلح بك والأشبه اخراج شارية من دارك، وتصيرها عند من تثق به من أهلك، حتى نكشف ما قالته المرأة، وكان في ذلك الحظ الأوفر لك في دينك وحقك، وإن لم يصح ذلك، أعيدت الجارية إلى منزلك، وقد زال عن نفسك القول الذي لا يليق بك ولا يحسن. فقال لـه إبراهيم: فديتك، هَبْ شارية بنت زهرة بن كلاب، أتنكُر على ابن العباس بن عبد المطلب أن يكون بعلاً لها؟ قال: لا، فقال إبراهيم: فأبلغ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، أن شارية حرة، وقد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول، وقد كان الشهود بعد منصرفهم من عند إبراهيم، صاروا إلى ابن أبي دؤاد، فشم رائحة الطيب منهم، فأنكره، فسألهم عنه فاعلموه أنهم حضروا عتق[3] شارية جارية إبراهيم بن المهدي وتزوجه أياها، فركب إلى المعتصم فحدثه الحديث، فقال: ضَلَّ[4] سَعْيُ عبد الوهاب، فلما رأه يمشي في صحن الدار سد المعتصم أنف نفسه، فقال: يا عبد الوهاب إنـي أَشُمُّ رائحـة

(١) الأصل: بن والتصويب يقتضيه السياق.

(٢) في الأغاني: يعرك.

(٣) الأصل: عنه، والمثبت من الأغاني.

(٤) الأصل: حل، والمثبت من الأغاني.

صوف مُحْرَق، وأحسب عمي لم يقنعــه ردك[1] [إلا و][2] على أذنك صوفة حتى أحرقها، فشممت رائحتها منك، فقال: الأمر على ما ظن امير المؤمنين وأسمج، ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم، ابتاع إبراهيم من ميمونة شارية بعشرة آلاف درهم وستر ذلك عنها، وكان عتقه إياها وهي ملك غيره، ثم ابتاعها من ميمونة فحل له فرجها، فكان يطؤها على أنها أمةُ، وهي تتوهم على أنه يطؤها على أنها زوجته حرة، فلما توفي طلبت مشاركــة أم محمد [١٢٢] بنت خالد زوجته في المهر، فأظهرت خبرها، وسألت ميمونة وهبة الله عن الخبر فأخبرا به، فأمر المعتصم بابتياعها، من ميمونة فابيعت بخمسمائة دينار،[3] فحولت إلى داره، فكانت في ملكه إلى أن توفي[4].

قال ابن المعتز: وحدث حمدون بن إسماعيل أنه دخل على إبراهيم يوماً، فقال له: أتحب أن أسمعك شيئاً لم تسمع قط مثله، فقلت: نعم، فقال: هاتوا شارية، فخرجت فأمرها أن تغني لحن إسحاق[5]: [البسيط]

هَــلْ بــالــدِّيــارِ الــتــي أحْــبَـبْـتُـهَــا أحَــدُ

قال حمدون،: فَغُنِّي شيء لم أسمع قط مثله، فقلت: لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا قط، قلت: أتحب أن تسمعه أحسن من هذا؟ قلت: لا يكون، قال: بلى والله، تقر بذلك، فقلت: على اسم الله، فغناه هو، فرأيت فضلاً عجيباً، فقلت: ما ظننت أن هذا يفضل ذلك، هذا الفضل، قال: أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك؟ قلت: هذا الذي لا يكون أبداً، فقال: بلى والله، فقلت: هات، قال: بحياتي يا شارية قوليه وأحيلي حَلْقَكِ، قال: فَغَنَّت، فسمعت والله فضلاً بيِّناً، فأكثرت العجب، فقال: بلى والله يا أبا جعفر ما أهون هذا على السمع، تدري كم رددت عليها موضعاً في هذا الصوت؟ قلت: لا، قال: قل وأكثِر، قلت: مئة مرة؟ قال: أضعف ما بدا لك، قلت: ثلاثمائة مرة؟ قال: أكثر والله من ألف مرة، حتى قالته كذا[6].

---

(١) الأصل: ذرك والمثبت من الأغاني.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الأغاني.

(٣) في الأغاني: بخمسة الأف وخمسمائة دينار.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧٣/١٦٠ ـ ٢٧٤.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٧٤/١٦.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧٤/١٦ ـ ٢٧٥.

كانت ريق[1] تقول: إن شارية إذا اضطربت في صوت فغاية ما يكون عنده من عقوبتها أن يقيمها تغنية على رجليها فإن لم تبلغ الذي أراد، ضربت ريِّق بين يديها[2].

قال محمد بن سهل بن عبد الكريم: ثم أعطى المعتصم بشارية[3] سبعين ألف دينار[4].

قال عبد الله بن طاهر: أمرني المعتز ذات يوم بالقيام عنده، فأقمت ومدت الستاره، وغنت شارية [١٢٣] ولم أكن سمعتها قبل، فاستحسنت ما سمعت، فقال لي المعتز: يا عبد الله كيف تسمع منها عندك؟ فقلت: حظ العجب من هذا الغناء أكثر من حظ الطرب، فاستحسن ذلك، فأخبرها فاستحسنته[5].

٤٥ ـ خُلَيْدة المكِيَّة[6]

خَلَّدت لها ذكراً، وخلَّت حديثها يستحسن وإن كان نكراً، خلقت من طينة العنبر الورد وطابت أنفاساً وإن اسود، كأنما نفضت عليها صبغتها الحدق مما حدقت ناظرة إليها، إلا أنها كانت ذات ملح ما اشتملت عليها احناء ظلام، ولا مجاجة أقلام، فلهذا عشقت وما ضاعت الأعمار التي أنفقت.

قال أبو الفرج[7]: قال الفضل بن الربيع: ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خُليدة المكية.

قال عمر بن شبة: بلغني أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، أرسل إلى خليدة المكية مولاه أبا عمرو يخطبها عليه، فاستأذنها عليه فأذنت له، وعليها ثياب رقاق لا تسترها، فوثبت وقالت: إنما ظننتك بعض سفهائنا، ولكني ألبس لك لباس مثلك ثم أخرج إليك

---

(١) الأصل: برق، والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصفهاني: الأغاني: ٢٧٦/١٦.
(٣) الأصل: لشاربته، والمثبت من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧٥/١٦.
(٥) الأصفهاني: الأغاني: ٢٧٥/١٦.
(٦) خليدة المكية مولاة ابن شماس، أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٢/١٦ ـ ٣٩٣.
(٧) الأغاني: ٣٩٣/١٦.

ففعلت، ثم قالت: قل، قلت: أرسلني إليك مولاي، وهو من تعلمين ابن رسول الله وابن علي وابن عثمان، وهو ابن عم أميرالمؤمنين، يخطبك، قالت: قد نسبته فأبلغت، فاسمع نسبي، أنا بأبي أنت إن أبي بِيْعَ على غير عقد الإسلام ولا عهده، فعاش عبداً ومات وفي رجليه قيد، وفي عنقه سلسلة على الإِباق والسرقة، وولدتني[1] أمي منه على غير رشده، وماتت وهي آبقة، وأنا من تعلم، فإن أراد صاحبك نكاحاً مباحاً، أو زناً صراحاً، فَلْيَهَمَّ إلينا فنحن لـــه، فقلت: إنه لا يدخل في الحرام، فقالت: ولا ينبغي أن يستحي من الحلال، فأما نكاح السر فلا والله ما فعلته، ولا كنت عاراً على القيان أبداً، فأتيت محمداً فقال: ويلك، أتزوجها معلناً وعندي بنت طلحة بن عبيد الله، لا، ولكن ارجع إليها فقل لها تختلف إليَّ أردد بصري فيها [١٢٤] لعلي أن أسلو، فرجعت إليها فأبلغتها الرسالة فضحكت وقالت: أما هذا فنعم[2].

٤٦ ـ عَمْرو المَيدَاني[3]

مطرب مجالس، ومطري مجالس، وزند سرور قادح، وعهد حبور سلم من قادح، اقتصر على الضرب بالطنبور، فيبست العيدان، ويئست أن تحوز صنعة الميدان، ووضع لها في الأصوات ما يناسب، وقنع منها بما تيسر من المكاسب، ثم ما ضَمَّ مصروراً، ولا مضى مسروراً.

قال أبو الفرج[4]: قال علي بن أمية[5]: دخلت على عمرو الميداني، وكان له بَقَّالٌ على باب داره ينادمه ويقترض منه إذ أعسر، فوجدته عنده، فقال: يا أبا عمرو، معي أربعة دراهم اشتروا بها ما أحببتم، وعندي نبيذ، وأنا أغنيكم، والبقال يحضركم من الأبقال اليابسة مما في حانوته، فوجهنا البقال، فاشترى لنا لحماً وخبزاً وفاكهة، وجاءنا من دكانه بحوائج سكباج وبقل، فبينا نحن نتوقع فراغ القدر، إذا بفرانق يدق الباب، وقال: أجب إسحاق بن إبراهيم، فحلف علينا ألا نبرح، ومضى هو وأكلنا وشربنا، وانصرفتُ عشاءً، وبَكَرَ إليَّ رسولُهُ فصرت

---

(١) في الأصل: وولتني، والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٩٣/١٦.
(٣) من أشهر المغنيين في العصر العباسي: أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٠٥/٢٣ ـ ١٠٦.
(٤) الأغاني: ١٠٥/٢٣.
(٥) في الأصل: مية، والمثبت من الأغاني.

إليه، فقلت لـــه أعطني خبرك، قال: أُدْخِلْتُ فَوُضِعْتُ بين يدي مائدة، كأنها جزعة يمانية، قد فرشت في عراصها أنواع الأطعمة، فأكلت وسقيت رطلين، فَدُفَع إلي الطنبور، فدخلت إلى إسحاق فوجدته جالساً وخلفه ستارة وعنده مخارق وعلوية، فقال: أنت عمرو الميداني؟ فقلت: نعم، قال: أكلت؟ قلت: نعم قال: هاهنا أو في منزلك؟ قلت: بل هاهنا، قال: أحسنت، تَغَنَّ بصوتك[1]: [مجزوء الخفيف]

يـا شَـبِـيْـه الـهـلال كُـلِّـلَ فـي الأفـقِ أنُـجـمَـا

فغنيته، فضرب الستارة، وقال: قولوا أنتم، فقال لمخارق وعلوية: كيف تسمعان؟ فقال: هذا والله ذاك، وذاك هذا، وشرب عليه مراراً، ثم قال لي: أنا اليوم على خلوة ولك إليَّ عودات، فانصرف اليوم بسلامة، فخرجت ودفع إليَّ الغلام خمسة [١٢٥] آلاف درهم، هذه والله لا استأثرت عليكم منه بدرهم فلم أزل عنده نقصف بها حتى نفدت كلها.

ومنهم:

٤٧ ـ أشْعَب الطَّامِع[2]

رجل من أهل المدينة، كان يعد الوهم حقيقة، ويظن وادي العقيق عقيقة، لو رأى البرق المقتدح لحسبه طابخاً، أو الفجر الطالع في الليل لظنه لإهاب شاةٍ ملحاة سالخاً، ما خيَّمَ الضباب إلا قال هذه دخان رفَعَتْ لنا القِرىَ، وما بانت لـــه الآكام إلا قال سأستضيف بعض هذه القرى، لو قدر من طمعه لتعلق بحبال الشمس، واسترد اليوم ما فات في امس، لو حضر امرؤ القيس للزمه وتبتل، ووقف يندب عقائره التي تقتل، ولخاطف العذارى منها على لحم وشحم كهُدَّابِ الدِّمَقْس المفتل، لا يسلك في غير الخدع المطمعة الجدد، ولا يعرف من قدماء العرب إلا طابخة بن أدد، لو سئل عن فواتر الأجفان لقال لا أعرف إلا فوائر الجفان، يعجله النهم عن التسمية والحمد، ولا يحمله الشره على ملاحظة أطراف الأكيل على عمد، لو نظر إلى خيال النجوم في الغدير، لقال دعوني بلقط هذه الدنانير، أو فاته تحصيل دَرّ الهباء لعض على الأباهم، وكان على هذه الخصال التي تسود الصحف، وتخزي ما تحت اللحف،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٠٦/٢٣

(٢) أشعب بن جبير مولى عثمان بن عفان، أحد ظرفاء أهل المدينة ومغنيهم ضرب به المثل في الطمع، عُمّر عمراً طويلاً، وتوفي سنة ١٥٤هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٩٣/١٩ ـ ١٢٢.

من أقيال الغناء وأهل أقوال الطرب المعروفة لابن اللخناء، إلى نوادر لــه في الطمع، ونكت لــه كالنظافة في الطبع، وعلى هذا أصبحت الناس، وأصبح واحداً والخلق في أجناس.

قال أبو الفرج[1]: رحمة الله: كان يحكي عن أمِّهِ أنها كانت تغري بين أزواج رسول الله ﷺ، وتمشي بينهم بالنميمة، وأنها زنت فَحُلِقَتْ وطوّف بها أسواق المدينة، وكانت تنادي على نفسها: من رأني فلا يزني، فقالت لها امرأة: يا فاعلة، نهانا الله عزوجل عنه فعصيناه، نطيعك أنت، وانت مجلودة راكبة جمل؟

وقد روى الحديث عن جماعة من الصحابة، من [ذلك][2] الحديث الذي رواه عن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ قال: [١٢٦] «ولو دعيت إلى كراع لأجبت»[3].

قال المدائني: دفعت ابنة عثمان أشعب في البزازين، فقالت له بعد حول السنة أتوجهت بشئ؟ قال: نعم، توجهت وتعلمت نصف العلم، قالت: وما هو؟ [قال][4]: تَعَلّمْتُ النَّشْرَ وبَقِيَ الطَّيُّ[5].

قال المدائني، قال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة وقلت: اللهم أذْهِبْ عنِّي الحرص والطلب إلى الناس، ومررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً، فجئت إلى أمي، فقالت: مالك قد جئت خائباً، فأخبرتها، فقالت: لا والله، لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك، فرجعت فقلت: يا رب أقلني، فلم أمر بمجلس من قريش وغيرهم إلَّا أعطوني، ووُهِبَ لي غُلامُ، فجئت أمي موقراً من كل شئ، فقالت: ما هذا الغلام؟ فجئت لأخبرها فخفت أن تموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شئ؟ قلت: غين، قالت: أيش غين، قلت: لام [قالت أي شئ لام][6] قلت: ألف، قالت: أي شئ ألف؟ قلت: ميم، [قالت وأي شئ ميم][7] قلت: غلام، فَغُشِيَ عليها، ولــو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً[8].

---

(١) الأغاني: ٩٣/١٩.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة يقتضيها السياق.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٩٥/١٩ وقد أخرجه البخاري في الصحيح انظر الحديث رقم ٤٨٨٣.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٥) الأصفهاني، الأغاني:٩٦/١٩.

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٨) الأصفهاني، الأغاني: ٩٦/١٩.

قال أشعب: سمعت الناس يموجون في أمر عثمان، ثم أدركت المهدي[1].

وقال: تغدى أشعب مع زياد الحارثي فجاء بصحفة فيها مضيرة، فقال أشعب للخباز: ضع ذلك على يدي، فقال زياد: من يصلي بأهل السجن، فقالوا: ليس لهم إمام، فقال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، فقال أشعب: أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألا آكل مضيرة أبداً[2].

قال: صَلّى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم العجز والخلقه فما لبث أن أفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، يوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله، جاء أشعب فقال له: الديَّة، قال: دِيةُ ماذا؟ قال: الضرطة التـــي تحملتها، ولم يدعه حتى أخذ منه[3].

قال أبو بكر الزيني، حدثني من رأى أشعب، علق رأس كلبه وهو يضربه ويقول: تنبح للهدية، وتبصبص للضيف[4].

[١٢٧] قال: غذى أشعب جدياً بلبن أُمه وغيرها، حتى بلغ غاية، وقال لزوجته ابنة وردان: أحب أن ترضيعه بلبنك، ففعلت، ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر الصادق فقال: بالله إنه قد رضع بلبن زوجتي، حبوتك به ولم أجد من يستأهله سواك، قال: فنظر إسماعيل إلى الجدي فأعجبه، فأمر بذبحه وأُسْمِطَ، فأقبل أشعب وقال: ما عندي والله شئ ونحن من تعرف ذلك غير فائت لك، فلما أيس منه قام من عنده، فدخل على أبية جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أخلني، قال: ما معنا أحد، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فقتله وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر وقال: ويحك، وفيم؟ وتريد ماذا؟ قال: أما ما أريد فوالله مالي في إسماعيل حاجة، ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك، فجزاه خيراً وأدخله منزله، وأخرج له مئتي[5] دينار، وقال له: خذ هذه، ولك عندي ما تحب، قال: وخرج جعفر إلى إسماعيل لا ينظر ما يطأ عليه، فإذا به مسترسل فلما رأى وجه أبيه نكره وقام إليه، فقال: يا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/٩٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/٩٧.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/٩٩.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٠٢.

(٥) في الأصل: مائة والمثبت من الأغاني وما يدل عليه تالياً.

أسماعيل وفعلتها بأشعب وقتلت ولده، فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته وخبره الخبر، فأخبره أبوه بما كان منه وصار إليه، قال: وكان جعفر يقول لأشعب: رُعتني راعك الله، فيقول: روعتي في الجدي أكثر من روعتك في المائتي دينار[١].

قال: وقف أشعب على امرأة وهي تعمل طبق خوص، فقال: كبريه، قالت: ولم؟ أتريد أن تشترية؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إلي فيه شيئاً[٢].

قال المدائني: قالت صديقة أشعب لأشعب: هب لي خاتمك أذكرك به، فقال: إذكريني بأني منعتك أيّاه، فهو أحب إليّ[٣].

قال أشعب مرة للصبيان: هذا عمرو بن عثمان يقسم مالاً، فامضوا إليه، فلما أبطاؤا عليه أتبعهم يحسب أن الأمر قد صار حقاً كما قال[٤].

قال المدائني، قال رجل: رأيت أشعب بالمدينة يقلب مالاً كثيراً، فقلت لـه: ويحك، ما هذا؟ ولعلك أن تكون أيسر من الذي يعطيك، قال: إني مهرت المسألة وأخاف أن أدعها فتفلت مني[٥].

قال المدائني: قيل لأشعب: ما بلغ [١٢٨] من طمعك؟ قال: ما رأيت اثنين يتشاوران[٦] قط إلا ظننت أنهما قد أمرا لي بشئ[٧].

قال المدائني: قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل، وأنا مطلي بعذرة، فقالت: يا فاسق، هذا عملك الخبيت أراك هو الله عزوجل، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: وما هو؟ قال: رأيت أني ألطعك وأنت تلطعيني، قالت: لعنك الله يا فاسق[٨].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٠٢/١٩.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٠٣/١٩.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٠٣/١٩.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٠٤/١٩.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٠٤/١٩.
(٦) في الأغاني: يتساران.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ١٠٤/١٩.
(٨) الأصفهاني، الأغاني: ١٠٤/١٩.

قال المدائني: كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عُرف بذلك، فقالت لها جاراتها: لو سألته شيئاً فإنه موسر، فلما جاء قالت: إن جاراتي ليقلن لي: ما يصلك بشئ، فخرج نافراً من منزلها، فلم يقربها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت لــه قدحاً مملوءاً ماءً، فقالت: أشرب هذا من الفــزغ، فقال: اشربيه انت من الطمع[١].

قال المدائني: قال رجل لأشعب: لو تحدثت عندي العشية؟ فقال: أكره أن يجئ ثقيل، فقلت: أليس غيري وغيرك، قال: فإذا صليت الظهر فأنا عندك، فَصلى وجاء، فلما وضعت الجارية الطعام، إذا أنا بصديق لي يَدُقُّ الباب، فقال: ألا تراها، قد جاءنا ثقيل؟ قلت: عندي له عشرة خصال، قلت: أولها أنه لا يأكل ولا يشرب، قال: رضيت التسع خصال له، أدخله[٢].

قال المدائني: دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي رضي الله عنه وعنده أعرابي قبيح الوجه، فَسَبَّحَ أشعب حين رآه، ثم قال للحسين: بأبي أنت وأمي، تأذن لي أن أَسْلَحَ عليه؟[٣] فقال له الأعرابي: إن شئت، ومع الأعرابي قوس[٤] وكنانة، فَفَوَّق نحوه سهماً وقال: والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها، فقال أشعب للحسين: فديتك قد أخذني القولنج[٥].

قال المدائني: توضأ أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى، فقيل لــه: لِمَ تركت غسل اليمين؟ قال: لأن النبي ﷺ قال: أمتي غر محجلون من آثار الوضوء، فأنا أحب أن أكون مطلق اليمنى[٦].

قال: سمع أشعب حُبَّى المدينية وهي[٧] تقول: اللهم لا تميتني أو تغفر لي ذنوني، فقال لها: يا فاسقة، أنت لم تسأليه المغفرة، إنما سألتيه عمر الأبد[٨].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٠٤.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٠٤.
(٣) الأصل: عليك، والمثبت من الأغاني.
(٤) الأصل: فرش، والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٠٥.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٠٥.
(٧) الأصل: حُبَّى بالمدينة وهو، والمثبت من الأغاني.
(٨) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٠٥.

قال: ساوم أشعب بقوس عربية، فقال صاحبها: لا أنقصها من مئة دينار، فقال أشعب: أعتق ما تملك، لو أنها إ ذا رُمِيَ بها طائر في جو السماء [١٢٩] وقع مشوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار واحد[١].

قال: قيل لأشعب: رأيت أحداً أطمع منك؟ قال: نعم، كلب تبعني أربعة أيام على مضغ العلك[٢].

قال: لَقِيَ أشعبَ صديقٌ لأبيه، فقال له: ويحك يا أشعب، كان أبوك ألحى وأنت أثط، فإلى من خرجت، قال: إلى أمي[٣].

قال: ولما وَلَّى الرشيدُ إبراهيمَ بن المهدي دمشق بعث إلى عبيد بن أشعب، وكان قدم عليه من الحجاز وأراد أن يطرفه به فقدم عليه، قال إبراهيم: فكان يحدثني من حديث إليه بالطرائف، وعادلته يوماً وأنا خارج من دمشق في قبه على بغل لألهو بحديثه، فأصابنا في الطريق برد شديد، فدعوت بدواجٍ سَمُّور لألبسه، فَأُتِيتُ به، فلما لبسته أقبلت على ابن أشعب فقلت: حدثني بشئ مما بلغ طمع أبيك، فقال: مالك ولأبي، ها أنا حين دعوت بالديباج، فما شككت والله أنّ ما جئت به لي، فضحكتُ ثم دعوت لـه بغيره، ثم قلت لـه: لأبيك غَيْرُك من الأولاد؟ قال: كثير، قلت: عشر؟ قال: أكثر، قلت: خمسون؟ قال: أكثر، قلت: فمئة؟ قال: دع المئين وخذ الألوف، قلت: ويلك، أي شئ تقول؟ أشعب أبوك ليس بينك وبينه أب،[٤] كيف يكون له الألوف؟ فضحك ثم قال: في هذا خبر ظريف، فقلت لـه: حدثني به، قال: كان منقطعاً إلى سكينة بنت الحسين، وكانت متزوجة زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت محبة لـه، وكان لا يستقر معها، تقول لـه: أريد الحج فيخرج معها فإذا مضوا إلى مكة قالت: أريد الرجوع إلى المدينة، فإذا عادت إلى المدينة قالت: أريد العمرة، فهو معها في سفر لا ينقضي، قال عبيد بن أشعب: فحدثني أبي: كانت حلفته يميناً لا كفارة لها، أن لا يتزوج عليها ولا يتسرَّى ولا يُلِمّ بنسائه ولا جواريه إلا بإذنها، وحج الخليفة في سنة من السنين، فقال لها: قد حج أمير المؤمنين ولا بد لي من لقائه، قال: فحلف لها أنَّهُ لا يدخل الطائف، ولا يلم

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٠٥.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٠٨.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١١٠.
(٤) الأصل: أي شئ تقول، قال: ليس بينك وبينك أب، والمثبت من الأغاني.

بجواريه بعد أن قالت لــه: لا آذن لك إلا على هذا، ثم قالت: احلف بالطلاق، فقال: لا أفعل ذلك، ولكن ابعثي معي ثقتك، فدعتني وأعطتني ثلاثين ديناراً، وقالت: أخرج معه وحلفتني بالطلاق من ابنة وردان زوجتي أن لا أطلق لــه الخروج إلى الطائف بوجه ولا سبب، فحلفت لها بما أثلج صدرها، وأذنت لــه، فخرج وخرجت معه، فلما حاذينا الطائف، قال لي: يا أشعب، أنت تعرفني وتعرف [١٣٠] صنيعتي عندك، وهذه ثلاثمائة دينار فخذها وإذن لي أن أَلِمَّ بجواريَّ، فلما سمعتها ذهب عقلي، وقلت: يا سيدي، إنها سكينة، فالله الله فيّ، قال: أوتعلم سكينة الغيب؟ فلم يزل بي حتى أَذِنْتُ لــه، فمضى وبات عند جواريه، فلما أصبحنا رأيت أبيات قوم من العرب قريبة منا، فَلَبِسْتُ حِلَّةَ وشيْءٍ كانت لزيد قيمتها ألف دينار، وركبت فرسة وجئت إلى النساء، فَسَلَّمْتُ فرددن علي السلام وأجللنني وسألنني عن نسبي، فأنتسبت بنسب زيد، فحادثنني وأَنِسْنَ بي، فجاءني شيخ فسَلَّم علي وعظمني وسألني، فخبّر بنسبي فنظر إلي وقال: ما هذه خِلْقَةَ قرشيٍّ وما هو إلا عبد، ثم بادر إلى بيته، وعلمت أنه يريد شراً، فركبت الفرس ثم مضيت، ولحقني فرماني بسهم ما أخطأ قربوس السرج، وما شككت في أنه يلحقني بآخر فيقتلني، فسلحت يعلم الله في ثيابي ولوثتها ونفذ إلى الجلد فصيرها شُهرةً، وأتيت رَحْل زيد، فجلست أغسل الحُلَّة وأنشفها، وأقبل زيد فرأى[1] ما لحق بالحلة والسرج، فقال لي: ما القصة ويلك؟ فقلت: يا سيدي الصدق أنجى وأسلم، وحدثته الحديث، فأغتاظ، ثم قال: لم يكفك أن تلبس حلتي وتصنع ما صنعت، وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى أنتسبت بنسبي وفضحتني وجعلتني عند العرب ولاجاً، أنا نفيٌّ من أبي، منسوب إلى أبيك إن لم أَسُؤْكَ وأبالغ فيك، أو قال: في ذلك، ثم لقي الخليفة، وعاد فدخلنا على سكينة، فسألته عن خبره كله، فحدثها فقالت له: هل مضيت إلى جواريك؟ فقال: لا أدري، سلي ثقتك، فدعت بي فسألتني، فبدأت فحلف بكل يمين محرجة أنه ما مَرَّ بالطائف، ولا فارقني، ولا دخلها، فقال: اليمين الذي حلفها لازمة لي إن لم أكن دخلت الطائف وبت عند جواري وغسلتهن جميعاً، وأخذ مني ثلاثمائة دينار، وفعل كذا وكذا، وأراها الحلة والسرج، فقالت لِأشعب: فعلتها، أنا نفية من أبي إن لم أنفقها إلا فيما يسوؤك ثم أمرت بكبس منزلي وإحضارها وإحضار الدنانير، فأُحْضِرتُ، واشْتُري بها خشب وبيض وسِرْجِين، فعملت من الخشب بيتاً وحبستني فيه، وحلفت ألا أخرج منه حتى أحضن البيض كله، فمكث أربعين يوماً إلى أن نقب كله

---

(١) الأصل: فراح والمثبت من الأغاني.

وخرج منه فراريج كثير، فربتهن وتناسلن وكن في المدينة يسمَّين أولاد أشعب، وهن إلى اليوم بالمدينة يسمين بذلك، وتزيد على الألوف، كلهن أقاربي وأهلي، قال [٣١] إبراهيم: فضحكت والله منه ضحكاً ما أذكر أني ضحكت قدره قط، ووصلته، ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة(١).

قال: كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأولعهم، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء إلى منزل الرجل لــه لقب يغضب منه، فيقول: أنا فلان بن فلان ثم يهتف به بلقبه فيشتمه أقبح شتم، وأبان يضحك، قال: فبينا أشعب ذات يوم عند داره، إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق غضوب يتلظَّى كأنه أفعى، ويتبين الشر في وجهه، فقال أبان: هذا والله من البادية، ادعوه، فدعا به، فقيل لــه: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه، فسلم عليه، فسأله عن نسبه، فأنتسب له، فقال: حيَّاكَ الله يا خال، اجلس، فقال: إني في طلب مثل جملك هذا منذ مدة، فلم أجده كما اشتهي بهذه الهامة، وبهذا اللون والصدر والورك والأخفاف، والحمد لله الذي أظفرني به عند من أحبه، أتبيعه؟ قال: نعم أيها الأمير قال: فإني قد بذلت لك مئة دينار، وكان الجمل يساوي عشرة، فطمع الأعرابي وَسُرَّ وانتفخ وبان الطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب وقال: ويلك يا أشعب، إن خالي من أهلك وأقاربك ـ يعني في الطمع ـ فأوسع لــه ما عندك، قال: نعم بأبي أنت وأمي وزيادة، فقال لــه: يا خال، إنما زادك في الثمن على بصيرة، إن الجمل يساوي ستين ديناراً، ولكني زدتك وبذلت لك مئة، فزاد طمع الأعربي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، فأسر إلى أشعب وأخرج شيئاً مغطى وقال: أظهر ما جئت به، قال: فأخرج جرد عمامة خز تساوي أربعة دراهم، فقال: قومها يا أشعب، فقال: عمامة الأمير، تعرف به، ويشهد فيها الأعياد والجمع، ويلقى فيها الخلفاء، خمسون ديناراً، فقال: ضعها بين يديه، وقال لكاتبه: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام، ثم قال هات قلنسيتي، فأخرج قلنسية طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم، فقال: قلنسية الأمير، تعلو هامته ويصلي فيها الصلوات ويجلس للحكم، ثلاثون ديناراً، فقال: أثبت، فأثبت، ووضعت [١٣٢] بين يدي الأعرابي فتربَّد وجهه، وجحظت عيناه وهمَّ بالوثوب، وتماسك قليلاً وهو مقلقل ثم قال أبان لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا، فقال: قَوِّم، فقال: خفا الأمير

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١١١/١٩ ـ ١١٢.

يطأ بهما الروضة، ويعلو منبر النبي ﷺ أربعون ديناراً، فقال: ضعها بين يديه، فوضعها، ثم قال لبعض: الأعراب[1] أذهب فخذ الجمل، وقال الاخر: امض مع الأعرابي فاقبض ما عنده من بقية الثمن المبتاع وهو عشرون ديناراً، فوثب الأعرابي وأخذ القماش فضرب به وجه القوم، ثم قال لأبان: أتدري أصلحك الله من أي شئ أموت؟ قال: لا، قال: حيث لم أدرك أباك عثمان فاشترك والله في دمه، إذ ولد مثلك، ثم نهض مثل المجنون فأخذ بزمام بعيره، وضحك أبان حتى سقط، وكان الأعرابي إذا لقي أشعب فيقول: يا ابن الخبيثة هلم إلي حتى اكافئك على تقويمك المتاع، فيهرب منه أشعب[2]

قال: لاعب رجلاً بالنرد فأشرف على أن يقمره، إلا أن يضرب دويك، ووقع الفصان في يد الرجل فأصابه زمع، وخرج فضرب يَكَّيْن وضرط مع الضربة، فقال أشعب: عليه من امرأته الطلاق إن لم أحسب لــه الضرطة نقطة حتى يصير اليكان دُوْ يَكْ ويقمر، فسلم إليه القمر بسبب الضرطة[3].

وكانت صنعته في الغناء طيبة، فمن صنعته في شعر كثير، وهو الصوت الذي ذُكر أخباره بسببه[4]: [المتقارب]

ألا نــادِ جــيــرَانَــنَــا نــقــصــدُ	فــنــقــضــي الــلــبَــانَــةَ أو نــعْــهِــدُ
كــأنَّ عـــلـــى كَــبِــدي جَــمْـــرَةً	حِـــذَاراً مـــن الَــبــيْـــنِ مـــا تَــبْــرُدُ

توفي أشعب سنة أربع وخمسين ومئة.

٤٨ ـ يُونِس الكَاتِب[5]

كَمل بالطرب أدواته، وجعل جس العود دواته، وكانت أنامله بالوتر أليق من القلم، وأوفق بإمداد مما يمده المداد من الظلم، حَلَّق فيه تحليق الطائر، وحقق فيها ما لا يحقق من النظائر،

---

(١) في الأغاني: الأعوان.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١١٩/١٩ ـ ١٢٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٠/١٩.

(٤) الشعر لكثير، الديوان: ١٢٤.

(٥) يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، مولى عمرو بن الزبير، كاتب مدني، ومغني من تلاميذ معبد، وهو أول من صنف كتاباً في الأغاني، توفي سنة ١٣٥هـ. أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٥٢٩/٤ ـ ٥٣٣.

وأطرب من سمع، وأطرق كل مجتمع، حتى ألف أنغامه، وخلف لأنف الحاسد إرغامه، وقسم أنواع الضروب، وغال [١٣٣] الأفئدة بالأكول الشروب.

قال أبو الفرج[١]: هو أول من دون الغناء.

ويقال: إنه خرج إلى الشام في تجارة، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه، فلم يعلم يونس إلا ورسله قد دخلت عليه الخان، والوليد إذ ذلك[٢] أمير، قال: فنهضت معهم حتى أدخلوني على الأمير، لا أدري من هو، إلا أنه أحسن الناس وجهاً، فسلمت وأمرني بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجواري، فغنيت[٣]: [الخفيف]

إن يَعْش مصعبٌ فنحنُ بخيرِ ... قَدْ أتانا مِنْ عَيْشِنا ما نُرَجِّي

ثم تنبهت، فقطعت الصوت، فقال: مالك، فأخذت أعتذر من غنائي بشعر في مصعب، فضحك وقال: إن مصعباً قد مضى وانقطع أثره، ولا عداوة بيني وبينه، إنما أريد الغناء، فامض في الصوت، فعدت فيه فغنيته ولم يزل يستعيده حتى أصبح، فشرب عليه مصطبحاً، وهو يستعيد في[٤] الصوت لا يجاوزه حتى مضت ثلاثة أيام، قلت: أيها الأمير، جعلني الله فداك إني رجل تاجر، خرجت مع تجارة وأخاف أن يرحلوا فيضيع مالي، فقال: أنت تغدو غداً، وشرب باقي ليلته، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار، فَحُمِلَتْ إليَّ، وغدوت إلى أصحابي، فلما خرجت من عنده، سألت عنه، فقيل لي: هذا الأمير الوليد بن يزيد، ولي عهد أمير المؤمنين هشام، فلما استخلف بعث إليَّ فأتيته، ولم أزل معه إلى أن قتل[٥].

٤٩ ـ أحْمَد النصيبي[٦]

رجح سعداً، ونجح وعداً، وأقمر أمله، وأثمر بحسن الصنيعة عمله، وكان من رؤساء أهل الغناء، وجلساء الملوك المصغيين لمسامعهم للاجتناء، إذا استقر في المجلس تحرك، وراجع رأيه

---

(١) الأغاني: ٥٢٩/٤.

(٢) الأصل: إذا كان، والمثبت من الأغاني.

(٣) الشعر لابن قيس الرقيات، الديوان: ١٨٠

(٤) الأصل: يستعيدوني، والمثبت من الأغاني.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥٣١/٤.

(٦) كذا في الأصل: النصيبي، وفي الأغاني: النصبي، وهو أحمد بن أسامة الحمداني، من مغنيي العصر الأموي: أنظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٤/٦ ـ ٣٣٨.

زمان السرور واستدرك، وتكاثر الآباء، وتناثر الحباء، وجاءت النعم وفاقاً، والدِّيَمُ دفاقاً، واقتدحت بروح وتتوجت بأقداحها هام الراح، وتسلبت حتى الهموم القطاع، وحفظ الأدب، وأما النَّدُّ فضاع.

قال أبو الفرج[1]: هو أول من غنى بالطنبور في الإسلام، وكان ينادم عبيد الله بن زياد سراً [١٣٤] ويغنيه، وله صنعة كثيرة حسنة، كان مؤاخياً لأعشى همدان مواصلاً له، وأكثر غنائه في شعره.

يقال: لقي أعشى همدان وأحمد النصيبي خرجا في بعض مغازيهما، فنزلا على سليمان بن صالح بن سعيد بن جابر العنبري، وكان منزلـه بساباط المدائن فأحسن قراهما، وأمر لدوابهما بعلوفة وقضيم، واقسم عليهما أن ينتقلا عنده، ففعلا، فعرض عليهما الشراب فأجابا، فوُضع بين أيديهما، وجلسا يشربان، فقال أحمد للأعشى: قل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أغني فيه، فقال الأعشى يمدحه[2]: [السريع]

يا أيُّها القلبُ المطيع الهوى ... أنَّى اعتراك الطربُ النازحُ

تذكر جُمْلاً فإذا ما نأتْ ... طار شعاعاً قلبُك الطامحُ

يقول فيها:

إنِّي توسَّمْتُ إمرءاً ماجداً ... يصدقُ في مدحه المادحُ[3]

ذؤابة العنبر واخترتُهُ ... والمرء قد ينعشه الصايحُ[4]

قد عَلِمَ الحيُّ إذا أمحلوا ... إنَّكَ رفَّادٌ لهم مانحُ

في الليلة القالي قراها التي ... لا غابقٌ فيها ولا صابح

فالضيفُ معروفٌ له حَقُّهُ ... لهُ على أبوابكم فاتح

والخيلُ قد تعلمُ يومَ الوَغَىُ ... إنَّك عن جمرتها ناضح

---

(١) الأغاني: ٣٣٤/٦.

(٢) اعشى همدان، الديوان: ٣١٨ ـ ٣١٩، الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٦/٦.

(٣) في الأغاني: إني تخيرت...... مدحته.

(٤) في الأغاني: ينعشه الصالح.

قال: فغن أحمد النصيبي في هذه الأبيات، وجارية لسليم في السطح جالسة، فسمعت الغناء فنزلت إلى مولاها، فقالت: إني سمعت من أضيافك شعراً ما سمعت أحسن منه، وغناء في غنوة فيه أحسن غناء سمعته، فخرج مولاها فاستمع حتى فهم، ثم لم يزل فدخل عليهما فقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما؟ فقال: الشعر لهذا وهو أبو المصبح أعشى همدان، والغناء لي وأنا أحمد[1] النصيبي، فانَكبَّ على رأس الأعشى وأحمد فقبلهما وقال: كتمتماني أنفسكما وكدتما تفارقاني ولم أعرف خبركما، قال: فاحتبسهما عنده شهراً، ثم حملهما على فرسين وقال: [١٣٥] خَلِّفا عندي ما كلّ من دوابكما، ثم ارجعا من مغزا كما إليّ، فمضيا إلى مغزاهما فأقاما حيناً ثم انصرفا، فلما شارفا منزله قال أحمد للأعشى: إني أرى عجباً، قال: وماهو؟ قال: أرى فوق سطح سليم ثعلباً، قال: لئن كنت صادقاً، فما بقي في القرية أحُد، قال: فدخلنا القرية فوجدنا سليماً وجميع أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم، وانتقل باقيهم[2].

٥٠ ـ سُلَيْم[3]

مطرب قد هزج، ومدير سلاف لو مزج بالروح لامتزج، وكان في أمره عجباً، وبطربه لا يدع محتجباً، وفتى القيان، وأتى بما يملأ العيان، وكان هذا شحيحاً لحزاً، لا يجري دفقاً ولا نزراً، على ما كان له من وفور إدرار، وسني الجوائز التي تقر لديه كل قرار.

قال أبو الفرج[4]: قال أبو الحاجب الأنصاري: قال لي سليم يوماً: امض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادعُهُ، ووافياني مع الظهر، فجئناه الظهر، فأخرج إلينا ثلاثين جارية محسنة ونبيذاً، ولم يطعمنا شيئاً، ولم نكن أكلنا، فغمز[5] موسى غلامه، فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً، ودخلنا الكنيف، فجلسنا نأكل، فدخل إلينا، فلما رآنا نأكل خاصمنا وقال: أهكذا يفعل الناس؟ تأكلون ولا تطعموني، وجلس معنا في الكنيف يأكل كما نأكل حتى فني ذلك.

---

(١) في الأصل: همدان، والمثبت من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٥/٦ ـ ٣٣٧.

(٣) ابو عبد الله سليم بن سلام الكوفي، من مغني العصر العباسي، وأحد تلاميذ إبراهيم الموصلي: أنظر عنه: الأصفهاني، الأغاني:٤٠٠/٦ ـ ٤٠٤.

(٤) الأغاني: ٤٠٢/٦.

(٥) في الأصل: أكملنا فذهب، والتصويب من الأغاني.

قال إسحاق: غَنَّى سليم يوماً وبرصُوما يزمر عليه بين يدي الرشيد، فقصر في موضع صيحة، فأخرج برصوما الناي[1] من فمه ثم صاح: يا [أبا][2] عبد الله، صيحة أشد من هذا، فضحك الرشيد حتى استلقى، قال إسحاق: وضحكت أنا ضحكاً ما أذكر أني ضحكت قط مثله[3].

قال محمد بن الحسن: إنما أخَّر سليما عن أصحابه في الصنعة ولعُهُ بالأهزاج، فإن ثلثي صنعته هزج، وغنى سليم بين يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج فأطربه، فأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال: لو كنت حكم الوادي ما زدت على هذا الإحسان في أهزاجك شيئاً[4].

٥١ ـ ابن عَبَّاد الكَاتِب[5]

[١٣٦] جمع الصنعتين فأبدع، وفاق فيهما لكنه سَرَّ من رأى دون سروره من أسمع، كان في الغناء للخلب خالباً، وللب سالباً، وللسرور جالباً، وللهم الذي شد خناقه على الصدور غالباً، وله طُرف تُحكى، وغرائب تُروى، آثار تنقل، وأصوات تطرب.

قال أبو الفرج الأصفهاني[6]: قال ابن عباد: إني لأمشي بأعلى مكة في العشر[7]، إذا أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة، فظننت أنهما قالا له: هذا ابن عباد، فمال إليَّ فملت إليه، فقال لي: أنت ابن عباد؟ فقلت: نعم، فقال: مِلْ معي هاهنا، فأدخلني شعب ابن عامر، ثم أدخلني دهليز ابن عامر، قال: غَنِّني، قلت: أُغَنِّيك وأنت مالك، وقد كان يبلغني أنه يبكت أهل مكة، ويتعصب عليهم، فقال: بالله إلا غَنَّيتَني صوتاً من صنعتك، فاندفعت فغنيته[8]: [الوافر]

---

(١) الأصل: الناس، والتصويب من الأغاني.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤٠٠.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤٠١.

(٥) أبو جعفر محمد بن عباد مولى بني مخزوم: من مغني الطبقة الثانية في العصر العباسي أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٦) الأغاني: ٦/٤٠٥.

(٧) الأغاني: الشعب.

(٨) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤٠٥.

ألا يا صاحِبَيَّ قِفَا فَعُوجا على رَبْعٍ تَقَادَم بالمنيفِ[1]
فَأمْسَتْ دارُهُمْ شَحَطتْ وبانتْ وأضحى القلبُ يخفقُ ذا وجيف

وما غنيته إياه إلا على إحتشام، فلما فرغت نظر إليَّ وقال: والله لقد أحسنت، ولكن حلقك كأنه حلق زانية، فقلت: أما إذا أفْلَتُّ منك بهذا فقد أفلتُ. قال: وبقي ابن عباد إلى أيام المهدي، فقدم بغداد وتوفي بها في أيامه، ودفن بباب حرب[2].

٥٢ ـ يَحْيَى المكّي[3]

رابط فكر سانح، وخاطر مانح، واضطلاع فيما نقل، واطلاع على ما كان يظن أنه لم يُقَلْ، وإتقان لصنعته بجميع طرقها، ويعرف فرقها، ويؤنس غربتها، ويُحَلّي غربلتها، وأذن الخلافة مصغية إلى اجتناء الطرائف، واقتناء الشرائف، واستحسان الحسن، واستنطاق الألسن، فنفقت بضاعته، وفتقت الحجب، إلى القلوب صناعته.

قال أبو الفرج[4]: قال أحمد بن سعيد المالكي: حضرت يحيى المكي يوماً وقد غَنَّى لحناً لمالك، فسئل عن صانعه، فقال: هذا لي، فقال إسحاق: قلت: ماذا قلت، فديتك، وتضاحك به، وأخبر]١٣٧[أنه لمالك، فَغَنَّى الصوت فخجل يحيى وأمسك عنه، ثم غَنَّى بعد ساعة صوتاً آخر، فسئل عنه فنسبه إلى الغريض، فقال لـه إسحاق: يا أبا عثمان، ليس هذا من نمط الغريض ولا طريقته، فلو شئت لأخذت مالك وتركت الغريض مكانه ولم تتعب، فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه يومه، فلما انصرف بعث إلى أسحاق بألْطَافٍ وهدايا، وكتب إليه يعاتبه ويقول لـه: لست من أقرانك فتضادني، ولا أنا ممن يتصدى لمباغضتك ومباراتك فتكايدني وأنت أولى أن أفيدك وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري، فتسمو بي على أكفائك أحوج منك على أن تباغضني، وأعطي غيرك سلاحاً، سلاحاً إذا حمله عليك لم تَقُمْ لـه، وأنت أولى وما تختار، فعرف إسحاق صدقه فكتب إليه يعتذر، ورد الألطاف، وحلف لـه أنْ لا يعارضه

---

(١) في الأغاني: قليلا بدلا من فعوجا.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤٠٦/٦.
(٣) يحيى بن مرزوق المكي مولى بني أميه، من مغني العصر العباسي، توفي سنة ٢٢٠هـ. أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤٠٧/٦ ـ ٤١٧.
(٤) الأغاني: ٤٠٩/٦.

بعدها، وكان يأخذ عنه غناء المتقدمين ويستفيد منه أشياء فاق بها نظراءه، وكان يحيى بعد ذلك إذا سئل بحضرته عن شئ صدق فيه، وإذا غاب إسحاق خلط فيما سُئِلَ عنه.

قال إسحاق يوماً للرشيد قبل أن تصلح الحال بينه بين يحيى المكّي: أتحب يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء؟ قال: نعم، قال: أعطني أي شعرٍ شئت حتى أصنع فيه، وسَلْنِي بحضرته عن صانعه، فإني سأنسبه إلى رجل لا أصل له، وسَلْنِي وسل يحيى عنه إذا غنيته، فإنه لا يمنع أن يَدَّعي معرفته، فأعطاه شعراً وصنع فيه لحناً وغناه الرشيد بحضرة يحيى، فسأله: لمن هو؟ فقال له إسحاق: لعتاريس المدني، فأقبل الرشيد على يحيى، فقال له: لقيت عتاريس المدني؟[1] قال: نعم، وأخذت عنه صوتين، ثم غَنّى صوتاً وقال: هذا أحدهما، فلما خرج يحيى، حلف إسحاق بالطلاق ثلاثاً، وعتق جواريه، أن الله عزوجل ما خلق أحداً أسمه عتاريس، ولا سمع في المغنين ولا غيرهم وأنه وضع هذا الأسم في وقته[2].

قال زُرْزُر مولى علي المارقي[3]: قال إبراهيم بن المهدي يوماً لمولاي: ويلك يا مارق، إن يحيى المكي غَنّى البارحة أمير المؤمنين ذكر فيه صوتاً فيه زينب، وكان النبيذ أخذ مني فأنسيت شعره، فاستعدته إياه، فلم يعده [١٣٨] فاحتل لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك علي سَبَق، فقال لي مولاي: إذهب إليه وأعلمه أني أسأله أن يكون اليوم عندي، فمضيت إليه فجئت به، فلما قعدنا ووُضِعَ النبيذ، قال له المارقي: إني كنت سمعتك تغني صوتاً فيه ذكر زينب، وأنا أحب أن آخذه منك، وكان يحيى يوفي هذا الشأن حقه ولا يحضر إلا بحذر، ثم لا يدع الطلب والمسألة، ولا يلقي صوتاً إلا بعوض، فقال له: وأي شيء العوض إذ ألقيت عليك هذا الصوت، فقال: ما تريد؟ فقال: هات الدلية الأزمنية[4]، أما آن لك أن تملَّها؟ قال: بلى، وهي لك، قال: وهذه الظباء الحرمية، أنا مَكّيٌ وأنا أولى بها منك، قال: هي لك، وأمر بحمل ذلك إليه، وقال: غلام هات العود، فقال يحيى: والميزان والدراهم وكان لا يغني صوتاً إلا بخمسين درهماً فأعطاه إياها، وألقى عليه الصوت وهو[5]: [الطويل]

(١) الأصل: اليمني، والتصويب مما سبق.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤١٠ ـ ٤١١

(٣) الأصل: المالقي والمثبت من الأغاني ومما سيتلف.

(٤) في الأغاني: الزربية الأرمينية.

(٥) الشعر لنصيب انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤١٢.

بزينبَ ألمم قَبْلَ أن يظعَنَ الرَّكْبُ   وُقلْ إن تمليْنا فَمَا مَلّكِ القَلبُ[1]

فلم يشك المارقي أنه قد أخذ الصوت الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجته، فبكَّرَ إلى إبراهيم وقد اخذ الصوت، فقال: جئتك بالحاجة، فدعا بالعود، فغناه إياه، فقال: لا والله، ما هذا هو، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه، قال زُرْزُر: فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً، فلما دخل إليه وأكلا وشربا، قال لـــه يحيى: قد واليت بين دعوتك لي ولم تكن براً ولا وصولاً، فما هذا؟ قال: لا شئ والله إلا محبتي لك، والأخذ عنك والاقتباس منك، فقال: سَرَّك الله، فَمَهْ؟ قال: تذكرت الصوت الذي سألتك إياه، فإذا ليس هو الذي ألقيته، قال: فتريد ماذا. قال: تذكر الصوت، قال: أَفْعَلُ، ثم غناه: [2] [البسيط]

ألْمِمْ بزينبَ إنَّ البينَ قَدْ أَفدا   قَلَّ الثَّواءُ لئنْ كان الرَّحيلُ غَداَ

فقال: نعم، فديتك يا [أبا][3]عثمان، هذا هو، فألقِهِ عليَّ، قال: العوض؟ قال: ما شئت، قال: هذا المطرف الأسود، قال: هو لك، فأخذه وألقى عليه الصوت حتى استوى له، وبكَّرَ إلى إبراهيم فقال له: ما وراءك؟ قال: قد قضيت الحاجة، فغناه إياه، فقال: خدعك والله، ليس هو هذا، فأعِدَّ الاحتيال عليه، وكلما تعطيه إياه فألزمني به، [١٣٩] فلما كان في اليوم الثالث، بعث إليه، وفعل مثل فعله بالأمس، فقال لـــه يحيى: مالك أيضاً؟ فقال: يا أبا عثمان، ليس هذا هو الصوت الذي أردت، قال لـــه: لست أعلم ما في نفسك فاذكره، وإنما علي أن أذْكُرَ ما فيه زينب من الغناء كلما التمست حتى لا تبقى زينب البتة إلا حضرت بها، قال: هات على اسم الله تعالى، [قال][4]: اذْكرِ العوَض، قال: هذه الدَّراعة الوشي التي عليك، فأخذها، قال: والخمسين درهما، فأحضرت، فأخذها وألقى عليَّ[5]: [الطويل]

لِزَينبَ طيفٌ تَعْتَريني طوارِقُهْ   هُدَّواً إذا النجمُ أرْجَحَنَّتْ لواحِقُهْ

فأخذه ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الُحرَم، فقال له حاجبه: ما تصل إليه، فقال له: قل له قد جئتك بحاجتك، فدخل فأعلمه، فقال: يدخل فيغنيه في الدار قائماً، فإن

(١) في الأغاني: قبل أن يرحل.

(٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة، الديوان ٣٩١.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٥) الشعر لمحمد النميري، الأصفهاني، الأغاني: ٤١٢/٦.

كان هو، وإلا فليخرج، قال: ففعل ذلك، فقال: لا والله ما هو هذا، فعاود الاحتيال عليه، ففعل مثل ذلك، فقال لـه يحيى وهو يضحك: ما ظفرت بزينبك بعد؟ قال: لا والله يا أبا عثمان، وما أشُكُّ إلا أنك تعدني بالمدح مما أريده، وقد أخذت كل شئ عندي معابثةً، فقال لـه يحيى: قد استحييت الآن منك وأنا ناصحك على شريطة، قال: نعم، قال: الشريطة أن لا تلمني أن أعاتبك لأنك أخذت في معاتبتي والمطلوب إليه أقدر من الطالب، فلا تعاود أن تحتال عليَّ فإنك لا تظفر بما تريد قد دَسَّكَ إبراهيم عليَّ لتأخذ صوتاً غنيته، وسألني إعادته فمنعته إياه، بخلاً عليه به، لأنه لم يلحقني منه خير ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً وطمع بموضعك عندي أن يأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد، لا والله، إلا بأوفر ثمن وبعد اعترافك، وإلا فلا تطمع في الصوت، فقال لـه: أما إذا قد فطنت فتغنه الآن إن كان هو، وإلا فعليك إعادته بعينه ولو غَنَّيْتَني كُلَّ شئ تعرفه لما أحسنت لك إلا به، فقال: اشتره، فتساومنا طويلاً، وماكستُهُ إلى أن استقرَّ الأمر على ألف درهم، فدفعتها إليه، وألقى[1]: [الكامل]

طَـرَقَـتْـكَ زيـنـبُ والـمـزارُ بـعـيـدُ ... بـمـنـى ونـحـنُ مُـعَـرِّسُـونَ شـهـود[2]

فـكـأنَّـمـا طَـرَقَـتْ بـرَيَّـا رَوْضَـةٍ ... أُنُـفٍ تـسـجُّـحُ مُـزْنُـهـا وتـجـودُ[3]

[١٤٠] قال: وهو صوت كثير العمل، حلو النغم، كثير الصنعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع، فأخذه وبكَّرَ إلى إبراهيم، فقال له: قد أفقرني هذا الصوت وأعراني وأبلاني بوجه يحيى وشحه وشرهه، وحدثته بالقصة، فضحك إبراهيم، وغناه إياه، فقال: هو هذا وأبيك هو بعينه، فألقاه عليه حتى أخذه، وأخلف كل شئ أخذه يحيى منه، وزاده خمسة آلاف درهم، وحمله على برذون أشهب بسرجه ولجامه، وقال لـه: يا سيدي، فغلامك زُرْزُر المسكين قد تردد إليه حتى ظلع، هَبْ له شيئاً، فأمر له بألف درهم[4].

قال: كان إبراهيم بن المهدي في مجلس محمد الأمين، والمغنون حضور، فَغَنَّى يحيى المكي[5]: [مجزوء الوافر]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٣/٦.

(٢) في الأغاني: معرسون هجود.

(٣) في الأغاني: أنف تسحسح.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤١١/٦ ـ ٤١٣.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٣/٦.

خَـــلِـيـــلٌ لـــي أهِــيْــمُ بِــهِ فَـــلا كَـــافَـــأ ولا شَـــكَـــرا

فاستعاده إبراهيم وأحب أن يأخذه، فجعل يحيى المكي يفسده، وفطن الأمين بذلك، فأمر لــه بعشرين ألف درهم وأمره برده وترك التخليط فيه، فدعا لــه، وقَبَّل الأرض بين يديه، وردَّد الصوت وجَوَّده، فاستعاده إبراهيم، فقال له يحيى: ليست تطيب نفسي لك به إلا بعوض من مالك، ولا أنصحك والله، فهذا مال أمير المؤمنين مولاي فلم تأخذ أنت غنائي، فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم، فأحضره وقَبَّلَ يحيى يده، فأعاد الصوت وجوَّده، فنظر إلى مخارق وعلوية متطلعين لأخذه، فقطع الصوت، ثم أقبل عليهما فقال: قطعة من خصية الشيخ تُغَطّي أسْتَاهَ عدة صبيان، والله لا أعدته بحضرتكما، ثم أقبل على إبراهيم بن المهدي، فقال له: يا سيدي، أنا أصير إليك حتى تأخذه متمكناً، ولا يشركك فيه أحد، فصار إليه فأعده حتى أخذه، وأخذه جواريه[1].

قال: غَنَّى ابن جامع للرشيد يوماً بيتاً، وهو هذا[2]: [الكامل]

إنِّــي امــرُؤ مــالــي يَــقِــي عِــرْضِــي ويَــبَــيْــتُ جــاري آمــنــاً جَــهْــلِــي

فأعجب به الرشيد، فاستعاده مراراً وأسكت ابن جامع سائر المغنين، وجعل يسمعه ويشرب عليه، ثم أمر لــه بعشرة آلاف درهم، وعشر خلع، وعشرة خواتم، وانصرف فمضى إبراهيم الموصلي من وجهه إلى يحيى المكي، فأخبره بالذي كان [١٤١] من ابن جامع، واستغاث به، فقال لــه يحيى: أفزاد على البيت الأول شيئاً.؟ قال: لا، قال: أفرأيت إن زدتك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل، أو عرفه ثم أنسيه، وطرحته عليك حتى تأخذه، ما تجعل لي؟ قال: النصف مما يصل إلي بهذا البيت، قال: والله؟ قال: والله، فلما استوثق منه بالأيمان، ألقى عليه[3]: [الكامل]

وأرى الــذَّمَــامَــة لــلــرفــيــقِ إذا ألــقــى رحــالــتَــهُ إلــى رَحْــلِــي

فأخذه وانصرف، فلما حضر المغنون من غد، كان أول صوت غَنَّاهُ إبراهيم هذا الصوت، وتحفَّظَ فيه وأحسن فيه كل الإحسان، فطرب الرشيد عليه واستعاده حتى سكر، وأمر

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤١٣.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤١٦.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤١٦.

لإبراهيم بعشرة آلاف دينار، وعشرة خواتيم وعشر خلع، فحمل ذلك معه وانصرف من وجهه إلى يحيى، فقاسمه ومضى إلى منزله، وانصرف ابن جامع إليه من دار الرشيد، وكان يحيى في بقايا علة، فاحتجب عنه، فدفع ابن جامع في صدر بوّابِهِ، ودخل إليها، وقال: إيه يا يحيى، كيف صنعت، ألقيت الصوت على الجرمقاني، لا دفع الله ضر عنك، ولا وهب عافيتك، وتشاتما ساعة، وخرج ابن جامع من عنده وهو مُدّوَّخٌ[1].

قال يحيى المكي: أرسل اليَّ الرشيد، فدخلت عليه، وهو جالس على كرسي بِتَلٍّ دارا، فقال: يحيى غني[2]: [الطويل]

مَتَى تَلْتَقِي الأُلأَف والعِيسْ كُلَّما تَصَعَّدْنَ مِنْ وادِ هَبَطْنَ إلى وادِ

قال: فلم أزل أُغَنِّيه، ويتناول أقداحاً، إلى أن أمسى، فعددت عليه عشر مرات استعاده فيها، وشرب عليه عشرة أقداح، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، وأمرني بالانصراف[3].

٥٣ ـ حَكَم الوَادِي[4]

تنقل في فنون الطرب، وتوقل الرجال في الطلب، وكان مثل حمامة الوادي طرباً، يصدع زجاجة الأحشاء، ويكون حاجة الأنتشاء، ويفعل في هذا شبيه السحر في التخييل، ونظيره في التضليل، ومثلة في تحصيل الأباطيل، وكان على اتفاق، وعمله كله على النفاق.

قال أبو الفرج[5]: قال إسحاق: سمعت حكم الوادي يُغنِّي صوتاً فأعجبني، فسألته: لمن هذا؟ قال: ولمن يكون إلا لي.

[١٤٢] قال: وغنَّى حكم الوادي يوماً فقال له رجل: أحسنت، فألقى الدف بين يديه وقال للرجل: قبحك الله، أتراني مع المغنين منذ ستين سنة [وتقول لي أحسنت][6]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٦/٦ ـ ٤١٧.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٤/٦.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٤/٦.
(٤) الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك: توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٠/٦ ـ ٤٨٥.
(٥) الأغاني: ٤٨٢/٦.
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني، والخبر في الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٢/٦.

قال إسحاق: أربعة بلغوا في الإحسان في أربعة أجناس مبلغاً قصر عنهم[1] غيرهم، معبد في الثقيل الأول، وابن سريج في الرمل، وحكم في الهزج، وإبراهيم في الماخوري[2].

ويقال: إن حكم الوادي غَنَّى في الأهزاج في آخر عمره، فلامه ابنه على ذلك وقال: بعد الكبر تغني غناء المخنثين، فقال: اسكت فإنك جاهل، غَنَّيْتُ الثقيل ستين سنة فلم أفِدْ إلا القوت، وغنيت الأهزاج منذ سنين فأكسب ما لم تر مثلة قط[3].

قال يحيى بن خالد: ما رأينا فيمن يأتينا أحد من المغنين أجود أداء من حكم الوادي، وليس أحد يسمع منه غناء إلا وهو يغيره ويزيد فيه وينقص، إلا الحكم، فقيل لحكم ذلك، فقال: إني لست أشرب، وهؤلاء يشربون، فإذا شربوا تَغَيَّرَ غناؤهم[4].

٥٤ ـ عُمَر الوادِي[5]

رجل نغمه بالطرب موصول، وإلى خلب الكبد له وصول، لو مَرَّ به السيل المنحدر لوقف وأنصت، أو الطير في جو السماء لخرس وما صَوَّت، مع حسن صنعةٍ لا يدخل الخلل ضروبها، ولا يكون بلوغ الأمل ضريبها، ولا يتم سرور المجالس إلا إذا سمع منه في جنباتها، وطلع عُودُهُ الغصين في جنباتها، فكان مجنى المحاضر، ومنى السامع والناظر.

قال أبو الفرج[6]: اتصل بالوليد بن يزيد فتقدم عنده، وكان يسميه جامع لذاتي ومحيي طربي، وقتل الوليد وهو يغنيه، وكان آخر الناس عهداً به.

وقيل إن الوليد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رُقَيَّة، وكان ضعيف العقل[١٤٣] وكان يملي المصحف على [أم][7] الوليد، فقال الوليد لعمر وقد غَنَّاه صوتاً:

---

(١) الأصل: عندهم والتصويب من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٢/٦.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٣/٦.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٣/٦.

(٥) عمر بن داود زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان، أحد مغني العصر الأموي. أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ٦٢/٧ ـ ٦٥.

(٦) الأغاني: ٦٢/٧.

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

أحسنت والله يا جامع لذاتي، وأبو رُقية مضطجع، وهم يحسبونه نائماً، فرفع رأسه إلى الوليد وقال له: أنا جامع اللذات لأمك، فغضب الوليد وهَمَّ به، فقال لـه عمر الوادي: والله ـ جعلني الله فداك ـ ما يعقل أبو رقية وهو سكران، فأمسك عنه، قال عمر الوادي: بَيْنَا أسيرُ ليلة بين العرج والسُّقْيَا، إذ سمعت إنساناً يغني غناءً لم أسمع قط أحسن منه، وهو هذا[1]: [الطويل]

وكـنـت إذا مـا جِـئـْتُ لـيـلـى بـأرضـهَـا ... أرَىَ [الأرض] تُطْوَى لي ويدنُو بعيْدُها[2]

مَـنَ الـخـفـراتِ الـبـيـضِ ودّ جَـلِـيـسُـهـا ... إذا ما انْقَضَـتْ أُحْـدوثَةٌ أن تَعِيْدَها

فكدت أسقط من ناقتي طرباً، فقلت: والله لألتمسن الصوت والوصول إليه ولو بذهاب عضو من أعضائي، فقصدت نحو الصوت حتى ذهبت من الشرف، وإذا أنا برجل يرعى غنماً، فإذا هو صاحب الصوت، فأعلمته الذي قصدني إليه، وسألته إعادته عليَّ، فقال: والله لو كان عندي قِرىً لما فعلت، ولكني أجعله قِراكَ، فربما ترنمت به وأنا جائع فأشبع، وكسلان فأنشط، ومتوحش فآنس، فأعاده عليَّ مراراً حتى أخذته، فوالله ما كان لي كلام غيره حتى دخلت المدينة، ولقد وجدته كما قال[3].

قال عمر الوادي: خرج إليَّ الوليدُ بن يزيد يوماً، وفي يده خاتم فضه وعليه ياقوت أحمر، فقال لي: أتحب أن أهبه لك؟ قلت: نعم والله يا مولاي، فقال: غن في هذه الأبيات التي أنْشِدُكَهَا، وأجْهَدْ نفسك، فإن أصبت إرادَتي فهنيئاً لك، فقلت: أجهد وأرجو التوفيق، فقال[4]: [مجزوء الوافر]

ألا يُـسْـلِـيْـكَ عـن سَـلْـمـى ... قَـتِـيُـر الـشَّـيْـبِ والـحِـلْـمُ

وأنَّ الـشَّـك مُـلْـتَـبِـسٌ ... فـلا وَصْـلٌ ولا صـرْمُ

وكـيـف بـظـلـم جـاريـةٍ ... ومـنـهـا الـلـيـنُ والـرُّحْـمُ

فخلوت في بعض المجالس، وما زلت أديره حتى استقام، ثم خرجت إليه وعلى رأسه وصيفة وبيدها كأس، وهو يروم شربه فلا يقدر خُماراً، فقال: مـا صنعت؟ قلت: قد [١٤٤]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٧٦٣/٧.

(٢) في الأغاني: سعدى، وما بين الحاصرتين من الأغاني.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٦٣/٧.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٦٤/٧.

فرغت ما أمرت به، وغنيته، فصاح: هذا والله، ووثب قائماً، وأخذ الكأس وقال: أعد فديتك، فأعدته عليه، فشرب ودعا ثانياً وثالثاً ورابعاً، وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط، وجلس ونزع الخاتم والحلة التي كانت عليه، وألبَسَنِيْهَا وأجلسني في حجره وقال: والعظيم لا أتبرح هكذا حتى أسكر، وما زلت أعيده ويشرب حتى مال على جنبه سكراً ونام[1].

٥٥ ـ أحَمَدُ بنُ يَحْيَى المَكّي[2]

أطنب فأطرب، وأعرب فأغرب، وجمع شتى الأصوات وزيَّنَهَا بالغرائب وحسَّنها، وانهل منه صيِّبٌ لا يعرف الإمساك، وتدفق سكوب لو كنت تتذكر معه البحر لأنساك، تقدم في أهل صناعته حتى كان لا يراهم إلا إذا التفت، وفرع منهم حاجة الجلساء حتى تمسكت به فاكتفت.

قال أبو الفرج[3]: قال جحظة: حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّي، قال: ناظر أبي بعض المغنيين ليلة بين يدي المعتصم وطال تلاحيهما في الغناء، فقال للمعتصم: يا امير المؤمنين، من شاء منهم فليُغَنِّ عشرة أصوات لا أعرف فيها ثلاثة، وأنا أغني عشرة وعشرة وعشرة، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها، فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين، واتبعه ابن بسخنر وعلوية، فقالا: صدق إسحاق يا أمير المؤمنين، فأمر لـه بعشرة آلاف درهم. قال محمد: ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظِتِه يوماً، فقال: قد دعوتك إلى النصفة فلم تقبل، وأنا أبدأ بما دعوتك إليه، فاندفع فَغَنَّى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منهم صوتاً واحداً، كلها من الغناء القديم، والغناء اللاحق به صنعة المكييّن الحُذَّاق الخاملي الذكر، فاستحسن المعتصم منها صوتاً، فأسكت المغنين لـه، وأعاده مرات وهو يستعيده، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه، وأمر لـه بألفي دينار، وخلع عليه وعلى جماعته الندماء مماطر لها شأن من ألوان شتى، فسأل عبد الوهاب بن علي أن يرد عليه الصوت [١٤٥] ويجعل لـه مِمْطَرَهُ، فَغَنَّاهُ إياه، فلما خرجوا للانصراف أمر غلمانه بدفع الصوت والممطر إلى غلمان أبي، فسلموه إليه.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٦٤/٧ ـ ٦٥.

(٢) ابو جعفر احمد بن يحيى بن مرزوق المكي، صاحب كتاب المجرد في الأغاني، أنظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٤٧٦/١٦ ـ ٤٧٩.

(٣) الأغاني: ٤٧٧/١٦.

والصوت(1): [الخفيف]

لعنَ اللهُ مَنْ يلومُ مُحِبّاً	ولحىَ اللهُ مَنْ يُحِبُّ فَيأبىَ
رُبَّ إلفين أظهرا الحُبَّ دَهراً	فَعَفَا اللهُ عنهما حينَ تَابَا

٥٦ ـ بَذْل(2)

جارية نقصت البدور المقمرة، واستنقصت فيها القناطر المقنطرة، وتحاسدت عليها الملوك أصحاب الأسرة، واهتبلت فيها الغِرَّة، وسخت فيها النحر بمنى، وأمحت بمماثلة طيبها المسك فأصبح تحت الفهر ممتهناً، وكانت رأساً في الطرب، إلا أنه بالتاج مُعْتصب، ولهوى الخلفاء مغتصب، وبرزت على كل ذات قناع، وأخذت القلوب بلا امتناع، وكانت أعلام الغناء نكرات لديها، ومنكرات لا تصل إليها، يعترف لها مثل ابن المهدي، ويعترض عليها حتى تحضر معها في الندي، وكان لا يرى بنو العباس غير فنيتها شرفاً، ولا يعد أدنى هون الرشيد في سواها إلا سرفاً.

قال أبو الفرج(3): كانت حلوة الوجه ضاربة متقدمة، وابتاعها جعفر بن موسى الهادي وأخذها منه محمد الأمين، وكانت قد وصفت له فبعث إلى جعفر يسأله أن يريه إياها فأبى، فزاره إلى منزله فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فقال لجعفر: بِعنِي يا أخي هذه الجارية، فقال: يا سيدي مثلي لا يبيع جارية، فقال: هبها لي، فقال: هي مدبَّرة، فاحتال عليه محمد حتى أسكره، وأمر ببذل فحملت معه إلى الحُرَّاقة وانصرف بها، فلما انتبه جعفر سأل عنها، فَأُخْبِرَ بخبرها، فسكت، فبعث إليه محمد من الغد، فجاءه وبذْلُ جالسة فلم يقل له شيئاً، فلما أراد جعفر الانصراف قال: أوقروا حراقة ابن عمي دراهم، فكان مبلغ ذلك عشرين ألف ألف درهم، قال: وبقيَتْ بَذْلُ في دار محمد إلى أن قُتِلَ، ثم خرجت، وكان ولد محمد يدعون ولاءها، فلما ماتت ورثها ولد عبد الله بن [١٤٦] محمد الأمين.

وقيل: كان محمد الأمين قد وهب لها من الجوهر شيئاً لم يكن يملك أحد مثله، فَسَلِمَ

---

(1) الأصفهاني، الأغاني: ٤٧٨/١٦.

(2) بذل، جارية صفراء مولدة من مولدات المدينة، صنفت كتاباً في الأغاني. مغنية من مشاهير مغنيات العصر العباسي انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٥٣/١٧ ـ ٥٦.

(3) الأغاني: ٥٣/١٧.

لها، فكانت تُخْرِجُ منه الشئ فتبيعه بالمال العظيم، إلى أن ماتت[1].

وكان إبراهيم بن المهدي يعظمها ويتوافى لها، ثم تغير بعد ذلك، استغنى بنفسه عنها، فعلمت ذلك وصارت إليه، ودعت بعود وغنَّتْ في طريقة واحدة وإيقاع واحد مئة صوت، لم يعرف إبراهيم منها واحداً ووضعت العود وانصرفت، فلم تدخل داره حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها في الرجوع إليه[2].

قال أحمد بن شعيب[3] المكي: خالف بذلاً إسحاق في صوت غَنَّتْهُ بحضرة المأمون، فأمسكت عنه ساعة، ثم غَنَّتْ ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني، واحداً بعد واحد، وسألت إسحاق عن صانعها، فلم يعرفه، فقالت[4] للمأمون: هي والله يا أمير المؤمنين لأبيه أخذتها من فيه، فإذا كان لا يعرف غناء أبيه، فكيف يعرف غناء غيره، فاشتد[5] ذلك على إسحاق حتى بان فيه[6].

قال: وذكر أن المأمون كان قاعداً يوماً يشرب، ومعه قدح، إذ غَنَّتْ بذلُ[7]: [الطويل]

أَلَا لَا أرىَ شَـيْـئَـاً ألَـذَّ مِـنَ الـوعـدِ ... ومِـنْ أمـلِـي فـيـهِ وإن كَـانَ لا يُـجْـدِي

فجعلته:

أَلَا لَا أَرى شَـيْـئَـا أَلَـذَّ مِـنَ الـسَّـحْـقِ

فوضع المأمون القدح من يده، والتفت إليها، فقال: بَلَى، النَّيْكُ ألَذُّ من السَّحْقِ، فَتَشَوَّرَتْ وخافت غضبه، فأخذ قدحه وقال: أتمي صوتك وزيدي فيه[8]:

وَمِـنْ غَـفْـلَـةِ الـواشـي إذا مـا أتـيْـتُـهَـا ... وَمِـنْ زَوْرَتـي أبـيـاتَـهَـا خـالـيـاً وَحْـدِي

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥٤/١٧.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥٥/١٧.
(٣) في الأغاني: سعيد.
(٤) الأصل: فقال.
(٥) الأصل: فأنشد والمثبت من الأغاني.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٥٥/١٧.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٥٦/١٧.
(٨) الأصفهاني، الأغاني: ٥٦/١٧.

وَمِنْ ضِحْكةٍ في الْمُلْتَقَى ثم سَكْتَةٍ وكِلْتَاهُمَا عِنْدي ألَذُّ مــن الخُلْدِ[1]

٥٧ ـ عَزَّةُ المَيْلاء[2]

وضُرّة الظبية الكحلاء، كان بيتها مأوى كل شريف، ومثوى كل ظريف، ونَدِيَّ كل ذي كلفٍ نزح به الغرام، وقرح جفنه وأدماه حب الآرام، أقامت بالمدينة وفتية قريش تغشى معهدها المعمور، وترى مشهدها من مهمات الأمور، وأدركت من الأول السلف قوماً شرفت برؤياهم، ولزمت [١٤٧] بهم، ومن الطوالع الشموس بأن تلحق بأُخْرَاهُم.

قال أبو الفرج[3]: قال يونس: كان ابن سريج في حداثته يأتي المدينة فيسمع من عزّة ويتعلم غناءها، وكان إذا سئل: من أحسن الناس غناءً؟ قال: مولاة الأنصار المفضله على كل من غَنَّى وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء.

وكان عبد الله بن جعفر، وابن أبي عتيق، وعمر بن أبي ربيعة، يغشونها في منزلها فتغنيهم، وغنت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شئ من شعره، فَشَقّ ثيابه، وصاح صيحة عظيمة صعق منها، فلما أفاق قال لــه القوم: لغيرك الجهل يا أبا الخطاب، قال: إني سمعت والله ما لم أملك به نفسي ولا عقلي[4].

قال خارجة بن زيد: دعينا إلى مأدبة في آل نبيط فحضرتها وحسان بن ثابت، فجلسنا معاً على المائدة، وهو يومئذ قد ذهب بصره، ومعه ابنه عبد الرحمن، وكان إذا أُتِي بطعام سأل: أطعام يد أو يدين؟ يعني باليد الثريد، وباليدين الشواء، إلا أنه يمسُّ مَسّاً[5]، فإذا قيل لــه طعام يد أكل، وإذا قيل[6] يدين أمسك يده، فلما فرغوا من الطعام أُتِيَ بجاريتين مغنيتين أحدهما

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥٦/١٧.
(٢) عزة الميلاء مولاة الأنصار أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز، انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٠٧/١٧ ـ ١١٧.
(٣) الأغاني: ١٢٠٧/١٧ ـ ١٠٨.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٠٨/١٧.
(٥) كذا في الأصل، وفي الأغاني: لأنه ينهش نهشاً.
(٦) الأصل: قال.

ريقه[1] والأخرى عَزَّةُ، فجلستا وأخذتا مزهريهما وضربتا ضرباً عجباً غنيّا بقول حسان[2] [المنسرح]

انظر نهاراً بباب جلَّقَ هَلْ   تؤنسُ دون البلقاءِ مِنْ أَحَدِ[3]

فأسمع حسان يقول: قد أراني هناك سميعاً بصيراً، وعيناه تدمع، فإذا سكتتا سكت عنه البكاء، فإذا غنتا بكى، فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سكت يشير إليهما أن تغنيا فَيُبْكِي أباه[4].

قال: كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والفقه، وكان يغشى عبد الله بن جعفر، فسمع جارية لبعض النخاسين تغني[5]: [البسيط]

بَانَتْ سعادُ وأضحى حبلها انقطعا

فاشتهر بها وهام، وترك ما كان عليه، حتى مشى إليه عطاء وطاوس[6] فلاماه، فكان جوابه أن تَمثَّل بقول [١٤٨] الشاعر[7]: [البسيط]

يُلُومُنِي فيكِ أقوامٌ أُجَالِسُهُم   فَمَا أُبَالِي أطَارَ النَّوْمُ أم وَقَعَا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبره، فبعث إليه النخاس، فاعترض الجارية، وسمع غناءها بهذا الصوت، وقال لها: ممن أخذتيه، فقالت: من عزّة الميلاء، فابتاعها بأربعين ألف درهم، ثم بعث إلى الرجل، فسأله عن خبره، فأعلمه أياه وصدقه عنه، فقال: أتحب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذت عنه تلك الجارية، قال: نعم، فدعا بعزة الميلاء وقال: غنِّيه إياه، فغنَّتْهُ، فصعق الرجل، وَخَرَّ مغشيا عليه، فقال ابن جعفر: أَثِمْنَا فيه، الماءَ الماءَ، فنضح على وجهه، فلما أفاق قال: أكل هذا بلغ بك عشقها؟ فقال: وما خَفي عليك أكثر، قال: أتحب أن تسمع منها، قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها، فكيف يكون حالي إن سمعته منها، وأنا لا أقدر على

---

(١) في الأغاني: رائقة.

(٢) الديوان: ٢٧٩.

(٣) في الديوان: انظر خليلي.... تبصر

(٤) الأصفهاني: الأغاني: ١٠٩/١٧.

(٥) الأعشى، الديوان: ١٠١.

(٦) الأصل: وطاش، والمثبت في الأغاني.

(٧) الأصفهاني، الأغاني: ١١٥/١٧.

ملكها، قال: أفتعرفها إن رأيتها؟ قال: أوأعرف غيرهافأمر بها فَأُخْرِجَتْ، وقال: خذها فهي لك، والله ما نظرت إليها إلا عن عرض، فقبل الرجل يديه ورجليه، وقال: أنمت عيني، وأحْيَيْتَ نفسي، وتركتني أعيشُ بين قومي، ورددت إليَّ عقلي، ودعا له دعاءً كثيراً، فقال: ما أرضى أن أعطيها هكذا، يا غلام احمل معه مثل ثمنها لكي تهيم بك، وتهيم بها[1].

٥٨ ـ فِنْد مَوْلَى عَائِشَة[2]

جُمْلَةُ عجز، وصدر صَد، وحَجَرٌ أَشَدُّ من مرزمة الإبل توانياً، وأعظم من مكدية الأمل تفانيا، أبطأ من الخيل نهوضاً، وأطول من كلب أهل الكهف ربوضاً، لو سابقه المقيد في الوثاق لسبقه، والطائر المقصوص الجناح لبلغ قبله طلقه، يرى المخالفة طاعة، والسنة تمضي بتمامها، إذا أسرع في الحاجة ساعة، إلى تخلف عن كل خير وتَوانٍ إلا في فِنْدٍ يُحَثُّ إليه السير، وقبح فعلة، بقيت بقاء الأبد، وعمرت أكثر من نسور لبد، وشؤم طلعة، وكساد سلعة، إلا أنه ممن ألحفه الأصفهاني الجناح، وذكَّر فغدا أو راح.

قال أبو الفرج[3]: كان يجمع بين النساء والرجال في منزله، فلذلك[4] يقول فيه عبيد الله بن قيس الرقيات[5]: [١٤٩] [الخفيف]

قُـلْ لِـفِـنْـدٍ يُـسَـيِّـرُ الأظـعـانـا ... طـالـمـا سَرَّ عَـيْـشَـنَـا وكَـفَـانَـا
صـادراتٍ عـشـيَّـةً مـن قُـدَيْـد ... وارداتٍ مَـعَ الـضُّـحـى عُـسْـفَـانـا

وبه يضرب المثل في الإبطاء.

قال: أرسلته عائشة بنت سعد ليجيئها بنار، فخرج لذلك، فلقي عيراً خارجة إلى مصر، فخرج معهم، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ودخل على عائشة وهو يعدو، فسقط وقد قرب منها، فقالت: تعست العجلة.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١١٥/١٧ ـ ١١٦.
(٢) أبو زيد فند مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، مغنٍ خليع، كان يجمع النساء والرجال في منزله، أنظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٧٧/١٧ ـ ١٧٨.
(٣) الأغاني: ١٧٧/١٧.
(٤) الأصل: فكذلك.
(٥) الديوان: ١٥٦.

قال بعض الشعراء في رجل وصفه بذلك[1]:[الرمل]

مَــا رأيْـنَــا لِـعُــبَـيْــد مَـثَــلاً ... إذْ بَعَـثْـنَـاهُ يَـجِـي بـالـمـسْـألَـهْ

غَـيْـرَ فِـنْـدٍ بـعـشـوهُ قَـابِـسَـاً ... فَـثَـوى حَـوْلاً وسَـبَّ الـعَـجَـلَـهْ

٥٩ ـ دَنَانِيْرُ البَرْمَكِيَّة[2]

جارية منذرة، وملهية للآلئ الدمع مبدرة، ومطربة لوجاءت بكل ورقاء على فنن لأسكتتها، أو طارحت كل ذات شجن لبَكتتْهَا، وكانت أعز مما سميت به من الدنانير التي يدخل عليها الصرف، ويظهر عليها سيماء الوجل لا الظرف، نالت عواليها آل برمك خطى قاد لها الجامع، وقال به في فيٍّ خدرها الطامح، وأبدعت صورة وكانت فيها المحاسن محصورة.

قال أبو الفرج[3]: كانت صادقة الملاحة، فرآها يحيى فوقعت بقلبه فاشتراها وكان الرشيد يصير إلى منزله ويسمعها، حتى ألفها واشتد عجبه بها ووهب لها هبات سنية، منها أنه وهب لها في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار، فردتهُ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك، وعرفت أم جعفر الخبر فشكته إلى عمومته فصاروا جمعياً إليه، فعاتبوه فقال لهم: مالي في هذه الجارية من أرب في نفسها، وإنما أربي في غنائها، فاسمعوها، إن استحقت أن يؤلف غناؤها فذاك، وإلا فقولوا ما شئتم، فأقاموا عنده، ونقلهم [عند][4] يحيى حتى سمعوا عنده فعذروه، وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها ألا تلح عليه في أمرها فقبلت، وأهدت إلى الرشيد عشر جوار منهن: مراجل أم المأمون، وماردة أم المعتصم [١٥٠] وفاردة أم صالح.

قال إسحاق: قال لي أبي: قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً اختارته وأعجبت به، فقلت لها: لا يشد عجابك بما تصنعيه حتى تعرضيه على شيخك، فإن رضيه واستجاده وشهد بصحته فارضيه لنفسك، وإن كرهه فاكرهيه، أمض حتى تعرضه عليك، قال: فقلت لــه أيها الوزير: كيف إعجابك أنت به، فإنك ثاقب الرأي، عالي الفطنة، صحيح

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٧٨/١٧.

(٢) دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكي، ألفت كتاب في الغناء سمته كتاب "الأغاني"، اشتهرت في عهد الرشيد، انظر عنها: الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٤/١٨ ـ ٣٠٩.

(٣) الأغاني: ٣٠٥/١٨.

(٤) إضافة يقتضيها السياق.

التمييز، قال: أكره أن أقول لك أعجبني فيكون عندك غير معجب، إذ كنت رئيس صناعتك تعرف بها مالا أعرف، وتقف من لطائفها على ما لا أقف، وأكره أن أقول لك لم يعجبني، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً، وإنما يتم لي السرور به إذا صادف ذلك منك استجادة وتصويباً، قال: فمضيت إليها، وقد كان تقدم إليّ خدمة بذلك وقال لدنانير: إذا جاءك إبراهيم فاعرضي عليه الصوت الذي صنعتيه واستحسنتيه، فإن قال لك أصبت سِرِيني بذلك، فإن كرهه فلا تعلميني لئلا يزول سروري بما صنعت. فلما حضرت الباب أدخلت ونصبت الستائر، فسلمت على الجارية، فردت علي السلام وقالت: يا أبت أعرض عليك صوتاً قد تقدم إليك خبره، وقد سمعت الوزير يقول: إن الناس يفتتنون بغنائهم ويعجبهم منهم ما لا يعجبهم من غيرهم، وكذلك يفتتنون بأولادهم فيحسن في أعينهم منهم ما ليس يحسن، وقد خشيت على هذا الصوت أن يكون كذلك، فقلت: يا بنية، هات، فأخذت عودها فغنت[1]: [الكامل]

نَفْسي أكنتُ عليك مُدَّعِيَاً ... أمْ حينَ أزمعُ بَيْنَهُم خُنْتِ

إن كُنْتِ مُوْلَعَةً بِذِكْرِهِمُ ... فعلى فراقهم ألا مُتِّ

قال: فأعجبني والله غاية الإعجاب، واستخفنى الطرب حتى قلت لها: أعيديه: وأنا طالب فيه موضعاً أصلحه أو أغيره لتأخذه عني، فلا والله ما قدرت على ذلك، ثم قلت لها: أعيديه الثالثة، فأعادته، فإذا هو كالذهب المصفى، فقلت لها: أحسنت يا بنية وأصبت وأجدت، وقد قطعت عنك بجودة إصابتك [١٥١] وحسن إحسانك فائدة المتعلمين، إذ قد صرت تحسنين الاختيار، وتجيدين الصنعة، ثم خرج فلقيه يحيى بن خالد فرآه متهللا، فقال له: كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير؟ فقال: أعز الله الوزير، ما يحسن كثير من حذق المغنين مثل هذه الصنعة، ولقد قلت لها أعيديه، فأعادته ثلاث مرات كل ذلك أريد إعناتها لأجلب لنفسي مدخلاً يؤخذ عني وينسب إليَّ، فلا والله ما وجدته، فقال له يحيى: وصفك لها يقوم مقام تعليمك إياها، والله لقد سرتني وسأسرك، فوجه إليه بمال كثير[2].

قال حماد البشيري[3]: مررت بمنزل من منازل طريق مكة يقال له النِّباج، وإذا كتاب

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٣٠٥.
(٢) الأصفهاني: الأغاني: ١٨/٣٠٤ ـ ٣٠٥.
(٣) في الأغاني: البشري.

على حائط في منزل، فقرأته فإذا هو: النيك أربعة،[فالأول][1] شهوة، والثاني لذة، والثالث شفاء، والرابع داء، وحر إلى أيرين، أحوج من إير إلى حرين، وكتبت دنانير مولاة البرامكة بخطها بِمَدَّةٍ طويلة[2].

قال ابن شبة: أخذت دنانير مولاة البرامكة غناء إبراهيم حتى كانت تغني غناءه فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق، وكان إبراهيم يقول ليحيى: متى فقدتني ودنانير باقية، فما فقدتني[3].

قال: أصاب دنانير العِلَّةُ الكَلبيَّةُ، فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدة، وكان يحيى يتصدق عنها في كل [يوم من][4] شهر رمضان بألف دينار، لأنها كانت لا تصومه، وبقيت بعد البرامكة مدة طويلة[5].

٦٠ ـ الزُّبَيْرُ بن دَحْمَان[6]

واقع على غرض، ورافع لبعض ما عرض، كان مشهور الأصوات، مشكور الفعل حتى بألسن الأموات، متى رفع عقيرته متع جيرته بضرب لا تدعيه مطمعة، ولا تعيه الآن مسمعة، أكثر استنهاضاً من الحمية في الأمور، وأكبر إعراضاً من صدّ الكؤوس عن الخمور، وله في مجالس الخلفاء ولوج، حيث يُرى آذن، ولا يقبل الآراء آفِن.

قال أبو الفرج[7]: كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الندم على ما فعله بهم، ففطن الزبير لذلك، وكان يغنيه في هذا [١٥٢] المغنى فيحركه، فغناه يوماً[8]: [البسيط]

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٣٠٦.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٣٠٦.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٣٠٦.

(٦) أحد أبرز المغنين في عهد الرشيد وكان قد قدم عليه من الحجاز فاكرمه وعلت مكانته لديه. انظر عنه: الأصفهاني: الأغاني: ١٨/٤٥٤ ـ ٤٦٠.

(٧) الأغاني: ١٨/٤٥٦.

(٨) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٥٦.

مَنْ للخصوم إذا جَدَّ الخصامُ بهم ... يوم الجيادِ ومَنْ للضُمَّرِ القُوْدِ[1]

فَرَّجْتَهُ بلسانٍ غير مُشْتَبِهٍ ... عند الحفاظِ وقلبٍ غيرِ رعديدِ[2]

وموقفٍ قد كَفَيْتَ النَاطقين بهِ ... في مجمعٍ من نواصي الناسِ مَشْهودِ

فقال له الرشيد: أعد، فأعاد فقال: ويحك كأنَّكَ قائل هذا الشعر تصف به يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى، وبكى حتى جرت دموعه، ووصل الزبير بصلة سنية.

قال إسحاق: كان عندي الزبير بن دحمان يوماً، فغنيت لأبي[3]: [الطويل]

أشَاقَكَ مِنْ أرضِ العراقِ طُلُولُ

فقال الزبير: أنت الأستاذ وابن الأستاذ السيد، وقد أخذت عن أبيك هذا الصوت، وأنا أغنيه أحسن من هذا، فقلت له: والله إني لأحب أن يكون كذلك، فغضب وقال: أنا والله أحسن غناء منك ومن أبيك، فتلاحينا طويلاً، فقلت له: هلم نخرج إلى صحراء الرقة، فيكون أكلنا وشربنا هنالك، ونرضى في الحكم بأول من يطلع علينا، فقال: أفعل، فأخرجنا طعاماً وشراباً، وجلسنا على الفرات نشرب، فأقبل حبشي يضرب الأرض، فقلت له: ترضى بهذا؟ فقال: نعم، فدعوناه فأطعمناه وسقيناه، وبادرني الزبير بالغناء، فغنى الصوت، فطرب الحبشي وحرك رأسه حتى طمع الزبير، ثم أخذت العود فغنيته، فتأملني الحبشي ساعة وصاح: وأي شيطان أنت؟ ومد بها صوته، فما أعلم أني ضحكت مثل ضحكي يومئذ وانخذل الزبير واستحيا[4].

قال: غضب الرشيد على أم جعفر، ثم ترضاها، فأبت أن ترضى عنه، فأرق ليله، ثم قال: افرشوا لي على دجلة، ففعلوا، فقعد ينظر إلى الماء وقد زاد زيادة عجيبة، فسمع غناءً في هذا الشعر[5]: [الطويل]

جرى السَّيلُ فاستبكاني السَّيلُ إذْ جرى ... وفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتِي غُروبُ

---

(١) في الأغاني: يوم النزال.

(٢) في الأغاني: غير ملتبس... وقول غير مردود.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٥٨/١٨.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٥٨/١٨.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٤٥٩/١٨.

وما ذاك إلا حين أيقنت أنَّهُ [١٥٣] يَمُرُّ بوادٍ أنت منهُ قريبُ[١]
يكون أُجَاجاً دونَكُمْ فإذا انتهى إليكم تَلَقَّى نَشْرَكُمْ فيطيِّبُ[٢]
فيا ساكِني أكنافِ دجلَةَ إنكُم إلى القلبِ من أجلِ الحبيبِ حبيبُ[٣]

فسأل عن الناحية التي فيها الغناء، فقيل: دار ابن المسيب، فبعث إليه بأن ابعث لي بالمغنيِّ فبعث به، فإذا هو الزبير بن دحمان، فسأل عن الشعر فقال: هو للعباس بن الاحنف، فأحضره فاستنشده إياه، وجعل الزبير يغنيه والعباس ينشده، وهو يستعيدهما، حتى أصبح، وقام فدخل على أُمِّ جعفر فسألت عن دخوله فَعُرفَتْه، فوجهت إلى العباس بن الأحنف بألف دينار، وإلى الزبير بألف دينار[٤].

ومنهم:

٦١ ـ عَبْدُ الله بن العَبَّاس بن الفضل بن الربيع[٥]

بيت رفيع، وقوم لهم ما لفضل الربيع من طراوةِ ندى، وطلاوة جدى، ورونق يزين الدنيا أبدا، ومعال أثرت بها مآثرهم، ومعان أثرها أكابرهم، فورثها أصاغرهم، حُجَّاب الخلفاء الأعز المكارم، وحفظة أبواب كالأنهار وراء بحور خضارم، وجدّه الربيع خدم المنصور فادعى إليه ولاء، وارتقى به إلى أن عقدت لـه ذوائب الكواكب لواءً، وعبد الله هذا من سر صميمهم، وأرج شميمهم، إلا أنه بالغناء وضع قدر حسبه، وصنع ما لا يليق بنسبه، تعلم الغناء سراً، وتقدم قسراً، فأطرب كُلَّ محزونه، وأنفق من ذخائر العاشقين سقمها، وَحَنَّ العودُ في يده حنين الحمام عليه أيام تَأَوُّد.

ذكر أبو الفرج[٦] فقال: [عن][٧] يحيى بن حازم، حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال:

---

(١) في الأغاني: حين خبرت.
(٢) في الأغاني: أجاجا ماوءه.... طيبكم فيطيب.
(٣) في الأغاني: ساكني شرقي دجلة كلكم
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٥٩/١٨.
(٥) شاعر، ومغنى في العصر العباسي، اتصل بالخليفة الواثق. انظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ١٤٦/١٩ ـ ١٧٢.
(٦) الأغاني: ١٤٦/١٩ ـ ١٤٧.
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

دخل محمد بن عبد الملك الزيات على الواثق، وأنا بين يديه أغنى، وقد استعادني صوتاً فأعدته فاستحسنه، فقال له ابن الزيات: هذا والله يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه واستيمائك له، واصطناعك إياه، فقال: أجل، فلما كان الغد [١٥٤] جئت محمد بن عبد الملك الزيات شاكراً لحسن محضره، فقلت لــه في أضعاف كلامي: وإفراط الوزير أعزه الله في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفي بجودة الشعر، وليس ذلك عندي، وإنما أعبث بالبيتين والثلاثة ولو كان عندي شيء يعد من ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير، ومحله في هذا الباب المحل الرفيع المشهور، فقال لي: والله إنك عرفت مقدار قولك حين تقول[1] [المجتث]

يــا شَــادِنَــاً رام إذ مــرّ ... فــي الـشَّـعَـانـيـنَ قَـتْـلـي
يــقــوُل لــي كَـيْـفَ أصْـبَـحْـ ... ـتَ كـيـفَ يُـصْـبِـحُ مِـثْـلـي؟

لما قلت هذا القول، والله لو لم يكن لك شعر في عمرك كله إلا قولك: كيف أصبحت كيف يصبح مثلي؟ لكنت شاعراً.

قال إسحاق: لقيت عبد الله بن العباس يوماً في الطريق فقلت له: ما كان خبرك أمس؟ فقال: أصبحت، فقلت: على ماذا أو مع من؟ فقال: مع خادم صالح بن عجيف، وأنت به عارف وبخبري معه ومحبتي له، فاصطبحا على صفة بنت الخيش لما حملت[2] [الطويل]

أشمُّ كغُصْنِ البانِ جَعْدٌ مُرجَّلٌ ... شُغِفْتُ به لــو كان شيئا مدانيا
ثكِلْتُ أبي إنْ كنتُ ذُقْتُ كريقِهِ ... سلافاً ولا ماءً من المزنِ صافيا
وأُقْسِمُ لو خُيِّرتُ بين فراقِهِ ... وبين أخي لاخترتُ أن لا أخاليا
فإنْ لم أوسِّدْ ساعدي بعدَ رقدةٍ ... غُلاما هلالّياً فَشُلّتْ بنانيا[3]

فقلت له: أقمت على لواط وشربت على زنا، والله ما سبقك إلى هذا أحد[4].

فقلت: وقد كان على جلالة قومه ونباهتهم، ونومه مغرى بالاصطباح، مغرماً به في كل

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٤٦/١٩ ـ ١٤٧.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٥٢/١٩.
(٣) في الأغاني: بعد هجعة.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٥٢/١٩.

صباح، ومثاله مما قاله في هـذه الحالة[1]: [البسيط]

ومُستطيلٍ على الصَّهباء باكرها ... في فتيةٍ باصطباح الراح حُذَّاقِ
فكل كف رآه ظنه قدحاً ... وكل شخص رآه ظنه الساقِي[2]

وقوله في ذلك[3]: [المجتث]

باكر الرّاحَ صُبْحاً ... لا يسبقنك فجر[4]
وإن يفتك اصطباح ... فلا يفتنك سكر

[١٥٥] ويقال إنه شرب أواخر شعبان، وكان قد نما إلى الخليفة انهماكه على المدام وانتهاكه للحياء مع الندام، وكذلك بلغه عن غيره، فبث رسله، القيام في طلب هتك حرمة الصيام، وأتاه النذير وهو بين تربه مقبل على شربه، فقال[5]: [الخفيف]

عَلِّلاني نَعِمْتُما بمُدامِ ... واسْقِياني من قبْل شهر الصِّيامِ
حرَّم الله في الصيام التصابي ... فتركناه طاعة للإمام

ثم دام على غَيِّه وضلاله، وأقام عمر قمر شعبان وهلاله حتى قارب رمضان أن يستهل، وحل خيط المدام أنْ يُسَلَّ، ولم يبق غير دنو رمضان وإقباله، وإن ليله يلقى حافر هلاله، فقال[6]: [المديد]

اسقني صهباء صافية ... ليلة النوروز والأحدِ
حرم الله اصطباحتها ... فتزود شربها لغدِ[7]

قال ابن حمدون: كنا عند الواثق في يوم دجن فلما برق واستطار، فقال: قولوا في هذا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٥٤/١٩.
(٢) في الأغاني: فكل شئ رآه خاله قدحاً.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٧٠/١٩.
(٤) في الأغاني: فباكر.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٧٠/١٩.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٦/١٩.
(٧) في الأغاني: اصطبا حكما.

شيئاً، فبدرهم عبد الله بن الفضل بن الربيع فقال[1] [المتقارب]

أعِنّي علي بارق لامع ... خفِيٍّ كلمحك بالحاجبِ[2]
كأن تألقه في السماء ... يدا كاتبٍ أو يدا حاسبِ

وصنع فيه لحناً شرب الواثق عليه بقية يومه، واستحسن شعره وغناءه وصنعته، ووصله بصلة سنية[3].

وكان لدخول عبد الله في الغناء سبب حكاه، وقصد استهون به فحواه، واستهول عقباه حتى أصباه، وذلك أنه هوى جارية لعمته وكان لا يقدر عليها ولا يستطيع الجلوس إليها، خيفة أن يبدو حبه فتمنعه عنها، وتفطن لما بَطَنَ فلا تمكنه منها، فأسر في نفسه غرضه، وداوى مرضه بعلة ممرضة وجملة معترضة، واحتال في رأي على عمته عرضه، هو أنه أظهر لها الرغبة في الغناء وتعلمه واستكتمها عن جده في طي تكتمه، فأنفت [١٥٦] له عمته الغناء ومذهبه، وكرهت ما يشين أباه وجده ومنصبه، فأبى إلا طرباً، وتصابى حتى صبا، وتلاعب حتى جد لعبا، وداوم حتى أحس قوة التصنيف، فصنع صوتين أنفق عليهما جهده من التثقيف، وعرضهما على الجارية، فقالت: هذا في الصنعة فوق الاتقان، ولا يحسن أحد في الزمان أكثر من هذا الإحسان، ونمى خبر الصوتين حتى غنيا للرشيد، فسأل عنهما وعلم لمن هما، فطلب جده وحدثه بما عنده، وعتبه على إخفاء أمره، وظن أنه يعلم به وقد أخفاه عنه، فأقسم الفضل أنه إلى الآن لم يعلم أن له ولداً من الغناء بهذا المكان، ثم كان من شهرته ما كان[4].

وقد ذكر أبو الفرج هذه القصة[5]، فقال: قال أحمد بن المرزبان، حدثني عبد الله بن العباس قال: كان سبب دخولي في الغناء وتعلمي إياه، إني كنت اهوى جارية لعمتي رقية بنت الفضل بن الربيع، وكنت لا أقدر عليها ولا الجلوس معها، خوفاً من أن يظهر مالها عندي فيكون سبباً لمنعي منها، فأظهرت لعمتي أنني أشتهي أن أتعلم الغناء، ويكون ذلك ستر من

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٥٥.
(٢) في الأصفهاني: لامعٍ بارقِ.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٥٥.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٤٧.
(٥) الأغاني: ١٩/١٤٧ ـ ١٤٩.

جدي، وكان جدي وعمتي على حال من الرقة علي والمحبة لي لأن أبي توفي في حياة جدي الفضل، فقالت: يا بني، ما دعاك إلى ذلك؟ قلت: شهوة غلبتني، إن منعت منها مُتُّ غَمًّا، وكان لي في الغناء طبع قوي، فقالت لي: أنت أعلم وما تختاره، والله ما أحب منعك من شئ، وإني لأكره أن تشتهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدك، فقلت: لا تخافي من ذلك، فإنما آخذ منه مقدار ما ألهو به، ولازمت الجارية لمحبتي إياها بِعِلَّةِ الغناء حتى تقدمت سائرهم حذقاً وصنعةً، وأقررن لي بذلك، وبلغت ما كنت أُريده منه ومن أمر الجارية، وصرت ألازم مجلس جدي، وكان يُسر بذلك ويظنه تقرباً مني إليه، وإنما كان وكدي فيه أخذ الغناء، فلم يكن يمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا للزبير بن دحمان، ولا لغيرهم صوت إلا أخذته، ثم أحسست من نفسي قوة في الصنعة، فصنعت أول صوت صنعته في شعر العرجي(1): [الطويل]

[١٥٧] أماطت كساءَ الخزِّ عن حُرَ وجهها وأبدت على الخدينُ برداً مهلهلاً(2)

ثم صنعت(3): [المنسرح]

أقْفَر منَ بعد أهلهِ سَرِفُ فالمنحنى فالعقيُق فالجرفُ(4)

وعرضتهما على الجارية التي كنت أهواها، وسألتها عما عندها فيهما، فقالت: لا يجوز أن يكون في الصنعة شيء فوق هذا، وكان جواري الحارث بن بسخنر(5) وجواري ابنه محمد يدخلن إلى دارنا ويطرحن على جواري عمتي وجواري جدي ويأخذن أيضاً ما ليس عندهن من غناء دارنا، فسمعنني ألقي هذين الصوتين على الجارية فأخذنه منى، وسألن الجارية عنهما، فأخبرتهن أنهما من صنعتي، ثم اشتهرا حتى غُنِّيَ الرشيد بهما يوماً فاستظرفهما، وقال لإسحاق: تعرفهما؟ قال: لا، وإنهما لمن حسن الصنعة ومتقنها، ثم سأل الجارية عنها فتوقفت خوفاً من عمتي، وحذراً أن يبلغ جدي أنها ذكرتني، فانتهرها الرشيد، فأخبرته القصة، فوجه من وقته فدعا جدي فأحضره، فقال: فضل، أنَّ يكون لك ابن يغني ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكنه أن

(1) العرجي، الديوان: ٢٨٥؛ الأصفهاني، الأغاني: ١٤٧/١٩.
(2) في الأغاني: وأدنت علي.
(3) الأصفهاني، الأغاني: ١٤٧/١٩.
(4) في الأغاني: من بعد خلة.
(5) الأصل: يستجير، والمثبت من الأغاني.

يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق وسائر المغنين، ويتداولهما جواري القيان ولا تعلمني بذلك؟خبرته القص

كأنك رفعت قدره عن خدمتي في هذا الشأن، فقال لـــه جدي: وحق ولائك يا أمير المؤمنين ونعمتك، وإلا فأنا نفي منها بريء من تبعتك، وعليَّ العهد والميثاق والعتق والطلاق، إن كنت علمت بشئ من هذا من ولدي قط، إلا منك الساعة، فجاء جدي وهو يكاد أن ينشق غيظاً، فدعاني فخرجت إليه، وقال: يا كلب، بلغني من أمرك ومقدارك أن تحسن أن تتعلم الغناء بغير أمري، ثم لم تقنع بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجواري في داري ثم تجاوزهن إلى جواري الحارث بن بسخنر، فاشتهر وبلغ أمير المؤمنين ذلك، فتنكر لي ولامني، وفضحتني وفضحت آباءك في قبورهم، وسقطت إلى الأراذل من المغنيين، فبكيت غماً بما جرى مني، وعلمت أنه قد صدق، فرحمني وضمني إليه وقال: قد صارت الآن في أبيك مصيبتان، إحداهما به وقد مضى وفات، والآخر فيك، وهي موصولة بحياتي، ومصيبة باقية العار عليَّ وعلى أهلي بعدي، وبكى وقال: يعزُّ عليّ يا بني أن أراك علـــى غير ما احب، وليست لي [١٥٨] في هذا الأمر حيلة لأنه قد خرج عن يدي، ثم قال: جئني بعود حتى أسمعك وأنظر كيف أنت، فإن كنت تصلح للخدمة في هذا الفضيحة، وإلا جئته بك مفرداً وعرفته بخبرك، واستعفيته لك، فأتيته بعود وغنيت غناءً قديماً، فقال: بل غن صوتيك اللذين صنعتهما، فغنيته إياهما فاستحسنهما وبكى، ثم قال: بطلت والله يا بني وخاب أملي فيك، فواحزناً عليك وعلى أبيك، فقلت: ليتني مت يا سيدي من قبل ما أنكرته ولخرست، ومالي حيلة، ولكن وحياتك يا سيدي، وإلا فعليَّ عهد الله وميثاقه، والعتق والطلاق وكل يمين يحلف بها حالف، لازمة لي، لا غنيته أبداً إلا خليفة أو ولي عهدٍ فقال لي: قد أحسنت فيما قد تنبهت عليه من هذا، ثم ركب وأمرني فأحضرت ووقفت بين يدي الرشيد، وأنا أرعد، فاستدناني حتى صرت أقرب إليه، ومازحني وأقبل علي، وسكن مني، وأمر جدي بالانصراف، وأومأ إلى الجماعة فحدثوني وسقوني أقداحاً، وغنى المغنون جميعاً، وأومأ إليَّ إسحاق أن أغني إذا بلغت النوبة إليَّ، ليكون ذلك أملح، فلما بلغت النوبة إلي أخذت عوداً ممن كان إلى جانبي، وقمت قائماً واستأذنت في الغناء، فضحك الرشيد وقال: غَنِّ جالساً، فجلست فغنيت لحنى الأول، فطرب واستعادني ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاثة أقداح وأنصاف، فكانت هذه حاله، فدعا مسروراً فقال: أحمل إليه الساعة عشرة آلاف درهم، وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابي وعتيدة مملوءةً طيباً، فَحُمِلَ ذلك أجمع معي.

قال عبد الله: ولم أزل كلما أراد وليّ عهد أن يعلم مَنْ الخليفة بعد الخليفة الوالي، هو أم غيره دعاني وأمرني أن أغني، فأعرفه بيميني[1] وإلا عرف أنه غيره، حتى كان آخرهم الواثق، فدعاني في أيام المعتصم وسأله أن يأذن لي في الغناء فأذن لي، ثم دعاني المعتصم من الغد فقال: ما صار غناؤك إلا سبباً لإظهار سري وأسرار الخلفاء قبلي، لقد هممت أن آمر بضرب عنقك، لا يبلغني أنك امتنعت من الغناء عند أحد، فوالله لئن بلغني لأقتلنك وأعتق من كنت تملكه يوم حلفت من المماليك، وأطلق من كان عندك يومئذ من الحرائر، واستبدل بهن، وعليّ العوض من ذلك وأرحنا من يمينك هذه المشؤومة، فقمت من عنده وأنا لا أعقل، فاستقبلت أبا يوسف القاضي [١٥٩] حتى خرجت من يميني، وصرت بعد ذلك أُغَنِّي لإخواني جميعاً، حتى اشتهر أمري وبلغ المعتصم خبري، فتخلصت منه، ثم غضب علي الواثق لشئ أنكره، وولي الخلافة وهو ساخط علي، فكتبت إليه[2]: [الكامل]

أدعو إلهي أن أراكَ خليفةً ... بينَ المقامِ ومسجدِ الخَيْفِ

فدعاني ورضي عني.

قال سليمان بن أبي شيخ: دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم وهو مختلط مغتاظ، وابنه عبد الله عنده، فقلت له: مالك أمتع الله بك، فقال: لا يفلح والله ابني هذا أبداً، فظننته قد جنى جناية، فجعلت أعتذر إليه فقال: ذنبه أعظم من ذلك وأشنع، قلت: وما ذنبه؟ قال: جاءني بعض غلماني فحدثني أنه رآه يشرب بقُطْرُبَّل الداذي بغير غناء، فهذا فعل من يفلح؟ فقلت له وأنا أضحك: سَهَّلْت عليّ القصة، فقال: لا تقل ذلك، فإن هذا من ضَعَة النفس وسقوط الهمة، فكنت إذا رأيت عبد الله بعد ذلك في جملة المغنيين وشاهدت تَبذَّلَهُ في هذا الحال، وانخفاضه عن مرتبه أهله، ذكرت قول أبيه[3].

قال: قالت بَذلُ الكبيرة لعبد الله بن العباس: قد بلغني إنك قد عشقت جارية يقال لها عساليج، فاعرضها عليّ، فأما إن عذرتك في حبها، أو عذلتك في أمرها، فوجه بها إليها وقال

---

(١) العبارة مرتبكه وجاءت في الأغاني "فاعرفه بيميني فيستأذن الخليفة في ذلك، فإن أذن لي في الغناء عنده عرف أنه ولي عهد وإلا عرف أنه غيره"

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٤٩/١٩.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٤٩/١٩.

لبذل: هذه سيدتي فانظري واسمعي ومُري بما شئت أطعك، فأقبلت عليه عساليج فقالت: يا عبد الله، أتشاوِرُ في؟ والله ما شاورت فيك لما صاحبتك، فَنَعَرَتْ بَذْلَ، وقالت: أحسنت والله يا صبية، ولو لم تحسني شيئاً ولا كانت فيك خصلة تجمل، لوجب أن تُعشقي لهذه الكلمة، ثم قالت لعبد الله: ما صنعت، احتفظ بصاحبتك[1].

قلت: وربما أن فيها قوله[2]: [الرمل]

إنَّ في القلبِ مِنَ الظَّبي كلومُ ... فَدَعِ اللَّومَ فإن اللَّومَ لُومُ

لم أكُنْ أوَّل مَنْ سَنَّ الهَوَى ... فَدَعِ العَذْلَ فَذَا داءٌ قَديمُ[3]

قال عبد الله بن العباس الربيعي: [١٦٠] لقيني سوار بن عبد الله القاضي، وهو سوار الأصغر، فأصغى إلي وقال: إن لي إليك حاجة، فأتني في خفي، فأتيته، فقال لي: قد أنست إليك لأنك لي كالولد، ولي إليك حاجة، فإن ضمنت لي كتمانها افضيت بها إليك، فقلت: ذاك للقاضي عليَّ فرض واجب، فقال لي: إني قلت أبياتاً في جارية لي أميل إليها، وقد هجرتني، وأنا أحب أن تصنع فيها لحناً وتسمعنيه، فإن غنيته وأظهرته بعد ألا يعلم أحد أنه شعري، فلستُ أبالي، أفتفعل ذلك؟ قلت: حباً وكرامةً للقاضي، فأنشدني سوار لنفسه[4]: [الطويل]

سلَبْتِ عظامي لحمهَا فتَرَكْتِها ... عَواريَ في أجلادِها تَتَكَسَّرُ

وأخليتِ منها مُخَّها فتَرَكْتِها ... أنابيب في أجوافِها الريحُ تَصْفِرُ[5]

إذا سَمِعَتْ ذكرَ الفراقِ تَرعَّدَتْ ... مفاصِلُها من هول ما تَتَحذَّرُ

خذي بيدي ثم ارفعي الثوبَ فانظري ... بِلى جسدي لكِنَّني أتَسَتَّرُ

وليس الذي يجري من العين ماؤها ... ولكنَّها رُوْحُ تذوبُ فَتقْطُر

قال عبد الله: فصنعت لحناً ثم عرّفْتُه خَبَره في رقعة، وسألته أن يعدني المصير إليه،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٠/١٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٧١/١٩.

(٣) في الأغاني، فدع اللوم.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٨/١٩.

(٥) في الأغاني: مخها فكأنها.

فكتب إليَّ: نظرت في القصة، فوجدت هذا يصلح ولا ينكتم حضورك، ولا سماعي إياك، وأسأل الله أن يسرك ويقيك، فغنيت بالصوت حتى ظهر وتغنى به الناس، فلقيني سوار يوماً فقال لي: يا ابن أخي قد شاع أمرك في ذلك الباب حتى سمعناه من بعيد، كأننا لم نعرف القصة(١).

٦٢ - أبو صَدَقَة(٢)

من المشهورين في أهل الموسيقا، والمشكورين تحقيقا، أطرب أصواتاً، وأحيا نفوساً مواتاً، خطب للتقريب وحُظِيَ إليه من غير مكان قريب، وإذا كان اندفع يغنِّي استوجف الطير، وأوقف الراكب العجل عن السير، فكان مطرب يطير في الأوتار، ويطيب به حتى ذو الاقتار، لا يُغلب على تندير، ولا يشبه تَلَعُّبَهُ بالقلوب ألا عب بالماء في الغدير.

قال أبو الفرج(٣): كان الرشيد يعبث به كثيراً، فقال ذات يوم لمسرور: قل لابن جامع، وإبراهيم الموصلي، والزبير [١٦١] بن دحمان، وبرصوما، وابن أبي مريم المديني، إذا رأيتموني قد طابت نفسي فليسألني كل واحد منكم حاجة، مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور ما قال لـه، ثم أذن لأبي صدقة، قبل إذنه لهم، فلما جلس قال: يا أبا صدقة، قد ضجرتني كثرة مسائلك، وأنا في هذا اليوم ضجر وقد أحببت أن أتفرج وأفرح، ولست آمن أن تنغص علي مجلسي بمسألتك، فإما إن أعفيتني أن تسألني اليوم حاجة، قال: يا سيدي لست أسألك في يومي هذا أو إلى شهر حاجة، فقال لـه الرشيد: أما إذا قد شرطت لي هذا على نفسك فقد اشتريت منك بخمسمائة دينار، وها هي ذه فخذها طيبة معجلة، فإن سألتني بعدها في هذا اليوم فلا لوم عليَّ إن لم أصلك سنة بشئ، فقال لـه: نعم، فقال لـه الرشيد، زدني في الوثيقة، فقال: قد جعلت أمر أُم صدقة إليك فطلقها مِني متى شئت، إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً، إن سألتك في يومي هذا حاجة، وأشهدت الله ومن حضر على ذلك، ودُفع المال إليه، ثم أذن للجلساء والمغنيين

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٨/١٩ ـ ١٦٩.

(٢) مسكين بن صدقة، مولى قريش، مغني مدني من العصر العباسي. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٩٢/١٩ ـ ١٩٨.

(٣) الأغاني: ١٩٥/١٩.

فدخلوا، وشرب القوم، فلما طابت نفس الرشيد، قال ابن جامع: يا أمير المؤمنين، قد نلت بك ما لم تبلغه أمنيتي، وكثر إحسانك إليَّ حتى قتلت أعدائي، وليس لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمالٍ أبني به داراً وأفرشها، لأفقأ عيون أعدائي وأزهق بنفوسهم، فعل، فقال: كم قدّرت لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأمر لـه بها، ثم قام إبراهيم الموصلي فقال: قد ظهرت نعمتك عليَّ وعلى أكابر ولدي، وفي أصاغرهم من قد بلغ وأريد تزويجه، ومنهم من احتاج أن أطهره، ومنهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدماً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك، فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع.

وجعل كل واحد منهم يقول فيقول من الثناء ما يحضره، ويسأل حاجة على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرق يميناً وشمالاً، فوثب على رجليه قائماً ورمى بالدنانير من كمه، وقال: يا أمير المؤمنين أقلني أقال الله عثرتك، فقال لـه الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلح، والرشيد يضحك ويقول [١٦١]: مالي إلى ذلك سبيل، الشرط أملك، فلمَّا عِيْلَ صَبْرُه أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد، فقال: هاكها قد رددتها عليك وزدتك فرج أم صدقة، فطلقها إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً، وإن لم تلحقني بجوائز القوم، فألحقني بجازية هذا البارد ابن البارد، وأراد بذلك عمر بن الغزال، وكانت [صلته ألف دينار، فضحك الرشيد حتى استلقى ثم رد عليه الخمسمائة دينار وأمر له][1] ثلاثة آلاف دينار معها، وكان ذلك أكثر ما اخذه منه منذ يوم خدمته إلى أن مات.

قال: دخل جعفر بن يحيى على الرشيد صبيحة يوم مطر، فسأله عن يومه الماضي وما صنع فيه، فقال: كان عندي أبو زكَّار الأعمى وأبو صدقة، فغناني أبو صدقة صوتاً من صنعته فطربت والله يا أمير المؤمنين طرباً ما أذكر أني طربت مثله وهو[2]: [الخفيف]

فَـتـنَـتْـنِـي بـفِـاحـم الَّـلـون جَـعْـدِ وبـثـغـرٍ كـأنـه نَـظْـمُ دُرِّ
وبـوجْـه كـأنّـهُ طـلـعـةُ الـبَـدْ رِ وبعيـن فـي طَـرفِـهَـا نَـفْـثُ سِـحْـرَ

فقلت له: أحسنت يا أبا صدقة، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي: يا سيدي، إني قد بنيت داراً وقد أنفقت عليها حريبتي، وما أعددت لها فرشاً فافرشها، نجّدَ الله لك ألف

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٦/١٩.

قصر في الجنة، فتغافلت عنه، وأعاد الغناء والمسألة، فتغافلت، فقال: يا سيدي، هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك الله، وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم، فأقبلت عليه وقلت: أنت والله بغيض، فاكفف عن المسألة الملحة، فوثب من بين يدي، فظننت أنه يخرج لحاجةٍ، فإذا هو قد نزع ثيابه، وتجرد منها خوفاً من المطر، ووقف تحت السماء لا يواريه شيء، والمطر يأخذه، فرفع رأسه فقال: يا رب أنت تعلم أني مُلهٍ ولست نائحاً، وعبدك هذا الذي رفعته عليَّ وأحوجتني إليه، يقول لي أحسنت، ولا يقول لي أسأت، وأنا منذ جلست أقول له بنيت لا أقول له هدمت، فيحلف بك جراءة عليك أني بغيض، فاحكم بيني وبينه يا سيدي، فأنت خير الحاكمين، فغلبني الضحك وأمرت به فجيء، وجهدت به في أن يُغني، فامتنع حتى حلفت لـــه بحياتك أني أفرش لـــه داره يا أمير المؤمنين، وخدعته فلم أسّم له ما افرشها به، فقال الرشيد [١٦٣]: طيب والله تمَّ لنا اللهو، هو ذا ادعوه، فإذا رآك فسيتنجز لك الفرش، لأنك حلفت له بحياتي، فهو يقتضيك ذلك بحضرتي ليكون أوثق، فإن قال لك فيه فقل: أنا أفرشها لك بالبوراي، وإن شئت فالبردي من الحصر، وحاكمهُ إلي، ثم دعا به فأُحضر، فلما استقر في مجلسه قال لجعفر: الفرش الذي حلفت بحياة امير المؤمنين الذي تفرش به داري تقدم فيه، فقال لـــه جعفر: تخير إن شئت فرشتها لك بالبواري، وإن شئت فبالبردي من الحصر، فضج واضطرب، فقال له الرشيد، وكيف كانت القصة؟ [فأخبره][1] فقال لـــه: أخطأت يا أبا صدقة، إذ لم تَسَمِّ النوع ولم تحد القيمة، فإن فرشها لك بالبواري، أو بما دون ذلك، فقد وفى بيمينه، وإنما خدعك ولم تفطن أنت ولا توثـــقت، وضيعت حقك، فسكت وقال: نوفر عليه أيضاً، البردي والبواري أعزه الله.

وغنى المغنون، حتى انتهى الدور إليه، فأخذ يغني غناء الفلاحين والملاحين والسقائين، وما جرى مجراه من الغناء، فقال لـــه الرشيد: وأي شيء هذا من الغناء ويلك، قال: من فُرش داره البواري والبردي، فهذا الغناء كثير منه، وكثير ايضاً لمن هذه صلته، فضحك الرشيد وطرب وصفق، وأمر لـــه بألف دينار من ماله، فقال لـــه: افرش دارك من هذه، فقال لـــه: وحياتك لا أخذتها أو تحكم عليه بما وعدني، وإلا متُّ والله اسفاً لفوت ما وعدني به، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار، فقبلها جعفر وأمر له بها[2].

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٩/١٩٦.

٦٣ - عَمْرو بن أبي الكَنَّات(١)

مطرب نهج السَّنَن القديم، وأحَلَّ الغائب في محل النديم، واسمع كل ذي إصغاء، وجمع كل ذي ابتغاء، وغنَّى والناس في صنوف المعايش لاهية قلوبهم، أشتات مطلوبهم، بين دان ونازح، ومقبل على معاشه، ومقبل في رياشه، فجعلوا رؤيته دواب نواظرهم، وغناءه شغل خواطرهم، حتى لكاد يطرب الحيتان في الماء، والطير صافات في جوية السماء.

قال أبو الفرج(٢): قال بعضهم: وافقتُ ابن أبي الكنَّات في جسر بغداد في أيام الرشيد، فحدثته [بحديث](٣) اتصل بي عن ابن عائشة [١٦٤] في الموسم، أنه مر به، فقال: إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس، فلم يذهب احد ولم يجيء، فقلت: ومن هذا الرجل؟ قلت: أنا، ثم اندفع يُغني(٤): [الوافر]

جَرَتْ سُنحاً فَقُلْتُ لَهَا أجِيزي نَوى مَشْمُولَةٌ فَمَتَى الّلقَاءُ

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل، وكادت الفتنة أن تقع، فأتى به هشام فقال له: يا عدوَّ الله، أردت أن تفتن الناس، فأمسك عنه، وكان تياها، فقال له: ارفق بتيهك، فقال ابن عائشة: حق لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تياهاً، فضحك وأطلقه، فقال ابن أبي الكنات: فأنا أفعل كما فعل، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت، ثم اندفع يغني في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد، وكان إذ ذاك على بغداد ثلاثة جسور معقودة، فانقطعت الجسور بالناس من ازدحام الخلق عليها فأتى به الرشيد، فقال: يا عدو الله أردت أن تفتن الناس، قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأردت أن أكون في أيامك، فأمر له بمال، واحتبسه عنده ليسمع غناءه.

قال يحيى بن يعلى بن معبد(٥): بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة، إذ سمعت

---

(١) عمرو بن عثمان بن أبي الكنات مولى بني جمح، مغني مكي، أنظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٤٥٣/٢٠ - ٤٥٦.

(٢) الأغاني: ٤٥٤/٢٠ - ٤٥٥.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٥٥/٢٠.

(٥) في الأغاني: بن سعيد.

صوت عمرو بن ابي الكنّات كأنه معي، فامرت الغلام فأسرج لي دابتي، وخرجت أريده، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكثيب العارض على بطن عرنة[1].

قلت: وهذا كذب لا شك فيه، إذ لا تبلغ حاسة الأذان إلى بعض ذلك.

٦٤ ـ خَلِيْلان المُعَلِّم[2]

رجلٌ كان لما أراد مهيئاً، خلط عملاً صالحاً وآخر سَيِّئا، كان يلقن القرآن ويعلم الغناء، ويقرب من هذا وهذا الادناء، وكان بابة الذكر في أهل الشأن، تائه العطف لا يتقدم الزمان، لو جالس كئيباً لانشرح، وحبيباً مسكه تيه الحب لاطرح، لألحان جرها وأصوات مثل بيت جان لم تصورها.

قال أبوالفرج[3]: كان يعلم الصبيان القرآن، ويعلم الجواري الغناء [١٦٥] في موضع واحد.

قال بعضهم: وكنت يوماً عنده وهو يردِّدُ على صبيٍّ{ومِنَ النَّاسِ من يَشْتَرِى لَهْوَ الَحدِيثِ لِيَضِلَّ عن سبيل الله بِغَيْرِ عِلْمٍ}[4]، ثم يلتفت إلى صبية بين يديه يرددها عليها[5]: [السريع]

أعــتَــاد هَــذا الــقَــلــبُ بَــلْــبَــالُــهُ　　　إذ قُــرِّبــتْ بــالــبــيــن أحْــمَــالُــهُ

فضحكت ضحكاً مفرطاً لفعله، فالتفت إليَّ وقال: مالك ويلك؟ فقلت: ما سبقك إلى هذا أحد، أنظر إلى أي شيء أخذت على الصبي من القرآن، والله إني لأظنك ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، فقال: أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله تعالى[6].

قال عبد الصمد بن المعذل: دخل يوماً خليلان المعلم على عقبة بن سلم الأزدي

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٥٦/٢٠.

(٢) خليل المعلم بن عمرو المكي، مولى بني عامر بن لؤي، مغني مقل. أنظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ١٢٩/٢١ ـ ١٣١.

(٣) الأغاني: ١٢٩/٢١.

(٤) سورة لقمان الآية ٦٢.

(٥) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٤٩٩.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٩/٢١.

فاحتبسه عنده، فأكل وشرب، فحانت منه التفاته فرأى عوداً معلقاً، فعلم أنه عرض لـه به، فدعا به وآخذه وغنَّى[1]: [المديد]

يـاإبْـنَـةَ الأزديِّ قـلْـبِـي كـئـيـبٌ　　مُـسْـتَـهَـامٌ عِـنْـدَهـا مَـا يُـنـيـبُ

والتفت فرأى وجه عقبة بن سلم متغيراً، قد ظن أنه عرّض به، ففطن، فغنى غيره، فسَّر عقبة وشرب، فلما فرغ وضع العود في حجره، وحلف بعد ذلك بالطلاق ثلاثاً أنه لا يغنِّي إلَّا على من يجوز أمره عليه[2].

والصوت الذي من صنعته[3]: [المتقارب]

ألا طَـرَقَـتْ فـي الـدُّجـى زيـنـبُ　　وأحْـبِـبْ بـزيـنـبَ إذْ تَـطْـرُقُ

عَـجِـبْـتُ لـزيْـنَـبَ أنَّـى سَـرَتْ　　وزيـنـبُ مـن ظِـلِّـهـا تَـفْـرَقُ

٦٥ ـ عُبَيْدَةُ الطَّنُبورِيَّة[4]

مهزٌّ قضيب، وممر كثيب، وربيبة كناس، وحبيبة أناس، برعت في الضرب بالطنبور، وأسرعت إلى الصدور بالحبور، وعدلت عن العود وتعب صناعته، وتأبى طاعته وصدورة شيرته، وكثرة تعجيزه، إلى ما خف موقعاً، وكان مقعناً، وجاءت فيه بكل إجادة، وحازت غاية العود وزيادة.

قال أبو الفرج[5]: قال علي بن الهيثم اليزيدي: دعوت يوماً إسحاق الموصلي وكان يألفني فقال [١٦٦]: من عندك؟ قلت: محمد بن عمرو بن مسعدة، وهارون بن هشام، وقد دعونا عبيدة الطنبورية، فقال: أفعل، فإني كنت أشتهي أن أسمع عبيدة، ولكن لي عليك شريطة، فقلت: هاتها، قال: إن عرفتني وسألتموني أن أغني بحضرتها، لم يَخْفَ عليها أمري وانقطعت، فلم تصنع شيئاً، فدعوها على جملتها، فقلت: أفعل ما أمرتَ به، فنزل وردَّ دابته،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٩/٢١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٩/٢١ ـ ١٣٠.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٨/٢١ والشعر لابن رهيمة.
(٤) توفيت سنة ٢٢٥هـ، انظر عنها: الأصفهاني، الأغاني: ٤١١/٢٢ ـ ٤١٥.
(٥) الأغاني: ٤١١/٢٢ ـ ٤١٢.

وعرَّفتُ صاحبَي ما جرى، وأكلنا ما حضر، وقدم النبيذ، فغنت لحناً[1]: [مجزوء الوافر]

قـريـبٌ غـيـرُ مُـقْـتَـرِبِ ... ومـؤتَـلِـفٌ كَـمُـجْـتَـنِـبِ
لـهُ ودِّي ولـي مـنـهُ ... دواعـي الـهَـمِّ والـكَـربِ
أواصـلُـهُ عـلـى سَـبَـبِ ... ويـهـجُـرُنِـي بـلا سَـبَـبِ
ويـظـلُـمُـنـي عـلـى ثِـقَـةٍ ... بـأنَّ إلـيـهِ مُـنْـقَـلـبـي

فطرب إسحاق وشرب نصفاً، ثم غنت وشرب حتى والى بين عشرة أنصاف، وشربناها معه، وقام يصلي فقال لها هارون بن أحمد بن هشام: ويحك يا عبيدة، ما تبالين والله متى مُتِّ، قالت: ولِمَ؟ قال: أتدرين من المستَحِسن غناءك والشارب عليه ما شرب؟ قالت: لا والله، قال: إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فلا تعُرِّفيه إنك قد عرفتيه، فلما جاء إسحاق ابتدأت تغني، فلحقها هَيْبَةٌ لـه واختلاط، فنقصت نقصا بيناً، فقال لنا: أعرّفتموها من أنا؟ فقلنا: نعم، عَّرفها هارون بن أحمد، فقال إسحاق: نقوم إذاً فننصرف، فلا خير في عشرتكم الليلة، ولا فائدة لي ولا لكم، ثم قام فانصرف.

قال جحظة: حدثني شرائح قال: كانت عبيدة تتعشقني فتزوجت فمرت بي يوماً، فسألتها الدخول إلي، فقالت: يا كشخان، كيف أدخل إليك وقد أقعدت في بيتك صاحب مسلحة، ولم تدخل[2].

قال: وكان لها غلام يضرب عليها يقال لـه عليٌّ ويلقب ظِئْر عبيدة، وكانت إذا خلت في البيت وشبقت اعتمدت عليه، وتقول: بغلُ الطِّحان يصلح للحمل والطحن والركوب[3].

قال: اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس الرشيد يوماً وفيهم المسدود وعبيدة، فقالوا للمسدود: غنِ، فقال: لا والله لا تقدمت عبيدة [١٦٧] وهي الأستاذة، فما غنى حتى غنت[4]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٢/٢٢.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٢/٢.
(٣) لم نجد الخبر في الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٢/٢٢.

قال جحظة: وهب[1] لي جعفر بن المأمون طنبوراً فإذا عليه مكتوب[2]: [مجزوء الخفيف]

كُـلُّ شَـيْءٍ سِـوَى الـخِـيَـا ... نَـةِ فـي الـحُـبِّ مُـحْـتَـمَـلْ

٦٦ ـ أبو حشيشة[3]

سرى فأصبح، وأرى بصره الفاسد فأصلح، وفهم دقائق الغناء وأوضحها وعلم حقائق الطرب وفضحها، وسارّ الأوتار، وسامى النظراء، لا يرهقه الإقتار، ودخل أخبية الملوك وأخذ عطاياها، وحث مطاياها وفاز بصفوة مواهبها، وجلا عليهم حسان الأصوات المختارة في مذاهبها، وادخر خير أموالهم، وأبقى الفضول لناهبها.

قال أبو الفرج[4]: قال نوبخت: رأيته وقد حضرت عريب عند ابن المدير، وقد تغنى، فقال له عريب: أحسنت يا أبا جعفر، ولو عاش الشيخان ما قلت لهما هذا، علوية ومخارق.

قال جحظة: حدثني أبو حشيشة قال: هجم عليَّ خادم أسود، فقال: البس ثيابك، فعلمت أن [هذا][5] لا يكون إلَّا عن أمر خليفة أو أمير، فلبستها ومضيت معه، فعبر بي الجسر، وأدخلني داراً لا أعرفها، فأدخلني في حجرة مفروشة، وجاءني بمائدة كأنها جزعة، وقد نشر في أعراضها الخبز، فأكلت وسقاني رطلين، وجاء بصندوق ففتحه، وإذا فيه طنابير، فقال: اختر ما تريد، فاخترت واحداً، واخذ بيدي فأدخلني إلى دار فيها رجلان، على أحدهما قباء غليظ ملحم، وعلى الآخر ثياب ملحم وخز، فقال لي صاحب الخز: أجلس [فجلست][6]، فقال لي: أكلت وشربت؟ قلت: نعم، فقال: قل ما نقول لك، فقلت: قل، فقال: غنِّ بصنعتك[7]: [الخفيف]

يـا مَـلِـيْـحَ الإقـبَـالِ والانـصـرافِ ... ومـلـولاً ولـو شـاء قُـلْـتُ جَـافِـي

فغنيته إياه، ولم يزل يطلب مني صوتاً بعد صوت من صنعتي فأغنيه ويستعيده، ويشرب

---

(١) الأصل: وهو المثبت من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤١٣/٢٢.
(٣) محمد بن امية بن أبي أمية، أبو جعفر. انظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٥٩/٢٣ ـ ٦٥.
(٤) الأغاني: ٦٠/٢٣.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٦٠/٢٣.

هو والرجل، وأسقى بالأنصاف المختوتة إلى أن صلوا العشاء [١٦٨] الآخرة، ثم أومأ إلى الخادم فقمت، فقال لي صاحب القباء منهما: أتعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهري، وهذا محمد بن اسد الخناق، والله لا بلغني أنك تقول رأيتني لأضرِبنَّ عُنُقكَ، انصرف، وخرجت، ودفع إليَّ الخادم ثلاثمائة دينار، فجهدت أن يقبل منها شيئاً على سبيل البِرّ، فلم يفعل(١).

٦٧ ـ إسْحَاق المَوصِلي(٢)

رجل تعقد عليه الخناصر، ويعتد عليه الناصر، علم منوع ويَمٌ لا يخلو من الإخلاطة بكل مشرع، أخذ من كل فن طرفاً، وعلا على كل فضل شرفاً، حتى كان بعد القضاء ناظر العلماء، وأبكى بغلبه الجفون دماء، وكان يربأ بنفسه إلى أن يدخل على الخلفاء مع أهل الفقه، ويختلط بهذا الشبه، وبرع في الأدب وأفانينه، وعني بالشعر وتحسينه، وخلف وراءه السباق، في حسن نظمه وتحسينه، وحلّ من الرشيد فمن بعده من الخلفاء محل الإصفاء، وفازوا منه بالوفاء، وفاء زيان بما تجلى له منهم من موارد الصفاء، وكانوا يرونه القلب الذي يسع سرورهم، والشباب الذي يحسن غرورهم، وأيامه مطويات إلى بلوغه آرابه، وسبوغ النعمة فيما زنده أورى به، هذا إلى عفاف تشهد به المضاجع، وكرم وخير وتقدم في أول وأخير، ونفس ما أشربت حب الحرام ولا اشرأبت إلى غير اختلاف الكرام.

قال أبو الفرج(٣): قال إسحاق: بقيت زماناً من دهري أغلّس(٤) كل يوم إلى هشيم، ثم أصير إلى الكسائي وأقرأ جزءاً من القرآن، وآتي الفراء فأقرأ عليه أيضاً، ثم آتي منصور زلزل فيضاربني طريقين أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شهدة فأخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم أتي الأصمعي فأناشده، وآتي أبا عبيدة فأذاكره، ثم أصير إلى أبي فَأُعْلِمُهُ ما صنعت، ومن لقيت، وما أخذت، وأتغدى معه، فإذا كان العشاء رحت إلى الرشيد.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٦٠/٢٣.

(٢) اسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي، أشهر ندماء الخلفاء العباسيين من المغنيين وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلم الكلام، ورواية الشعر، توفي سنة ٢٣٥هـ، انظر عنه: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦٥/١، الأصفهاني، الأغاني: ٥/ ١٧٧ ـ ٢٨٥.

(٣) الأغاني: ١٧٩/٥.

(٤) الأصل: أغسل والمثبت من الأغاني.

قال إسحاق: دعاني المأمون يوماً فسألني عن صوت، فقال: أتدري من صنعه، فقلت: أسمعه، ثم أخبر أمير المؤمنين بذلك إن شاء الله تعالى، فأمر جارية من جواريه وراء الستارة، فغنت وضربت [١٦٩] فإذا هي قد شبهته بالقديم، فقلت: زدني معها عوداً آخر، فإنه أثبت لي، فزادني آخر، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الصوت مُحْدَثٌ لامرأة ضاربة، فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لما سمعته وسمعت لينة، عرفت أنه من صنعة النساء، ولما رأيت جودة مقاطعة، علمت أن صاحبته ضاربة وقد حفظت مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبت عوداً آخر فلم أشك، قال: صدقت، الغناء لعريب[١]

قال اسحاق بن إبراهيم الطاهري: حدثتني مخارق مولاتنا قالت: كان لمولانا الذي علمني الغناء فرّاش رومي، وكان يغني بالرومية صوتاً مليح اللحن، فقال لي مولاي: يا مخارق، خذي هذا اللحن الرومي فانقليه إلى شعرِ صوتٍ من أصوات العربية حتى أمتحن به إسحاق الموصلي فأعلم أين يقع من معرفته، ففعلت ذلك، فصار إليه إسحاق فأجلسه، وبعث إليَّ مولاي أن أدخلي اللحن الرومي في وسط غنائك، فغنيته إياه في دَرْجِ أصوات مرت، فأصغى إليه إسحاق وجعل يتفهمه ويقسمه ويتفقد أوزانه، فقال: هذا الصوت رومي اللحن، فمن أين وقع إليك؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيت شيئاً أعجب من استخراجه لحناً رومياً لا يعرفه، ولا العلة فيه، وقد نقل إلى غناء عربي، وامتزجت نغمته، حتى عرفه ولم يَخْفَ عليه[٢].

قال: تناظر المغنون يوماً عند الواثق، فذكروا الضُرّاب وَحِذْقَهُم، فقدم إسحاق ربرباً على ملاحظ، ولملاحظ الرياسة في ذلك عليهم جميعهم، فقال لهم الواثق: هذا حَيْفٌ وبعدة منك، فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، اجمع بينهما وامتحنهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما، قال: فأمر بهما فأُحْضِرا، قال لـه إسحاق: إن للضراب[٣] أصواتاً معروفة[٤]، فامتحنهما بشيء منها، قال: أجل أفعل، فَسَمّى ثلاثة أصوات كان أولها[٥]: [السريع]

عُلِّقَ قلبي ظَبْيَةَ السَّيْبِ

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٣/٥ ـ ١٨٣.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٤/٥.

(٣) في الأصل: الضراب، والتصويب يقتضيه السياق.

(٤) في الأصل معروفاً، والتصويب يقتضيه السياق.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٤/٥.

فضربنا عليه فتقدم ربرب وقصر عنه ملاحظ، فعجب الواثق من كشفه لما ادَّعَاهُ في مجلس واحد، فقال له ملاحظ [١٧٠]: ما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس، ولم لا يضرب هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد في زماني أضرب مني، إلا إنكم أعفيتموني، فتفلت مني، وعلى أنَّ معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة، ثم قال: يا ملاحظ، شوش عودك وهاته، ففعل ذلك ملاحظ، قال إسحاق: يا أمير المؤمنين، هذا خلط الأوتار خلط متعنت، فهو لا يألو ما أفسدها، ثم أخذ العود فجسه ساعة حتى عرف مواضعه، وقال: يا ملاحظ(١)، غَنِّ أيَّ صوت شئت فغنى ملاحظ، فضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية، فلم يخرج عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه، عن تقوية واحدة، ويده تصعد وتنحدر على الدساتين، فقال لــه الواثق: لا والله ما رأيت مثلك قط، ولا سمعت به، اطرح هذا على الجواري، فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، هذا شئ لا تفي به الجواري، ولا يصلح لهن، وإنما بلغني أنَّ الفلفهد(٢) ضرب يوماً بين يدي كسرى أبرويز فأحسن، فحسده رجل من حذَّاق صنعته، فترقبه حتى قام لبعض شأنه، ثم خالفه إلى عوده فَشَوَّشَ بعض أوتاره، فرجع فضرب [وهو](٣) لا يدري، والملوك لا تُصَّلح في مجالسها العيدان، فلم يزل يضرب بذلك العود، إلى أن فرغ، ثم [قام](٤) على رجله فأخبره الملك بالقصة، فامتحن العود فعرف ما فيه، فقال: زِهْ زِهْ وزِهانْ زِهْ، ووصلة بالصلة التي كان يصل بها من خاطبه بهذه المخاطبة، فلما تواترت الروايات بهذا، أخذت نفسي بها، وَرُضْتَهَا عليه، وقلت: لا ينبغي أن يكون الفلفهد أقوى على هذا مني، فما زلت أستنبط بضع(٥) عشرة سنة حتى لم يبق في الأوتار موضع على طبقة من الطبقات، إلا وأنا أعرف نغمته كم هي، والمواضع التي يخرج النغم كلها منها، وهذا شيء لا تفي به الجواري، فقال لــه الواثق: لعمري لقد صدقت، ولئن مُتَّ لَتُموتَنَّ هذه الصناعة بموتك، وأمر له بثلاثين ألف درهم(٦).

قال: إسحاق: دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهدي، وفي مجلسه عشرون جارية قد

---

(١) الأصل: مخارق والمثبت من الأغاني.

(٢) في الإغاني: الفهليذ.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والَإضافة من الأغاني.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٥) في الأصل: بعض.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٧/٥.

أجلس عشراً عن يمينه، وعشراً عن يساره، ومعهن العيدان، فلما دَخَلْتُ سمعت من الناحية اليسرى خطأً فانكرته، فقال المأمون: يا إسحاق، أتسمع خطأً؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، مُر الجواري اللواتي في الناحية اليمني [١٧١] يمسكن، فأمرهن فأمسكن، فقلت لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فقال: [ما][1] ها هنا خطأ، فقلت: يا أمير المؤمنين يمسكن وتضرب الثامنة فأمسكن وضربت الثامنة، فعرف إبراهيم الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ها هنا خطأ، فقال المأمون عند ذلك لإبراهيم بن المهدي: لا تمار إسحاقَ بعدها، فإن رجلاً يعرف الخطأ بما بين وتر وعشرين لجدير أن لا تماريه، فقال: صدقت يا أمير المؤمنين[2].

قال أحمد بن حمدون: سمعت الواثق يقول: ما غنّاني إسحاق قط إلا ظننت انه قد زِيْدَ لي في مُلْكِي، ولا سمعته يغني غناء ابن سريج إلا ظننت أن ابن سريج نشر، وإنه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً فيتقدمه عندي بطيب الصوت، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو، ورأيت غيره ينقص، وإن إسحاق لنعمه من نعم الملوك التي لم يحظ أحد بمثلها، ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشتري لاشتريتهُنَّ له بِشَطر ملكي[3].

قال ابن المنجم: سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع اهل الرواية والعلم لا مع المغنين، فإذا أراد الغناء غناه، فأجابه إلى ذلك، ثم سأله بعد ذلك أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء، فأذن له، ثم سأله أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة، فقال: ولا كل هذا يا إسحاق، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمئة ألف درهم[4].

قال: وكان معه جماعة من المغنين يحضروا عند الواثق، وعيدانهم معهم، إلا إسحاق، فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة، فإذا أراد الخليفة أن يغني لــه، أحضر لــه عوداً، فإذا غنى وفرغ شِيْلَ من بين يديه، إلى أن يطلبه، وكان الواثق يكنيه، وكان إذا غنى وفرغ، وفرغ الواثق من شرب قدحه، قطع الغناء، فلم يُعدْ منه حرفاً، إلا أن يكون في بعض بيت فيتمه، ثم يقطع ويضع العود من يده[5].

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٧/٥.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٨/٥.

(٤) الأصفهاني: الأغاني: ١٨٨/٥.

(٥) الأصفهاني: الأغاني: ١٨٨/٥.

قال: كان إبراهيم يأكل المغنين أكلاً، حتى إذا حضر إسحاق فيداريه إبراهيم ويطلب مناقبه، ولا يدع إسحاق تبكيته ومعارضته، وكان إسحاق [١٧٢] آفته، كما لكل شيء آفة[١].

قال محمد بن راشد الجنان: سألني إسحاق أن أصير إلى إبراهيم بن المهدي، وقال: قل له أسألك عن شيء، فإذا قال لك: سل، قل له أخبرني عن قولك: [الطويل]

ذهبت عن الدنيا وأذهبتها عني وقد ذهبت مني

أي شئ كان معنى صنعتك فيه، وانت تعلم انه لا يجوز في غنائك التي صنعته إلا أن تقول: (ذهبتو) بالواو، فإن قلت (ذهبت) ولم تمدها تقطع اللحن، وإن مددتها قبح الكلام، وصار مثل كلام النبط، فقال لـه: يا أبا محمد: كيف أخاطب إبراهيم بهذا؟ فقال: هي حاجتي إليك، وقد كلفتك إياها، قال: فأتيت إبراهيم وجلست عنده وتحادثنا إلى أن جئنا إلى ذكر الغناء، فذكرت لـه ما قال إسحاق، فتغير لونه وانكسر، وقال: يا أبا محمد، ليس هذا من كلامك، هذا من كلام ابن الجرمقاني، قل لـه عني: أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصنع هذا للهو واللعب والعبث.

قال يحيى بن محمد الطاهري: حدثني ينشوا مولى أبي أحمد بن الرشيد قال: اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد واشترى معي رفيقي يحموم، ودفعنا إلى وكيل لـه أعجمي خراساني، وقال لـه: انحدر بهذين الغلامين على بغداد إلى إسحاق الموصلي، وادفع إليه مئة ألف درهم، وشهريا بسرجه ولجامه، وثلاثة أدراج فضة مملوءة طيباً، وسبعة تخوت وشي كوفي، وثلاثين ألف درهم للنفقة، وقال للرسول: عَرِّف إسحاق أن هذين الغلامين لرجل من وجوه العرب أهل خراسان، وجَّه بهما إليه ليتفضل عليه بتعليمهما أصواتاً اختارها وكتبها لـه في الدرج، وقال لـه: كلما علمهما صوتاً فادفع إليه ألف درهم حتى يتعلما بها مئة صوت، فإذا علمهما الصوتين اللذين بعد المئة فادفع إليه الشهري، ثم إذا علمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فأدفع إليه لكل صوت درجاً من الأدراج، ثم لكل صوتين بعد ذلك تختاً وسفطاً، حتى ينفد ما بُعث به معك، ففعل وانحدر بنا إلى بغداد، واتينا إسحاق فَغَنَّينا بحضرته، وأبلغه الوكيل الرسالة، فلم يزل يلقي [١٧٣] علينا الأصوات حتى أخذناها كما أَمَرَ سيدنا، ثم صرنا إلى سُرَّ مَنْ رأى، فدخلنا عليه وغنيناه جميع ما أخذنا فَسُرَّ بذلك.

---

(١) الأصفهاني: الأغاني: ١٩٢/٥.

وقدم إسحاق من بغداد إلى سر من رأى، فلقيه مولانا فدعا بنا وأوصانا بما أراد، وغدا بنا إلى الواثق، وقال: إنكما ستريان إسحاق بين يديه، فلا توهماه إنكما رأيتماه قط، وألبسنا أقبيةَ خراسانية ومضينا معه إلى الواثق، فلما دخلنا عليه قال لــه: يا سيدي، هذان غلامان اشتريا لي من خراسان يغنيان بالفارسية، فقال: غنيا، فضربنا ضرباً فارسياً، وغنينا غناء فهلنذيا، فطرب الواثق وقال: أحسنتما، فهل تغنيان بالعربية؟ قلنا: نعم، واندفعنا فغنيناه ما أخذنا من إسحاق، وإسحاق ينظر إليه، ويتغافل حتى غنيناه أصواتاً من غنائه، فقام إسحاق وقال: وحياتك وبيعتك وإلا فكل مملوك لي حر، وكل مال لي صدقة، إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي، ومن قصتهم كيت وكيت فقام أبو أحمد وقال للواثق: ما أدري ما يقول هذا، إني اشتريتهما من رجل نَخَّاسٍ خراساني [فقال لــه:][1] من أين يجيد تلك الأغاني؟ فضحك أبو أحمد وقال للواثق: صدق والله، أنا احتلت عليه، ولو رمت بأن أعلمهما ما أخذاه منه إذا علم انهما لي بأضعاف ما أعطيته ما فعل، فقال لــه إسحاق: قد تمت عليَّ حيلته[2] يا أمير المؤمنين[3].

قال: كنت عند الرشيد، فقال: يا إسحاق تُغَنِّ[4]: [الوافر]

شَـرِبْـتُ مُـدَامَـة وسُـقِـيْـتُ أُخْـرَى وراح الـمـنـتـشُـونَ ومـا انـتـشَـيْـتُ

فغنيته، فأقبل عليَّ إبراهيم بن المهدي وقال لي: ما أصبت يا إسحاق، فقال لــه: ليس هذا مما تحسنه أنت، ولا تعرفه، وإن شئت فغنَّه، فإن لم أجدك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال، ثم اقبلت على الرشيد وقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة ابي التي قربتني منك واستخدمتنا لك، وأوطأتنا بساطك، وإذا نازعناها أحد فلا نجد بداً من الإيضاح والذب، فقال: لا غرو ولا لوم عليك، وقام الرشيد ليبول، فأقبل إبراهيم بن المهدي عليَّ وقال: ويحك [١٧٤] يا إسحاق، وتجترئ عليَّ وتقول لي ما قلت يا ابن الزانية فدخلني ما لم أملك نفسي معه، وقلت لــه: أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك، وأنت ابن الخليفة ثم أخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك يا ابن الزانية كما قلت لي، ولكن قولي في ذمتك ينصرف إلى خالك الأعلم، ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه، قال إسحاق: وكان بيطاراً، قال:

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) بالأصل: حيلتك: والتصويب من الأغاني.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١/١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٤/٥.

وسكت إبراهيم، وعلمت أنه يشكوني إلى الرشيد، وأن الرشيد سوف يسأل من حضر عما جرى فيخبر به، ثم قلت لـه: أتظن أن الخلافة تصير إليك فلا تزال تهددني بذلك، وتعادي سائر أولياء أخيك حسداً لـه ولولده على الأمر، وأن تضعف عنه وعنهم فتستخف بأوليائهم تشفياً، وأني أرجو ألا يخرجها الله عن الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها، فإن صارت إليك ـ وبالله العياذ ـ فحرامٌ عَلَيَّ العيش حينئذ، والموت أطيب من الحياة معك، واصْنَعْ حينئذ ما بدا لك، فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين، شتمني وذكر أمي واستخفَّ بي، فغضب الرشيد، وقال لي: ما تقول ويلك؟ فقلت: لا أعلم، سَلْ من حضر، فأقبل على مسرور وحسين، فسألهما عن القصة، فجعلا يخبرانه، ووجهه يتربد، إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة فسري عنه ورجع، وقال لإبراهيم: ماله ذنب شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى مكانك وأمسك عن هذا، فلما انقضى المجلس وخرج الناس، أمر أن لا أبرح، وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيري، فساء ظني وهمتني نفسي، فقال: ويحك، يا إسحاق، أتراني لا أعرف وقائعك، قد والله زنيته دفعات ويحك لا تعد ويلك، حدثني عنك، لو ضربك إبراهيم، أكنتُ أقتص لك منه فأضربه وهو أخي، يا جاهل أتراه لو أمر غلمانه فقتلوك، أكنت أقتله بك، فقلت: قد والله قَتَلْتَنِي يا أمير المؤمنين بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلني، وما أشكُّ في أنَّهُ قد بلغه الآن، فصاح بمسرور وقال: علي بإبراهيم الساعة، وقال لي: قم فانصرف، فقلت لجماعة من الخدام وكلهم لي محباً وإليَّ مائلاً: أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد أنه لما دخل عليه وبخه وجهله، وقال لـه: تستخف بخادمي وبصنيعتي ونديمي وابن خادمي وصنيعتي [١٧٥] وصنيعة أبي، وتقدم علي وتضع في مجلسي؟ هاه وهاه، تقدم علي هذا وأمثاله وانت انت مالك والغناء؟ وما يدريك ما هو؟ ومن اخذك به وطارحك إياه حتى تظن إنك تبلغ منه مبلغ إسحاق الذي غُذِّي به وصناعته، ثم تظن إنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك، فلا تثبت لذلك وتعتصم منه بشتمه، إليس هذا مما يدل على الشطوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك، ثم إظهارك إياه ولم تحكمه وادعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس إلى أفراط الجهل، وألا تعلم ـ ويحك ـ أن هذا سوء الأدب وقلة معرفة ومبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح؟ ثم قال لـه: والله العظيم وحق رسوله الكريم، وإلا فإنا نفيٌ لأبي أن أصابه سوء أو سقط من دابته، أو سقط عليه سقفه، أو مات فجأة لأقتلنك، فوالله والله والله، وأنت أعلم، فلا تعرض لـه، قم الآن فاخرج، فخرج وقد كاد يموت، فلما كان بعد ذلك دخلت عليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عنه، وجعل ينظر

إليه مرة وإليَّ أخرى ويضحك، ثم قال لـه: إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه، وأن هذا لا يجيئك من قبله إلا أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف قدره وحقه وَصِلْهُ، فإذا فعلت ذلك ثم خالف ما تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق، ثم قال لي: قُمْ إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه، فقمت إليه وأصلح الرشيد بيننا[1].

قال إسحاق: لما أرد الفضل بن يحيى الخروج إلى خراسان، ودعته ثم أنشدت[2]: [المتقارب]

فِـراقُـكَ مـثـلُ فِـراقِ الـحـيـاةِ وفَـقْـدُكَ مـثـلُ افـتـقَـادِ الـنَّـعَـمْ[3]
عـلـيـكَ الـسَّـلامُ فَـكَـمْ مِـنُ وفَـاءٍ أُفَـارِقُ مـنـكَ وكَـمْ مِـنُ كَـرَمْ[4]

قال: فضمني إليه، وأمر لي بألف دينار، وقال: يا أبا محمد، لو حليت هذين البيتين بصنعة، وأودعتهما بعض من يصلح من الخارجين معنا، لأهديت لي بذلك أُنساً وأذكرتني نفسك، ففعلت ذلك وطرحته على بعض المغنين وكان كتابه لا يزال يرد [١٧٦] عليَّ ومع ألف دينار وألفا دينار يصلني بذلك كلَّما غُني بهذا الصوت[5].

قال أحمد بن يحيى المكي: دعاني الفضل بن الربيع، ودعا علوية ومخارقاً، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه لـه ورضاه عنه، فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق الموصلي يسأله أن يصير إليه ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده: فكتب إليه: لا تنتظروني في الأكل، فإني قد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة، فأكلنا وجلسنا نشرب، حتى قربت صلاة العصر، ثم أوفى إسحاق وجاء غلامه بقطرميز نبيذ فوضعه ناحيةً، وأمر صاحب الشراب بإسقائه منه، وكان علوية يغني الفضل صوتاً اقترحه عليه وأعجبه، وهو[6]: [الطويل]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٤/٥ ـ ١٩٦.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٨/٥.
(٣) في الأغاني: الديم بدلاً من النعم.
(٤) في الإغاني: فيك بدلاً من منك.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٨/٥.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢٠١/٥.

فَإن تَعْجَبي أو تبصِري الدَّهرَ ضَمَّني   بأحداثه ضَمَّ الُمقَصَّص بالجَلَمْ[1]
فَقَدْ أتركُ الأضيافَ تَنْدى رِحالُهم   وأُكْرِمَهُمْ بالنّحض الناصِل الشَّبم[2]

فقال: أخطأت يا أبا الحسن في قسمه هذا الصوت، وأنا اصلحه لك، فجن علوية واغتاظ وقامت قيامته، فأقبل عليه إسحاق وقال: يا حبيبي، ما أردت الوضع منك بما قلت لك، وإنما أردت تهذيبك وتقويمك لأنك منسوب في الصواب والخطأ إلى أبي وإليّ، فإن كرهت ذلك تركتك وقلت لك أحسنت وأجملت، فقال لـه علوية: والله ما هذا أردت، إلا ما تتركه أبداً من سوء عشرتك، أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير وعرفك أنه قد نشط للاصطباح، ما حملك على الترفع من مباكرته وخدمته؟ أمن شغل؟ فما يشغلك عنه شيء إلا الخليفة، ثم تجيئه معك قطرميز نبيذ ترفعاً عن شرابه، كما ترفعت عن طعامه ومجالسته؟ وترى أنك تجيئه كما تشتهي حتى تبسطكما الأكفاء، ثم تعمد إلى صوت وقد اشتهاه واقترحه وسمعه جميع من حضر، فما عابه أحد فعبته، ليتم تنغيصك إياه لذته، والله لو أن الفضل بن يحيى وأخاه جعفراً، لا والله، بل بعض أتباعهم دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير، لبادرت وباكرت وما تأخرت ولا اعتذرت، قال: وأمسك الفضل إعجاباً بما خاطب علوية إسحاق: فقال لـه [١٧٧] إسحاق: أما ما ذكرته من تأخري إلى الوقت الذي حضرت فيه، فهو يعلم أني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وثق بذلك مني وإلا ذكرت الحجة سراً من حيث لا يكون لك فيه مدخل، وأما ترفعي عنه، فيكف اترفَّعُ عنه وأنا انتسب إلى صنائعه واستميحه، وأعيش في فضله مذ كنت، وهذا تضريب منك لا أُبالي به، وأما حملي النبيذ معي، فإن لي في النبيذ شرباً من طعمه إن لم أجده لم أقدر على ذلك الشرب منه، وينغص علي يومي أجمع، وإنما حملته ليتم نشاطي فينتفع بي، وأما طعني على ما أختاره، فإني لم أطعن على اختياره، وإنما أردت تقويمك، ولست والله تراني متتبعاً لك بعد اليوم ولا مقوماً شيئاً من خطاياك، وأنا اغني لـه اعزك الله هذا الصوت، فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك قد أخطأته وقصرت فيه، وأما البرامكة وملازمتي لهم فأشهر من أن أجحده، وذلك والله أقل ما يستحقونه مني، ثم أقبل على الفضل وقد غاظه في مدحه لهم فقال: اسمع مني شيئاً أخبرك به فيما فعلوه بي، ليس هو كثيراً في صنائعهم عندي ولا عند أبي، فإن وجدت لي في ذلك عذراً وإلا فَلُمْ، كنت مع

(١) في الأغاني: طمني..... طم.
(٢) في الأغاني: وأكرمهم بالمحض والتامك السنم.

ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره، فكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه، وجواري وجواريه الخصومة، كما تجري بين هذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتبين الضجر في وجهه، فاستأجرت داراً واسعة، فلم أرض ما معي من الآلات لها لمن يدخل إليَّ من إخواني، أن يرى مثله عندي، وفكرت في ذلك وكيف أصنع فيه، وزاد فكري حتى خطر بقلبي قبح الأحدوثة من نزول مثلي في داره بأجرة، وأني لا آمن في وقت ان يستأذن علي وعندي بعض الرؤساء والأصدقاء الذين احتشمهم ولا يعلمون حالي، فيقول: صاحب دارك، أو يوجه في وقت فيطلب اجرة الدار وعندي من أستحشمه، فضاق بذلك صدري ضيقاً عظيماً، حتى جاوز الحد، فأمرت غلماني بأن يسرج لي حماراً كان عندي لأمضي إلى الصحراء أتفرج فيها، مما دخل إلى قلبي، فأسرجه وركبت برداء ونعل، فأفضى بي المسير وأنا مفكر لا أميز الطرق التي اسلك فيها، وهجم بي على باب [١٧٨] يحيى بن خالد، فوثب غلمانه إليَّ وقالوا: أين هذا الطريق؟ فقلت: إلى الوزير، فدخلوا فاستأذنوا وخرج إليَّ الحاجب فأمرني بالدخول، وبقيت خجلاً، قد وقعت في أمرين قبيحين، إذا دخلت عليه برداء ونعل، وأعلمته أني قد قصدته في تلك الحال كان سوء أدب، وإن قلت لــه أني كنت مجتازاً ولم أقصدك فجعلتك طريقاً، كان قبيحاً، ثم عزمت على صدقة، فلما رآني تبسم وقال: ما هذا الزي يا أبا محمد، إحتسبنا لك بالبر والقصد والتفقد، ثم علمنا إنك جعلتنا طريقاً، فقلت: لا والله أيُّها الوزير، ولكني أصدُقُك، قال: هات، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فقال: هذا أحق مستوٍ، أفهذا أشغل قلبك، قلت: أي والله، وزاد فقال: لا تشغل قلبك بهذا، يا غلام: رُدَّ حماره، وهاتوا خلعةً، فجاؤوني بخلعة من ثيابه تامة فلبستها، وجيء بالطعام فأكلنا، ووضع النبيذ فشربت وشرب وغنيته، ثم دعا بدواة ورقعة، فكتب أربع رفعات، فظننت بعضها توقيعاً لي بجائزة فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فسارّه بشيء، فزاد طمعي بالجائزة، ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر، فلا أرى شيئاً إلى العتمة، ثم اتكأ يحيى فنام، وقمت من عنده، وأنا منكسر خائب فخرجت وقدم إلي حماري، فلما عاودت الدار قال لي غلامي [اين تمضي: قلت][1] للبيت، قال: قد بيعت وأشهد على صاحبها، وابتيع الدرب كله ووزن ثمنه، والمشتري جالس على بابك ينتظر ليعرفك وأظنه ابتاع ذلك للسلطان، لأني رأيت الأمر في عجلة واستحثاث أمر سلطانياً، فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي، وأنا لا أدري ما أعمل، فلما نزلت على باب داري، [إذا أنا][2] بالوكيل الذي

(١) في الأصل: فلك، والتصويب من الأغاني.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

سارّه يحيى قد قام إليَّ وقال: أدخل ـ أيَّدك الله ـ دارك، حتى أدخل إليك في أمر أحتاج إلى مخاطبتك فيه، فطابت نفسي بذلك، ودخلت الدار ودخل إلي فأقرأني توقيع يحيى: يطلق لأبي محمد إسحاق مئة ألف درهم يبتاع لـه داره، وجميع ما يجاوروها ويلاصقها.

والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل: قد أمرت لأبي محمد إسحاق[بمئة ألف درهم][1] يبتاع لـه بها داره فأطلق لـه مثلها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي.

والتوقيع الثالث إلى ابنه جعفر [١٧٩] قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمئة ألف درهم يبتاع له منها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بمئة ألف درهم ينفقها على بنائها ومرمتها على ما يريد فأطلق أنت له مئة ألف درهم يبتاع بها فرشاً لمنزله.

والتوقيع الرابع إلى محمد ابنه قد أمرتُ وأخواك بثلاثمائه ألف درهم لمنزل يبتاعه وفرش يبتذله فيه، ونفقة ينفقها عليه فأمر له بمئة ألف درهم ينفقها في سائر نفقته.

وقال لي الوكيل: قد حملت المال كله وأشتريت كل شئ حولك بسبعين ألف درهم وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك، وهذا المال الباقي في يدي ها هو بورك لك فيه، فقبضته، وأصبحت أحسن الناس حالاً ومرأىً في منزلي وفرشي وآلتي[2]، والله ما هذا من أكثر شيء فعلوه بي، أفألام على ذلك في شكرهم؟ فبكى الفضل بن الربيع وكُلٌّ من حضر، وقالوا: لا والله، لا تلام على شكرهم، ثم قال لـه الفضل: بحياتي عليك، غن الصوت ولا تبخل على أبي الحسن ان تقومه له، قال: أفعل، وغناه، فتبين علوية أنه كما قال، فقام فقبل رأسه، وقال: أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد، وَرَدَّه إسحاق مراتٍ حتى استوى لعلوية[3].

قال إسحاق: قلت في ليلةْ من الليالي[4]: [الخفيف]

هـل إلـى نـظـرةٍ إلـيـكِ سـبـيـل	يُرْوَ منـهـا الـصَّدَى ويُشفى العليل
إن مَـا قَـلَّ مـنـكِ يـكـثُـرُ عـنـدي	وكـثيِّر ممـن تحـبُّ القـليـلُ

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصل: ولكني، والمثبت من الأغاني.

(٣) الأصل: علوية والمثبت من الأغاني، والخبر في الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٠١ ـ ٢٠٣

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٠٧.

فلما أصبحت أنشدتها الأصمعي، فقال:هذا الديباج الخُسرواني، هذا الوشي الإسكندراني، لمن هذا؟ فقلت: ابن ليلته، فتبيَّنْتُ الحسدُ في وجهه، وقال: أفسدته أفسدته أما إنَّ التوليد فيه لبينٌ[1].

قال الإصمعي: دخلت أنا وإسحاق الموصلي يوماً على الرشيد فرأيته لقس النَّفس، فأنشده إسحاق[2]: [الطويل]

وآمرةٍ بالبخل قيْلَ لها اقْصِرِيْ ... فذلكَ شئٌ مَا إليهِ سبيل[3]

أرى الناس خُلان الكرام ولا أرى ... بخيلاً له حتَّى المماتِ خليلُ

[١٨٠] وإنّي رأيتُ البُخْلَ يُزْري بأهله ... فأكرمتُ نفسي أنْ يُقالَ بخيلُ

ومن خيرِ حالات الفتى قد عَلمْتُهُ ... إذا نال خيراً أن يكونَ يُنِيْلُ

وكيف أخافُ الفَقْرَ أو أُحَرمُ الغنى ... ورأيُ أميرِ المؤمنين جميلُ

فقال الرشيد: لا تخف[4] إن شاء الله، ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها، ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها، وأمر له بخمسين ألف درهم، فقال له إسحاق: وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلام آخذ الجائزة؟ فضحك الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول [مئة ألف درهم][5]، قال الأصمعي: فقلت يومئذ إن إسحاق أحذق بصيد الدراهم[6].

قال إسحاق: جاءني الزبير بن دحمان مُسَلِّماً فاحتبسته، فقال لي: قد أمرني الفضل بن الربيع بالمصير إليه، فقلت له: أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ونلهُ مع اللاهين يوماً ونلعب[7]: [الطويل]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٠٧/٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢١٠/٥.

(٣) في الأغاني: قلت لها أقصري.

(٤) الأصل: كيف والمثبت من الأغاني.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٢١٠/٥ ـ ٢١١.

(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٢١٢/٥.

إذا مـا رأيـتَ الـيـومَ قَـدْ بـانَ خَـيْـرُهُ فَخُذهُ بِشُكْرٍ واتْرك الفَضْلَ يَصْخَبُ[1]

فأقام عندي وشربنا يومنا، ثم صار إلى الفضل بن الربيع، فسأله عن سبب تأخره، فحدثه الحديث وأنشده الشعر، فغضب وحول وجهه عني، وأمر عوناً حاجبه ألا يدخلني إليه ولا يستأذن لي عليه، ولا يوصل لي رقعة إليه، فقلت[2]: [الطويل]

حرامٌ عليَّ الكأسَ ما دمْتَ غضبانا ومالم يَعُدْ عنِّي رضاكَ كما كانا
فأحْسِنْ فإني قد أسأتُ ولم تَزلْ تُعَوِّدُني عند الإساءَة إحسانا

قال: فأنشدته إياها فضحك ورضي عني، وعاد إلى ما كان عليه[3].

قال ابن المكي: كان المغنون يجتمعون مع إسحاق، وكلهم أحسن صوتاً منه، ولم يكن فيه عيب إلا صوته، فيطمعون فيه، فلم يزل بلطفه وحذقة ومعرفته حتى يغلبهم ويبزهم جميعاً، ويفضلهم ويتقدم عليهم[4].

قالوا: هو أول من أحدث المجنب ليوافق صوته ويشاكله، فجاء معه عجباً من العجب، وكان في حلقه نبوٌّ من الوتر.

قال إسحاق: كنت يوماً عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلما جلسوا للشرب، جعل الغلمان يسقون من حضر، وجاء غلام قبيح الوجه إليَّ [١٨١] بقدح فيه نبيذ، فلم آخذه، ورآني إسحاق، فقال: لم لا تشرب؟ فقلت له[5]: [البسيط]

اصْبَحْ نديمك أقداحاً تُسَلْسِلُهَا من الشَّمولِ وأتْبِعْهَا بأقْداحِ
من كَفِّ ريمٍ مليحِ الدَّلِّ رِيُقَتُهُ بعدَ الهجوعِ كمسكٍ أو كتُفَّاحِ
لا أشربُ الرَّاحَ إلا من يَدَيْ رَشَأٍ تقبيلُ راحَتِه أشهى من الراحِ

فضحك وقال: صدقت والله، ودعا بوصيفةٍ تامة الحسن في زي غلام عليها أقبية

---

(١) في الأغاني: قد جاء خيره.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢١٢.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢١٢.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢١٣.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢١٦.

ومنطقة، وقال لها: تولي سقي أبي محمد، فما زالت تسقيني حتى سكرت، ثم أمر بتوجيهها وكل ما لها في دارها الي، فحملت معي[1].

قال ابن المكي: تذاكرنا يوماً عنده صنعه إسحاق، وقد كنا بالأمس عند المأمون فغناه إسحاق لحناً صنعة في [شعر][2] ابـن ياسين[3]: [مجزوء الخفيف]

الـطـلـول الـدّوارِسُ	فــارقَـتْـهــا الأوانِــسُ
أوحــشــتْ بـعــد أهـلـهــا	فــهــي قَـفْـرٌ بـسـابِـسُ

قال: فقال لي أبي: لو لم يكن من بدائع إسحاق غير هذا لكفاه، الطلول الدوارس، كلمتان قد غنى فيهما استهلالاً وبسطاً، وصاح وسجح ورجح النغمة، واستوفى في ذلك كله في كلمتين، وأتى بالباقي مثله، فمن شاء فليفعل مثل هذا أو فليقاربه، ثم قال إسحاق: والله والله ما في زماننا فوق ابن سريج والغريض ومعبد، ولوعاشوا حتى يروه لعرفوا فضله، واعترفوا له به[4].

قال صالح بن الرشيد: كنا يوماً عند المأمون، ومعه جماعة من المغنيين فيهم إسحاق وعلويه ومخارق وعمرو بن بانة، فغنى مخارق صوتاً من صنعة إسحاق، وهو[5]: [الطويل]

أعـاذلُ لا آلـــوك إلا خـلـيـقـتـي	فلا تجـعلـي فوقي لسانِكِ مِبْرَدا
ذريـنـي أكُـنْ لـلـمـالِ ربًّـا ولا يـكُـنْ	لي المـالُ رباً تحمـدي غِبَّهُ غَدَا
ذريـنـي يـكـن مـالـي لـعـرضـي وقـايـةْ	يقي المالُ عرضـي قبل أن يتبدَّدا
ألـم تـعـلـمـي أنـي إذا الـضـيـفُ نـابـنـي	وعُّر القِرى أقري السديف المُسَرْهَدا

[١٨٢] فقال لـه المأمون: لمن هذه اللحن؟ قال: لهذا الهزبر الجالس، يعني إسحاق، فقال المأمون لمخارق: قم فاقعد بين يدي وأعد عليَّ الصوت، فقام فجلس بين يديه، فغناه فأجاد، وشرب المأمون عليه رطلاً، ثم التفت إلى إسحاق فقال: غن هذا الصوت، فغناه فلم

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢١٥/٥ ـ ٢١٦

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٣/٥.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٣/٥.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٤/٥.

يستحسنه كما سمعه من مخارق، ثم دار الدور إلى علوية، فغني صوتاً من صنعة إسحاق أيضا، وهو[1]: [الوافر]

أُريتُ اليومَ نارَكِ لم أغَمِّض | بواقصةٍ ومَشْرَبُنا بَرُودُ
فلم أرَ مثلَ موقدِها ولكنْ | لأيَّةِ نظرةٍ زهَرَ الوُقودُ
فَبِتُّ بليلةٍ لا نومَ فيها | أكابدُها وأصحابي رقُودُ
كأنَّ نجومها رُبِطَتْ بصَخْرٍ | وأمراسٍ تدورُ وتستزيدُ

فقال المأمون: لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس، وأشار إلى إسحاق، فقال لعلوية: اعده، فأعاده وشرب عليه رطلاً، وقال لإسحاق:غنه، فغناه، فلم يطرب عليه طربه لعلوية، فالتفت إسحاق وقال: أيها الأمير لولا أنه مجلس سرور وليس بمجلس حجاج وجدل لأعلمته أنه طرب على خطأ، وأن الذي استحسنه، إنما هو تزايد منهما يفسد قسمة اللحن وتجزئته، وكان الصواب ما غنيته لا ما زاداه، ثم أقبل عليهما وقال: يا مخنثان، قد علمت إنَّكُما لم تريدا بما فعلتما مدحي ولا رفعي، وأنا على مكافأتكما قادر، فضحك المأمون وقال له: ما كان ما رأيته من طربي إلا استحساناً لأصواتهما، لا تقديما لهما، ولا جهلاً بفضلك[2].

قال إسحاق: كانت أعرابية تقدم من البادية، فأفضل عليها وكانت فصيحة، فقالت لي: والذي يعلم مغزى كل ناطق، لكأنك في علمك ولدت فينا ونشأت معنا، ولقد أريتني نجداً بفصاحتك وأحللتني الربيع بسماحتك، فلا أطّرد لي قول إلا شكرتك، ولا نسمت لي ريح إلا ذكرتك[3].

قال الهشامي[4]: كان أهلنا يعتبرون إسحاق فيما يقوله في نسبة الغناء واختياره، بأن يجلسوا كاتبين فهمين خلف الستارة [١٨٣] يكتبان ما يقوله ويضبطانه، ثم يتركونه مدة حتى ينسى ما جرى، ثم يعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرأه من دفتر، فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يُسْأَلُ عنه إلا الحق[5].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٥/٥.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٤/٥ ـ ٢٢٥.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٨/٥.
(٤) الأصل: الهاشمي والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٩/٥.

قال عبدالله بن العباس الربيعي: اجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنى علوية[1]: [الطويل]

لِـــعَـــبْـــدَةَ دارٌ مـــا تُـــكَـــلِّـــمُـــنَـــا الـــدَّارُ

فقال له إسحاق: شتمنا قَبَّحَهُ الله، وسكت وبان ذلك فيه، وكان علوية أخذه من إبراهيم[2].

قال يحيى بن معاذ: كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خلوا فهما أخوان، وإذا التقيا عند خليفة تكاشفا أقبح تكاشف، فاجتمعنا يوماً عند المعتصم، فقال لإسحاق: يا إسحاق، إن إبراهيم يثلبك ويغض منك: فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، أفعل الساعة فعلاً إن زعم أنه يحسنه، فلست أحسن شيئاً، وإلا فلا ينبغي أن يدعي ما لا يحسنه، ثم أخذ عوداً فشوش أوتاره، فقال لإبراهيم: غن على هذا أو يغني غيرك، واضرب عليه، فقال المعتصم: يا إبراهيم، قد سمعت قول إسحاق فما عندك؟ قال: ليفعله هو إن كان صادقاً، فقال إسحاق: غن حتى أضرب، فأبى، فقال لزرزر الكبير: غن أنت، فغنى: وإسحاق يضرب عليه، حتى فرغ من الصوت، ما علم أحد أن العود مشوش، ثم قال: هاتوا عوداً آخر وجعل كل وتر منه في الشدة واللين مقدار العود المشوش الأول، حتى استويا، فقال لزرزر: خذ أحدهما، فأخذه، ثم قال: إنظر إلى يدي وإفعل كما أفعل، واضرب، ففعل، وجعل إسحاق يغني ويضرب، وزرزر ينظر إليه ويضرب، ويعمل كما يعمل، فما ظن أحد أن في العودين شيئاً من الفساد، ثم قال لإبراهيم: خذ الآن العودين فاضرب منه مبدأ أو طريقةً أو كيف شئت، إن كنت تحسن شيئاً فلم يفعل، وانكسر انكساراً شديداً فقال لــه المعتصم: أرأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، ما رأيت، ولا ظننت أن مثله يتم ولا يكون[3].

قال: كان الواثق إذا صنع صوتاً قال لإسحاق: هذا[١٨٤] وقع إلينا البارحة فاسمعه، فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء، فكاده مخارق عنده، وقال لــه: إنما يستجيد صنعتك إذا حضر ليقاربك ويستخرج منك فإذا فارقك قال في صنعتك غير ما تسمع، قال الواثق: فأنا أحب أن أقف على ذلك، فقال مخارق: أنا أغنيه صوتك[4]: [الطويل]

أيَـــا مُـــنْـــشِـــرَ الـــمـــوتـــى

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣١/٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣٠/٥.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣٢/٥.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣٤/٥.

فإنه [لم][1] يعلم أنه لك، ولم يسمعه من أحد، قال: فافعل، فلما دخل إسحاق، غناه مخارق وتعمد لأن يفسده بجهده، وفعل ذلك في مواضع خفية لم يعرفها الواثق من قسمته، فلما غناه، قال الواثق لإسحاق: كيف ترى هذا الصوت؟ قال: فاسد غير مرضي، فأمر به فسحب من المجلس حتى أخرج عنه، وأمر بنفيه من بغداد، ثم جرى ذكره يوماً فقالت فريدة: يا أميرالمؤمنين، إنما كاده مخارق فأفسد الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سره، ويفهم من غامض علم الصناعة ما لا يفهمه غيره، فليحضره أمير المؤمنين ويحلفه بغليظ الإيمان على حقيقة الصوت، فإذ كان فاسداً فصدق عنه إن لم يكن عيباً ووافقناه عليه حتى يستوي، فليس يجوز أن يتركه فاسداً، وإن كان صحيحاً، قال فيه ما عنده، فأمر بالكتاب بِحْملِه فحمل واحضر، وأظهر الرضا عنه، ولزمه أياماً، ثم أحلفه أنه يصدقه عما يمر في مجلسه، فحلف لـه، ثم غُنى الواثق أصواتاً يسأله عنها أجمع فيخبر فيها بما عنده، ثم غنته فريدة هذا الصوت، وسأله الواثق عنه، فرضيه واستجاده وقال: ليس على هذا سمعته المرة الأولى، وأبان عن المواضع الفاسدة، وأخبر بإفساد مخارق إياها، فسكن غضبه الذي كان، وتنكر لمخارق مدة.

قال إسحاق: ما كان يحضر الواثق أعلم منه بالغناء، قال إسحاق: كتبت إلى علي بن هشام أطلب نبيذاً، فبعث إليَّ بما التسمت، وكتب: قد وجهت إليك بشراب أصلب من الصخر، وأعتق من الدهر، وأصفى من القطر[2][١٨٥].

قال: لما غنى إسحاق لحنه في شعر هو[3]: [المنسرح]

يـا أيُّـهـا الـقـائـمُ الأمـيـنُ فَـدَتْ	نَـفْـسَـكَ نَـفْـسِـي بـالـمـالِ والـولـدِ
بَـسْـطْـتَ لـلـنـاسِ إذ ولـيـتَـهُـمُ	يـداً مِـنَ الـجـود فـوقَ كُـلِّ يـدِ

أمر له بألف ألف درهم، فحملت إليه على مئة فرّاش حتى أدخلت إليه[4].

---

(١) ساقطة من الأصل والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٤٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٤١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٤١.

قال عمرو بن بانه: رأيت [إبراهيم بن][1] المهدي يناظر إسحاق في الغناء، فتكلما بما فهماه، ولم أفهم منه شيئاً، فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء، فما نحن في قليل منه ولا كثير[2].

قال: خالف إبراهيم إسحاق في شيء من التجزئة، فقال له: إلى من أحاكمك، فالناس بيننا حمير[3].

قال ابن المنجم: قال لي محمد بن الحسين بن مصعب،وكان بصيراً بالغناء والنغم: لحن إسحاق في تشكي الكُميت الجري أحسن من لحن ابن سريج فيه، ولحنه تُبدي لنا أحسنُ من لحن معبد فيه، وذلك من أجود صنعة ابن سريج، وهذا من أجود صنعة معبد، قال: فأخبرت إسحاق بقولـه، فقال: قد أخذت بزمامي راحلتهما فزعزعتهما ثم أنختهما فما بلغتهما، فأخبرت بذلك محمد بن الحسن، فقال: هو والله يعلم أنه قد برز عليهما، ولكنه لا يدع تعصبه للقدماء[4].

قال أبو الفرج[5]: وكان إسحاق قد اعتلت عيناه، وضعف بصره، وكف في آخر عمره، قال: وكان السبب في علة عينيه أن إبراهيم ابن أخي سلمه الوصيف، نازع إسحاق بين يدي الرشيد في شيء من الغناء، فرد عليه، فشتمه إبراهيم، فردعليه إسحاق وأربى عليه في الرد، فقال: أترد علي وأنا مولى أمير المؤمنين فقال إسحاق: اسكت، فإنك من موالي العبدين، فقال له الرشيد: يا إسحاق، وأي شيء موالي العبدين؟ فقال: يا أمير المؤمنين، يشتري الخلفاء كل صانع في العبيد للعتق، فيكون فيهم الحائك والحجّام والسائس، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتهم، قال: وخرج إبراهيم فوقف لـــه في طريقه، فلما جاز عليه منصرفاً ضرب رأسه بمقرعة فيها معول، فكان ذلك سبب ضعف نظره، فبلغ الرشيد الخبر فأمر يحجب [١٨٦] عنه إبراهيم، وحلف ألا يدخل عليه، فدس إلى الرشيد من غناه[6]: [الخفيف]

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٤٣.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٤٤.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٤٦.
(٥) الأغاني: ٥/٢٤٩.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٤٩.

مَــنْ لِــعَــبْــدٍ أذلَّـــهُ مَـــوْلاه ... مَـــالَـــهُ شَـــافِـــعٌ إلـــيـــه سِـــواهُ

يـشـتـكـي مـا بـهِ إلـيـه ويَـخْـشَـا ... هُ ويـرجـوهُ مـثـلَ مـا يـخـشـاهُ

فسأل الرشيد عن صانع لحنها فعرفه، فحلف أن لا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق، فقام وقال: قد رضيت عنه يا سيدي رضئ صحيحاً، وقبل الأرض لما كان من قوله، فرضي عنه وأحضره وأمره بترضي إسحاق ففعل.

قال ابن المكِّي: كان إسحاق إذا غنى هذا الصوت، يأخذ بلحيته ويبكي[1]:[الطويل]

إذا الـمرءُ قَاسَى الـدَّهرَ وأبيضَّ رأسُهُ ... وثُـلِّـمَ تـثـلـيـم الإنـاء جـــوانـبُـهْ

فَلَلْمَـــوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ خَسِيْسَةٍ ... تُـبَـاعِـدُهُ طَـوراً وطْـوراً تُـقَـارِبُـهْ

قال أبو الفرج[2]: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعي، ويكثر الرواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فهجاه[3] إسحاق وثلبه، وكشف للرشيد معايبه، وأخبره بقلة شكره وبخله وضعف نفسه، وأن الصنيعة لا تزكو عنده، وأن أبا عبيده أوثق منه وأصدق وأسمح بالعلم منه، فأنفذ إليه مَنْ أقدمه، وأبعد الأصمعي، فقال الأصمعي لإسحاق[4]: [البسيط]

أَإن تـغـنـيـت لـلـشَّرب الـكـــرام: ألا ... رد الـخـلـيـط جـمـال الـحي فـانـفـــرقوا

وقـيـل أحـسـنـت فـاسـتـدعـاك ذاك إلى ... ما قلت ويحك لا يذهب بك الخرق

وقـيـــل أنت حـسـان الـنـاس كـلـهـم ... وابن الحسان فقد قالوا وقد صدقوا

فـمـا بـهـذا تـقـــوم الـنـادبـات ولا ... يثنى عليك إذا ما ضمَّك الخرق[5]

قال إسحاق: جاء عطا الملط[6] بجماعة من أهل البصرة إلى قُرَيْب أبي الأصمعي، وكان نذلاً من الرجال، فوجده ملقى على وجهه في كساء نائماً في الشمس، فركله برجله، وصاح به: يا قريب، قم ويلك، فقام فقال: هل لقيت أحداً من أهل العلم، أو من أهل اللغة، أو من

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٥٠/٥.

(٢) الأغاني: ٢٥٢/٥.

(٣) في الأصل: فمحاه، والمثبت من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢٥٢/٥.

(٥) الأصل: إذا ما ضمت الحرق، والمثبت من الأغاني.

(٦) في الأغاني: عطاء الملك.

العرب، أومن الفقهاء أو من المحدثين؟ قال: لا والله، فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعي، فاشهدوا لي عليــه وعلى ما سمعتم منه، لا [١٨٧] يقول لكم الأصمعي غداً أو بعده،حدثني أبي، أو أنشدني أبي، ففضحه[١].

قال الصولي: كان لإسحاق غلام يقال لــه فَتْح، يسقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً، فقال لــه إسحاق يوماً: أي شيء خبرك يا فتح، قال: خبري أنه ليس في هذا الدار أشقى مني ومنك، قال: وكيف ذاك؟ قال: أنت تطعم أهل الدار الخبز، وأنا أسقيهم الماء، فاستظرف قولــه وضحك منه، فقال لــه: وايُّ شيء [تحب قال][٢]: تعتقنــي[٣] وتهب لي البغلين أسقي عليهما، قال: قد فعلت[٤].

قال[٥]: وكان إسحاق يقول: الأسناد قيد[٦] الحديث، فتحدث مرة بحديث لا إسناد[٧] لــه، فَسُئِلَ عن إسناده، فقال:هذا من المرسلات عُرْفاً[٨].

قال إسحاق: قال لي الرشيد يوماً: أيُّ شيء يتحدث الناس؟ قال: يتحدثون بأنك تقبض على البرامكة، وتولي الفضل بن الربيع الوزارة، فغضب وصاح، وقال:ما أنت وذاك ويلك، فأمسكت، فما كان بعد أيام دعا بنا[٩] فرأيته عَيَانا، وكان أول شيء غنيته أبياتاً لأبي العتاهية[١٠]: [مجزوء الوافر]

إذا نــحــنُ صَــدَقْــنَــاكَ | فــضَّــر عــنــدك الــصــدقُ
طــلــبــنــا الــنــفــع بــالــبــاطــل إذا لــم يــنــفــع الــحــقُ
فــلــو قــدّم صــبّــاً فــي | هــواه الــصــبــر والــرفــقُ

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٥٣.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) الأصل: تعفيني، والمثبت من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٥٦.
(٥) المقصود هنا الصولي.
(٦) الأصل: فيه،والمثبت من الأغاني.
(٧) الأصل: الأسناد، والمثبت من الأغاني.
(٨) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٥٧.
(٩) الأصل:عادتنا، والمثبت من الأغاني.
(١٠) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٦١.

لــقُــدِّمْــتُ عــلـــــى الــنـــاس ولـــكــــــن الـــهــــــوى رزقُ

فضحك الرشيد وقال: ويلك يا إسحاق قد صرت حقوداً[1].

قال إسحاق: ذكر المعتصم يوماً بعض أصحابه وقد غاب عنه، فقال:تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت، فقال قوم: يلعب بالنرد، وقال قوم: يغني، فبلغتني النوبة، فقال: قل يا إسحاق، فقلت: إذاً أقوله وأصيب، قال: أتعلم الغيب؟ قلت: لا، ولكنني أفهم ما يصنع وأقتدر على معرفته، قال:فإن لم تصب؟ قلت[2]: فإن أصبت[3]. قال: لك حكمك، قال: فإن لم تصب؟ قلت[4] لك دمي، فقال: وجب، فقلت: وجب، قال: فقل، قلت: [١٨٨] يتنفس، قال: فإن كان ميتاً؟ فقلت: تحفظ الساعة التي تكلمت فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها، فقد قمرتني فقال: قد أنْصَفْتَ، قلت: فالحكم؟ قال: احتكم؟ فقلت: ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين، قال: فإن رضاي لك، وقد أُمِرَ لك بمئة ألف درهم، أترى مزيداً؟ فقلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها مئتا ألف، أترى مزيداً؟ فقلت: ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها ثلاثمائة ألف، قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين، قال: يا صفيق الوجه ما نزيدك على هذا[5].

قال إسحاق: لم أر قط مثل جعفر بن يحيى، كانت لــه فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل، وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن الأدب والفتوة. فحضرت باب الرشيد يوماً، فقيل لي: إنه نائم، فانصرفت فلقيني جعفر بن يحيى، فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: أمير المؤمنين نائم، فقال لي: قف مكانك، ومضى إلى دار أمير المؤمنين وخرج إليه الحاجب فأعلمه بأنه نائم، ورجع فقال: صِرْ بِنَا إلى المنزل حتى نخلو جميعاً بقية يومنا، وأغنيك وتغنيني، ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا، فقلت: نعم، فصرنا إلى منزله، فنزعنا ثيابنا ودعا بالطعام فأكلنا، وأمر بإخراج الجواري وقال: لتبرزن، فليس عندنا من نحتشمه، فلما وضع الشراب، دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخَلّق به، ثم دعا لي بمثل ذلك، وجعل يغنيني وأغنيه، حتى دعا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٦١/٥.
(٢) في الأصل: قال، والمثبت من الأغاني.
(٣) في الأصل: صبت، والمثبت من الأغاني.
(٤) في الأصل: قال، والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٦٦/٥.

بالحاجب وتقدم إليه، وأمره بأن لا يأذن لأحد من الناس كلهم، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه بأنه مشغول واحتاط في ذلك،وتقدم فيه إلى جميع الحجاب والخدام، ثم قال: إن جاء عبد الملك فأذنوا لـه، يعني رجلاً كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته، ثم أخذنا في شأننا فوالله إنا لعلى حالة سارة عجيبة، إذ رفع الستر، فإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل، وغلط الحاجب فلم يفرق بينه وبين الـذي عناه جعفر [١٨٩] بن يحيى، وكان عبد الملك بن صالح من جلالة قدره والتقشف والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل، وكان الرشيد قد اجتهد به أن يشرب معه أقداحاً، فلم يفعل ذلك رفعاً لنفسه، فلما رأيناه مقبلاً، أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه، وكاد جعفر أن ينشق غيظاً، وفهم حالنا، فأقبل نحونا، حتى إذا صرنا بالقرب منه، وصار إلى الرواق الذي نحن فيه، نزع قلنسيته فرمـى بها مع طيلسانه[1] جانباً، ثم قال: اطعمونا شيئاً، فدعا له جعفر بالطعام، وهو منتفخ غيظاً وغضباً، فطعم، ثم دعا برطل فشربه، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعضادتي الباب، ثم قال: أشركونا فيما أنتم فيه، فقال له جعفر: ادخل، ثم دعا بقميص حرير وخلوق، فلبس وتخلق، ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أرطال، ثم اندفع يغنينا، فكان أحسننا والله جميعاً غناءً، فلما طابت نفس جعفر بن يحيى وسُرِّيَ عنه ما كان به، التفت إليه فقال: ارفع حوائجك، قال: ليس هذا موضع حوائج، قال: لتفعلن، قال: فلم يزل يلح عليه حتى قال: أمير المؤمنين واجد وأحب أن ترضاه لي، قال: فإن أمير المؤمنين قد رضي عنك، فهات حوائجك، قال: هذه كانت حاجتي، قال: ارفع حوائجك كما أقول لك، قال: عليَّ دين فادح، قال: هذه أربعة آلاف درهم، فإن أحببت أن تقبضها من مالي الساعة فاقبضها، فإنه لم يمنعني عن إعطائك إياها إلا أن قدرك يجل أن يصلك مثلي، ولكني ضامن لها حتى تحمل إليك من مال أمير المؤمنين، فاسأل أيضاً، قال: ابني، تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه، فقال: قد ولاه أميرالمؤمنين مصر، وزوجه ابنته العالية وأمهرها عنه بألفي ألف درهم، قال: إسحاق: فقلت في نفسي: قد سكر الرجل، ـ يعني جعفراً ـ فلما أصبحت لم يكن لي همة إلا حضور دار الرشيد، فإذا جعفر بن يحيى قد بكر، ووجدت في الدار جلبةً، وإذا أبو يوسف القاضي ونظائره، قد دعي بهم، ثم دعي بعبد الملك بن صالح الهاشمي فأدخلا جميعاً على الرشيد، فقال الرشيد لعبد الملك: إن أمير المؤمنين كان واجداً عليك [١٩٠]، وقد رضي عنك، وأمر لك بأربعة آلاف درهم، فاقبضها

---

(١) الأصل: قلنستيه، والمثبت من الأغاني.

من جعفر بن يحيى الساعة، ثم دعا بابنه، فقال: اشهدوا أني قد زوجته العالية بنت أمير المؤمنين، وأمهرتها عنه بالفي ألف درهم ووليته مصر، فلما خرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر فقال: بكرت على أمير المؤمنين، فحكيت لـه جميع ما كان منا وما كنا فيه حرفاً حرفاً،ووصفت لـه دخول عبد الملك وما صنع، فعجب لذلك وسُرَّ به، ثم قلت لـه: وقد ضمنتُ لـه يا أمير المؤمنين عنك ضماناً، قال: وما هو؟ فأعلمته، قال: نفي له بضمانك، وأمر بإحضاره، فكان ما رأيت[1].

قال أسحق: ما اغتممت [بشي قط مثلما اغتممت][2] بصوت مليح صنعته بهذا الشعر: [المديد]

كـان لـي قـلـبٌ أعـيـشُ بـهِ	فـاكْـتِـوى بـالـحـب فـاحـتَـرَقَـا[3]
أنـا لـم أُرْزَقْ مَـحَـبَّـتَـهـا	إنَّـمـا لـلـعَـبْـدِ مـا رُزِقـا
لـم يـكـن مـا ذاق طـعـمَ رَدىً	ذاقـهُ لا شـكَّ مـن عَـشِـقَـا[4]

فإني صنعت فيه لحناً، وجعلت أردد في جناح لي سحراً، فأظن أن إنساناً من العامة، سمعه فأخذه، وبكرت من غد إلى المعتصم لأغنيه به، وإذا أنا بسواط يسوط الناطف ويغني اللحن بعينه، إلا أنه غناء فاسد، فعجبت وقلت: ترى من أين للسواط هذا الصوت، ولعلي أن غنيته أن يكون مر بهذه السفلة بعض من يحضر معنا فسمعه يغنيه، وبقيت متحيراً، ثم قلت لـه: يا فتى، ممن سمعت هذا الصوت؟ فلم يجبني، فالتفت إلى شريكه فقال: خذ إليك، يسألني ممن سمعته، والله لو سمعه إسحاق الموصلي لخري في سراويله، فبادرت والله هارباً خوفاً من أن يمر بي إنسان فيسمع ما جرى فأفتضح[5]، وما علم الله أني نطقت بذلك الصوت بعدها[6].

قال إسحاق: غدوت يوماً ضجراً من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها، فخرجت وركبت

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) في الأغاني: بالنار بدلاً من بالحب.
(٤) في الأغاني: إن عشقا.
(٥) الأصل: فيصح والمثبت من الأغاني.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٧٧.

بكرةً، وعزمت على أن أطوف الصحراء أفترج فيها، فقلت لغلماني: إن جاء رسول الخليفة، فعرفوه أني بكرت في بعض مهماتي، وأنكم لا تعرفون أين توجهت، ومضيت فطفت ما بدا لي، ثم عدت وقد حمي [١٩١] النهار، فوقفت في شارع المخرم في فناء ثخين الظل وجناح رحب على الطريق لأستريح، فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارها عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقي، وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده، ورأيت لها قواماً عادلاً حسناً وظرفاً وشمائل حسنة، فحدست عليها أنها مغنية، فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها، ثم لم ألبث أن أقبل خادمان ومعهما رجلان شابان جميلان، فاستأذنا فأذن لهما، فنزلا ونزلت معهما، ودخلت فظنا أن صاحب الدار دعاني، وظن صاحب البيت إني معهما، فجلسنا وأتي بالطعام فأكلنا، وبالشراب فشربنا أقداحاً، وقمت لأبول، فسأل صاحب المنزل الرجلين عني، فأخبراه أنهما لا يعرفاني، فقال: هذا طفيلي، ولكنه ظريف، فأجْمِلا عشرته، وجئت فجلست، فغنت الجارية في لحنٍ لي[1]: [الطويل]

ذكـرتُـكِ إذ مَـرَّت بـنـا أمُّ شَـادِنٍ ... أمـامَ الـمـطـايـا تَـشْـرئِـبُّ وتَـسْـنَـحُ

مـن الـمـؤلـفـاتِ الـرَّمـل أدمـاءُ حُـرَّةٌ ... شُـعَـاعُ الـضُّـحـى فـي مَـتْـنِـهـا يـتـوضَّـحُ

فأدته أداءً صالحاً، ثم غنت أصواتاً شتى، وغنت في أضعافها صَنْعَتي[2]: [مجزوء الخفيف]

الـطُّـلـولُ الـدَّوارِسُ ... فـارقَـتْـهَـا الأوانِـسُ

أوحـشَـتْ بـعـدَ أهـلِـهـا ... فـهـي قَـفْـرٌ بَـسَـابِـسُ

فكان أمرها فيه أصلح من الأول، ثم غنت أصواتاً من القديم والحديث، وغنت في أضعافها من صنعتي[3]: [مجزوء الخفيف]

قُـلْ لـمـنْ صَـدَّ عـاتِـبـاً ... ونـأى عـنـكَ جـانـبـاً

قـدْ بـلـغـتَ الـذي أرَدْ ... تَ ولـو كـنـتَ لاعِـبـاً

فكان أصلح من الأولين، فاستعدته لأصلح ما فيه، فقال لي احد الرجلين: ما رأيت

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧٨/٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧٩/٥.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٧٩/٥.

طفيلياً أصفق وجهاً منك، لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت، فهذا غاية المثل: طفيلي مقترح فأطرقت ولم أجبه، وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف، ثم قاموا إلى الصلاة، وتأخرت قليلاً، فأخذت عود الجارية ثم شددت طبقته وأصلحته إصلاحاً محكماً، وعدت إلى موضعي فصليت [١٩٢] وعاد وأخذ ذلك من عربدته عليَّ، وأنا صامت، ثم أخذت العود الجارية فجسَّتْهُ، فأنكرت حاله، وقالت: من مس عودي؟ قالوا: ما مسه أحد، قالت: بلى والله قد مسه حاذق متقدم، وشد طبقته وأصلحه إصلاح متمكن من صناعته، فقلت لها: أنا أصلحته، قالت: فبالله عليك، خذه واضرب به، فأخذته وضربت به مبتدأً عجيباً ضرباً صعباً نقرات متحركاً، فما بقي أحد منهم إلا وثب فجلس بين يدي، فقالوا: بالله يا سيدي أتغني؟ قلت: نعم، وأعرفكم بنفسي، إنا إسحاق الموصلي، والله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني، وأنتم تُسمعوني ما أكره منذ اليوم، لأني تملحت معكم، والله لا نطقت بحرف، ولا جلست معكم، حتىتخرجوا هذا المعربد المقيت الغث، فقال لـــه صاحبه: من هذا حذرتك، فأخذ يعتذر، فقلت: ما أنطق بحرف أو تخرجوه، فأخذوا بيده فأخرجوه، فبدأت فغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي، فقال لي الرجل: هل لك في خصلة؟ فقلت: وما هي؟ قال: تقيم عندي شهراً، والجارية والحمار لكَ مع ما عليها من حليته، فقلت: أفعل، فأقمت عنده شهراً، لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبني في كل موضع، فلا يعرف لي خبراً، فلما كان بعد ثلاثين يوماً، سلم إليَّ الجارية والحمار والخادم، فجئت بذلك إلى منزلي، وركبت إلى المأمون من وقتي، فلما رآني قال: إسحاق، ويلك أين تكون؟ فأخبرت، فقال: عليَّ بالرجل الساعة، فدللتهم عليه، فأحضر، فسأله المأمون عن القصة فأخبره بخبرنا وخبر الرجل المعربد، وما حلفت من إخراجه، فقال: أنت رجل ذومروءة، وسبيلك أن تعان على مروءتك، ثم أمر لـــه بمئة ألف درهم، وقال لـــه: لا تعاشر ذلك الرجل المعربد، وأمر لي بخمسين ألف درهم، وقال لي: أحضر الجارية، فأحضرتها فغنته، فقال لي: قد جعلت عليها نوبة في كل يوم ثلاثاء تغنيني من وراء الستار مع الجواري، وأمر لها بخمسين ألف درهم، فَرَبِحْتُ وَأَرْبَحْتُ[(١)].

قال إسحاق: دخلت يوماً دار الواثق بغير إذن، إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً، فسمعت صوت عود من بيت [١٩٣] وترنماً لم أسمع مثلة قط حُسناً، فأطلع خادمٌ رأسَهُ ثم رَدَّهُ وصاح بي، فدخلت فإذا الواثق، فقال لي: أي شيء سمعت؟ فقلت: الطلاق لي لازم،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٧٨ ــ ٢٧٩.

وكل مملوك لي حر لقد سمعتُ ما لم أسمع مثلهُ قطّ حُسناً فضحك وقال: ما هو إنما هو فضلة أدب وعلم، ومدحهُ الأوائل واشتهاه أصحاب رسول الله ﷺ، ومن بعدهُ من التابعين، وكثر في حرم الله ومهاجر رسوله صلى الله عليه، أتحبُّ أن تسمعهُ؟ قلت: أيْ والله الذي شرفني بخطابك وجميل رأيك، قال: يا غلام، هات العود، وأعط إسحاق رطلاً، فدفع الرطل إليّ، وضرب وغنّى في شعرٍ لأبي العتاهية بلحن صنعهُ فيه[1]: [البسيط]

أضحت قبورهم من بعد عِزِّهمُ ... تسفي عليها الصَّبا والحرجفُ الشَّمِلُ

لا يدفعون هواماً عن وجوههُم ... كأنهم خَشبٌ بالقاع مُنجدلُ

فشربتُ الرطل ثم قمت فدعوتُ لـه، فأجلسني فقال: أشتهي أن أسمعه ثانية وثالثة، وصاح ببعض خدمه وقال: احمل إلى إسحاق ثلاثمائة ألف درهم الساعة، ثم قال: يا إسحاق، قد سمعت ثلاثة أصوات وشربتَ ثلاثةَ أرطال، وأخذت ثلاثمائة ألف درهم، فانصرف إلى أهلك بسرورك ليُسَرُّوا معك، فانصرفتُ بالدراهم[2].

قال إسحاق: ما وصلني أحد من الخلفاء مثل ما وصلني به الواثق، ولا كان أحد منهم يكرمني إكرامَهُ، ولقد غنَّيْتُه لحني في[3]: [الطويل]

لعلَّكَ إن طالتْ حياتُك أن تَرى ... بلاداً بها مَبْدى لليلى ومَحْضَرُ

فاستعاده مني جمعة لا يشرب على غيره، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم، ولقد قدمت عليه في بعض قدماتي، فقال لي: ويحك يا إسحاق ما اشتقت إلي؟ فقلت: بلى والله يا سيدي، وقلت في ذلك أبياتاً، إن أمرتني أن أنشدها فقال: هات، فأنشدته[4]: [البسيط]

أشكو إلى الله بُعدي عن خليفته ... وما أقاسيه من هَمٍّ ومن كِبَرِ

لا أستطيع رحيلاً إن هممتُ به ... يوماً إليه ولا أقوى على السهر[5]

أنوي الرحيل إليه ثم يمنعني ... ما أحدث الدهر والأيام في بصري

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٩/٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٨٩/٩ ـ ١٩٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٤/٩.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٤/٩.

(٥) في الأغاني: على السفر.

ثم استأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها فأذن لي، فأنشدته قصديته التي أقول فيها[1]: [البسيط]

[١٩٤] لما أمرت بإشخاصي إليك هوى قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمت فلم أحفل لبينهم وطابت النفس عن فضل وحماد
كم نعمةٍ لأبيك الخير أفردني بها وخص بأخرى بعد إفرادي
فلو شكرت أياديكم وأنعمكم لما أحاط بها وصفي وتعدادي

فقال[2]: أحسنت يا أبا محمد، فكناني وأمر لي بمئة ألف درهم، ثم قلت[3]: [الطويل]

أتبكي على بغداد وهي قريبةٌ فكيف إذا ما ازددت عنها غداً بُعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قِلى لَوَ أنّا وجدنا من فراقٍ لها بُدا
إذا ذكرت بغداد نفسي تَقَطَّعتْ من الشوق أو كادت تموت بها وجدا
كفى حزناً أنْ رحت لم تستطع بها وداعاً ولم تحدث بساكنها عهدا

فقال لي: يا موصلي، قد اشتقت إلى بغداد: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا والله، ولكني اشتقت إلى الصبيان، وقد حضرني بيتان، فقال: هاتهما، فقلت[4]: [الوافر]

حننت إلى الأُصَيْبِيةِ الصِّغار وشاقك منهمُ قرب المزارِ
وكل مفارق يزداد شوقاً إذا دنت الديار من الديار

فقال: يا إسحاق صر إلى بغداد، فأقم شهراً مع صبيانك، ثم عد إلينا، وقد أُمِرَ لك بمئة ألف درهم[5].

قال إسحاق الموصلي: قدمت سنة من السنين من الحج فصرت إلى سر من رأى فدخلت إلى الواثق: فقال لي: بأي شيء أطرفتني من أحاديث الأعراب وأشعارهم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، جلس فتى من الأعراب في بعض المنازل، فحادثني فرأيت منه أحلى من رأيت

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٤/٩.
(٢) الأصل: فقلت: والمثبت في الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٥/٩.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٥/٩.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٢/٩ ـ ١٩٥.

من الفتيان منظراً وحديثاً وظرفاً وأدباً، وسألته إنشادي، فأنشدني[1]: [الطويل]

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكتنان مؤتلفان[2]
إذا أمنا التفا بجيدي تواصلِ وطرفاهما للريب مسترقان
أرعتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

ثم تنفس تنفساً ظننت أنه قد قطع حيازيميه، فقلت: مالك بأبي أنت؟ فقال: لي وراء هذين الجبلين [١٩٥] شَجَنٌ، وقد حيل بيني وبين الوصول إليه، وقد نذروا دمي، وأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين، تعللاً بهما إذا قدم الحاج، ثم يحال بيني وبين ذلك، فقلت له: زدني مما قلت شيئاً في ذلك، فأنشدني[3]: [الطويل]

إذا ما وردت الماء في بعض أهله حضور فعرض بي كأنك مازح
فإن سألت حَضُوُر فقلْ لها به غُبّر من دائه وهو صالح

فأمرني الواثق فكتبت له الشعرين، فلما كان بعد أيام دعاني، فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحنا فاسمعه، فإن ارتضيت أظهرناه، وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحناه، فغُني لنا من وراء الستارة، فكان في نهاية الجودة، وكذلك كان يفعل، إذا صنع شيئاً، فقلت: أحسن والله صانعه ما شاء، فقال: بحياتي عليك، قلت: أي وحياتك، وحلفت له بما يوثق به، وأمر لي برطل فشربته، ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات، وسقاني ثلاثة أرطال، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، فلما كان بعد أيام دعاني، وقال: قد صنع عندنا أيضاً في الشعر الآخر، وأمر فغني به، فكانت الحال فيه مثل الحال الأول، ثم غناه لما استحسنته وحلفت له على جودته، وأعاده لي ثلاث مرات، وسقاني ثلاثة ارطال، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، ثم قال: هل قضيت حق هديتك؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأطال الله بقائك، وتمم نعمتك، ولا أفقدنيها منك وبك، فقال: لكنك لم تقض حق جليسك الأعرابي، ولا سألتني معونته على أمره، وقد سبقت مسألتك، وكتبت إلى صاحب الحجاز وأمرته بإحضاره، وخطبت له المرأة وحمل صداقها إلى قومها عنه من مالي، فقبلت يده وقلت: السبق إلى المكارم لك،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٨/٩.
(٢) الأغاني: غزالان مكحولان.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٩٨/٩ ـ ١٩٩.

وأنت أولى به من عبيدك ومن سائر الناس(١).

قال: لما خرج المعتصم إلى عمورية، واستخلف الواثق بسر من رأى وكانت أموره كلها كأمور أبيه، فوجه إلى الجلساء والمغنين أن يبكروا إليه يوماً حده لهم، ووجه إلى إسحاق فحضره، فقال لهم الواثق: إني قد عزمت على الصبوح، ولست أجلس على سرير(٢) حتى اختلط بكم ونكون كالشيء الواحد، فاجلسوا معي حلقه، وليكن كل جليس إلى جانبه مغنٍ، فجلسوا كذلك، فقال الواثق: أنا أبدأ، فأخذ عوداً وغنى [١٩٦] وشربوا، وغنى من بعده حتى انتهى إلى إسحاق، فأُعطي العود، فلم يأخذه، فقال: دعوه، ثم غنى وغنوا دوراً آخر، فلما بلغ إسحاق، لم يغن، وفعل هذا ثلاث مرات، فوثب الواثق فجلس على سريره، وأمر الناس فأدخلوا، فما قال لأحد منهم أجلس، ثم قال: علي باسحاق، فلما رآه قال: يا خوزي يا كلب، أَتَبَذَّلُ لك وأغني، وترفع عن أترابي أترى لو أني قتلتك لكان المعتصم يقيدني بك؟ فبطح وضرب ثلاثين مقرعة، وحلف أن لا يغني سائر يومه [سواه](٣)، فاعتذر، وتكلمت الجماعة فيه، فأخذ العود وما زال يغني حتى انقضى ذلك اليوم(٤).

قال إسحاق: دخلت يوماً على الواثق وهو مضطجع، فقال: غنني يا إسحاق صوتاً غريباً لم أسمعه منك، حتى أُسُر به بقية يومي، قال: وكأن الله عزوجل أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت(٥): [السريع]

يا دار إن كان البلى قد مَحَاكْ ... فإنه يعجبني أن اراك
أبكي الذي [قد] كان لي مألفاً ... فيك فآتي الدار من اجل ذاكْ(٦)

قال: فتبينت الكراهة من وجهه، وندمت على ما فرط مني، وتجلد فشرب رطلاً كان بيده، وعدلت عن الصوت إلى غيره، وكان ذلك اليوم والله آخر جلوسي معه(٧).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٩/١٩٨ ـ ١٩٩.
(٢) الأصل: شهر، والمثبت من الأغاني.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٩/٢٠٣.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٩/٢٠٥.
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٩/٢٠٥.

قال: وتوفي إسحاق ببغداد أول خلافة المتوكل، وكان يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه، فأصابه ذربٌ في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومئتين، وكان يتصدق في كل يوم أمكنة أن يصومه بمئة درهم، ثم ضعف عن الصوم، ومات في رمضان[1].

قال: لما تولى المتوكل الخلافة بعد الواثق، طلب إسحاق، فلما حضر رمى إليه مخدة وقال: أجلس عليها، فإنني سمعت أن المعتصم أول يوم خلافته أرمى إليك بها وقال: ما يستجلب ما عند الحر إلا بالكرامة، وسأله سماع شيء من أغانيه، فغناه لحنه نظمه في نفسه وعماه[2]: [البسيط]

ما عِلَّةُ الشيخ عيناه بأربعةٍ ... تغرورقان بدمع تنسكبُ

فانعم عليه بمئة ألف درهم وصرفه، وسأله العود فتوجه من سر من رأى [١٩٧] إلى بيته ببغداد، فتوفي بعد شهر، فبلغ المتوكل وفاته، فغمه وحزن عليه[3].

قال أدريس بن [أبي][4] حفصه يرثى إسحاق الموصلي[5]: [الطويل]

سقي الله يا بن الموصلي بوابلٍ ... من الغيث قبراً أنت فيه مقيم
ذهبت فأوحشتَ الكرام فما ينى ... بعبرته يبكي عليك كريم
إلى الله أشكو فقد إسحاق إنني ... وإن كنت شيخاً بالعراق مقيم[6]

وقال محمد بن عمرو الجرجاني يرثيه[7]: [الطويل]

على الجدث الشرقي عَوُجَا فسلِّما ... ببغداد لما ضن عنه عوائُدهْ
وقولا له لو كان للموت فديةٌ ... فداك من الموت الطريف وتالده
أإسحاق لا تبعد وإن كان قد رمى ... بك الموت ورْداً ليس يصدر وارده

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٨٢.
(٢) الأصفهاني، الأغاني:
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٧٢.
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والأضافة من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢٨٣.
(٦) في الأغاني: يتيم بدلاً من مقيم.
(٧) في الأغاني: ٥/٤٤٦.

إذا هزل اخضرت متون حديثه ... ورقت حواشيه وطابت مشاهده[1]
وإن جد كان القول جداً وأقسمت ... مخارجه ألا تلين معاقده
فابك على ابن الموصلي بعبرة ... كما ارفضَّ من نظم الجمان قلائده[2]

وقال مصعب الزبيري يرثيه، تغمده الله برحمته[3]: [الكامل]

لله أي فتى إلى دار البلى ... حمل الرجال ضحىً على الأعوادِ
كم من كريمٍ ما تجف دموعه ... من حاضر يبكي عليه وباد
أمسى يؤبِّنَهُ ويعرف فضله ... من كان يثلبه من الحساد
فسقتك يا بن الموصلي سحابة ... تروي صداك بصوبها وغواد[4]

وقال أيضاً[5]: [المتقارب]

تولى شبابك إلا قليلاً ... وحل المشيب فصبراً جميلاً
كفى حزناً بفراق الصبا ... وإن أصبح الشيب منه بديلاً
ولما رأى الغانيات المشيب ... أغضين دونك طرفاً كليلاً
سأندب عهداً مضى للصبا ... وأبكى الشباب بكاء طويلا

(١) في الأغاني: فنون بدلا من متون.
(٢) في الأغاني: فرائده بدلا من قلائده.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٨٥/٥.
(٤) في الأغاني: روائح بدلاً من سحابة.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٠٥/٢، والشعر فيه منسوباً لإسحاق الموصلي.

قائمة المصادر

الأحوص الانصاري

ـ الديوان، تحقيق عادل سليمان، القاهر، ١٩٩٠.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين.

ـ الأغاني، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

الأعشى ميمون.

ـ الديوان، نشر أدولف هلزهوسن، بيانه، ١٩٢٧م.

أعشى همدان.

ـ الديوان، نشر ضمن ديوان الأعشى ميمون، أدولف هلز هوسن، بيانه، ١٩٢٧م.

امرؤ القيس الكندي.

ـ الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

أمية بن أبي الصلت الثقفي.

ـ الديوان، تحقيق بهجة الحديثي، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٩١م.

البحتري، الوليد بن عبيد الطائي.

ـ الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

البخاري، محمد بن إسماعيل.

ـ الصحيح، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م.

جرير بن عطية التميمي.

ـ الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.

جميل بن معمر العذري (جميل بثينة).

ـ الديوان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.

الحارث المخزومي.
ـ شعر الحارث، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م.
ابن حجر، شهاب الدين احمد العسقلاني.
ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الكتب العلمية، بيروت.
حسان بن ثابت الأنصاري.
ـ الديوان، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
ابن حمدون، محمد بن الحسن.
ـ التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.
ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد.
ـ وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.
الخالديان.
ـ الديوان، تحقيق سامي الدهان، مجمع اللغة العربية، دمشق،١٩٦٩م.
ذو الرمة غيلان.
ـ الديوان، تحقيق عبد القدوس أبي صالح، بيروت، ١٩٩٣م.
زهير بن أبي سلمى.
ـ الديوان، صنعة ثعلب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤م.
السليك بن السلكة.
ـ شعـر السليك، جمع وتحقيق حميد ثويني وكامل عواد، بغداد،١٩٦٤م.
الصفدي، ابو الصفاء صلاح الدين.
ـ أعيان العصر، دار صادر، بيروت.
ـ الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة محققين، فيسبادن.

العباس بن الأحنف.

ـ الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

عبد الله بن الزبعرى.

ـ شعر ابن الزبعرى، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، دار الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

عبيد الله بن قيس الرقيات.

ـ الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.

العرجي، عبد الله بن عمرو

ـ الديوان، جمع الجبيلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

العكوك، علي بن جبلة.

ـ شعر العكوك، جمع وتحقيق حسين عطوان، القاهرة، ١٩٧٢م.

عمر بن أبي ربيعة.

ـ الديوان، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار السعادة، القاهرة، ١٩٦٥م.

عمرو بن شأس.

ـ شعر عمرو، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م.

عنترة بن شداد العبسي.

ـ الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

كثير الخزاعي (كثير عزة)

ـ الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٨م.

المفضل الضبي.

ـ المفضليات، تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.

النابغة الذبياني.

ـ الديوان، تحقيق الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٦م.

نصيب بن رباح.

ـ شعر نصيب، جمع وتحقيق داود سلوم، بغداد، ١٩٦٨م.

ابن هرمة، إبراهيم.

ـ الديوان، تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م.

الوليد بن يزيد الأموي

ـ شعر الوليد، جمع وتحقيق حسين عطوان، عمان، ١٩٧٩م.

ياقوت الحموي.

ـ معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، طرابلس، ١٩٩٥م.

الفهارس

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ج ـ

- د -

- ر -

- ز -

- ي -

فهرس المحتويات